الإمام أبو العزائم

المجدد الصوفي

فوزي محمد أبو زيد

دار الإيمان والحياة
٧٤ ش ١٠٥ حدائق المعادى ت : ٣٥٠٩١٤٠

بسم الله الرحمن الرحيم

« ثم أورثنا الكتاب الذين أصطفينا من عبادنا »

« صدق الله العظيم »

ان الرجال كنوز ليس يدريها
الا مراد تحلى من معانيها

فى الأرض أجسامهم والعرش مقعدهم
قلوبهم صفت والله هاديها

هم الشموس لشرع المصطفى وهم
سفينة الوصل بسم الله مجريها

« أبو العزائم »

مقـــدمة

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، والصلاة والسلام على كنز حقيقة الاصطفا ، ورمز الصفا والوفا ، سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه ومن اقتفى .

وبعـــد ..

كنا نتحدث مع بعض الاخوان الصادقين الذين تشـــبعت روحهم بمحبة الصالحين ، وتدفعهم دفعا حثيثا الى الاقتداء بهم ، ومتابعة هديهم ، ومحاولة السـير على منهاجهم ، فتطرق الحديث الى مولانا الامام أبى العزائم رضى الله عنه وأرضاه ، فطلب منى جلهم معرفة شىء مـــا عن حيـــاة الامام أبى العزائم وجهاده فى ذات الله ، ولما تدبرت فى هذا الأمر وجدت انه ليس هناك كتاب يشـــمل النواحى الروحية والتربية الصوفية عنده بل والأحوال التى يتمتع بها الصـــوفية ، وخاصـــة المتابعين منهم للامام أبى العزائم رضى الله عنه ، اذ الكتب التى ظهرت حتى وقتنـــا هذا ، وتتعلق بشخصـــه الكريم رضى الله عنه هى :

كتاب « الامام أبو العزائم كما قـــدم نفســـه للمســـلمين » لفضـــيلة الشيخ : محمد على سلامة .

وهو كتاب فاق الجودة ، من ناحية الأسلوب والصـــياغة والمعانى ، ولكنه يخاطب الخاصـــة من تلاميذ الامام رضى الله عنه ، لأنه يصف أحواله القلبية ، ومقاماته الوهبية .

والكتاب الآخر : هو كتـــاب « ابو العزائم ـــ حيـــاته ـــ جهـــاده ـــ آثاره » للأستاذ / عبد المنعم شقرف المحامى .

وهو كتاب جيد ، ولكنه يركز على جهاد الامام أبو العزائم السياسى

فى مواجهة الانجليز ، وفى تعضيد الثورات التى يقوم بها المســلمون فى كل بقاع الأرض ، ودوره العظيم ، فى احياء الخلافة الاســلامية ولذا ، وجدت لزاما على نحو الامام أبى العزائم رضى الله عنه ، وواجبا على نحو اخوانى آل العزائم خاصة ، والمسلمين اجمعين ان أوضح الدور العظيم الذى قــام به رضى الله عنه فى تجديد أحوال الصــوفية ، وبيان ما اندرس من أخلاقهم وسلوكهم ، ومقاماتهم ، والدور الكبير الذى قام به رضى الله عنه فى ســبيل نشر هذه المبادىء السامية ، والأحوال الراقية ، بين ربوع الأمم الاسلامية ، متعرضا قدر الاستطاعة لشىء من حيــاته الخاصة فى بيته ، وحياته العامة مع اخوانه والمسلمين ، وارجو بذلك أن أوفى ببعض ما على من واجبات نحو امامى ومرشدى رضى الله عنه ، هذا ، وقد استلهمت روح سيدى ومرشدى الامام أبى العزائم رضى الله عنه ، فأحسست كأنه رضى الله عنه يملى على فى أذنى ، هذه العبارات ، وتلكم الكلمات ، وذلك ما دفعنى الى المبادرة الى هذا العمل ، الذى اســأل الله عز وجل أن يجعله شــفيعا لى يوم العرض عليه ، فما كان فيه من صــواب وتوفيق ، فبفضل الله أولا ، وببركة الامام أبى العزائم رضى الله عنه ، وامداده ، والهامه لذاتى ثانيا ، وما كان فيه من سهو أو تقصير ، فانما يرجع الى عجلتى ، وغفلتى وزللى .

والله اســأل أن ينفع به كل من قراه ، أو شــارك فى طبعه او نشره ، وأن يجازى عنا الامام أبى العزائم خير الجــزاء بمغفرة ورضــوان وخير فى الدنيا والآخرة .

« ربنا لا تؤاخذنا ان نســينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » الآية (٢٨٦) البقرة .

كتبــه
الفقير الى الله
فوزى محمد أبو زيــد
دار الصــفا
الجميزه غربية

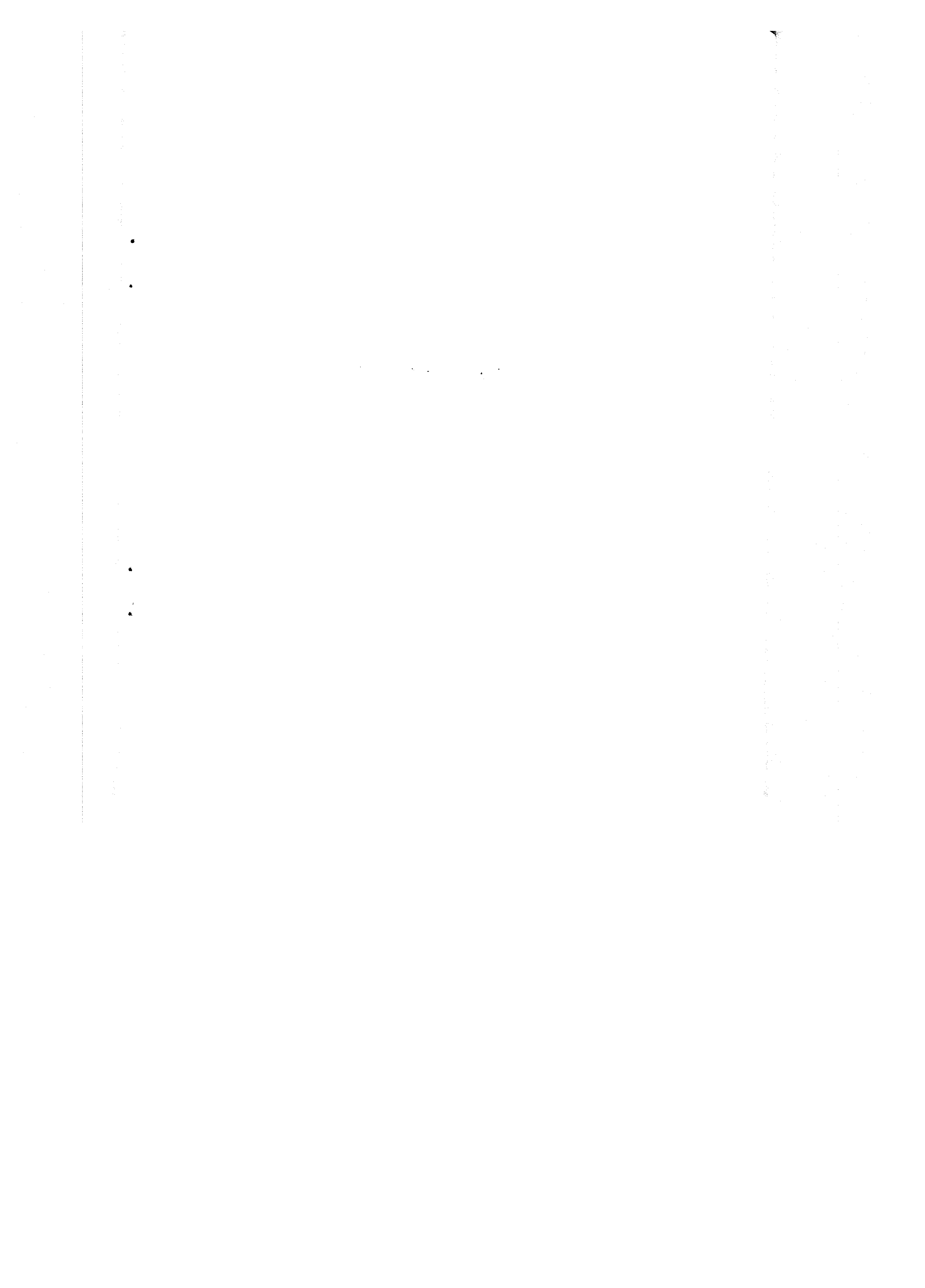
فى يوم السبت ١٦ من جماد الأولى سنة ١٤١٢ هـ الموافق ٢٣ من نوفمبر ســنة ١٩٩١ م .

الفصل الأول

نســـبه وأســـرته

- نســـبه
- اســـرته وكنيتـــه
- جده الأعلى ابو العزائم ماضى بن سلطان

فوزي محمد أبوزيد
مدير عام بالتربية والتعليم بطنطا
ورئيس الجمعية العامة للدعوة إلى الله
بجمهورية مصر العربية
: الجميزة - محافظة الغربية.
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩
: ٠٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠
: الموقع على شبكة الإنترنت
WWW.Fawzyabuzeid.com
البريد الإليكتروني E-mail :
fawzy@Fawzyabuzeid.com
fawzyabuzeid@hotmail.com
fawzyabuzeid@yahoo.com



نســـبه

ينتسب رضى الله عنه الى العترة الطاهرة من آل البيت الكــرام ، فهو حسينى من جهة والده ، وحسنى من جهة أمه ، ونســـبه كما هو مثبت فى كتبه رضى الله عنه هو :

السـيد / محمـد ماضى أبو العزائم بن السـيد / عبد الله المحجوب ابن السيد أحمد بن السيد مصـطفى بن السيد ابراهيم بن السيد صـالح ابن السيد ماضى بن السـيد درويش بن السـيد محمد بن السـيد على ابن السيد محمد بن السيد ابراهيم بن السـيد رمضـان بن السيد أحمـد ابن السـيد عبد الحميد بن السيد محمد بن السيد على بن السيد حسـن ابن السيد زيد بن السيد حسـن بن السيد على الطويل بن السيد محمد بن السيد ابراهيم بن السيد محمد بن السـيد عبد الله العوكلانى بن السـيد أبو الحسن موسى الكاظم بن السيد جعفر الصـادق بن السيد محمد الباقر ابن السـيد على زين العابدين بن سـيدنا الحسـين بن الامـام على بن ابى طالب كرم الله وجهه . هذا من جهة أبيه ..... (١) .

أما نسبه رضى الله عنه من جهة أمه فهى :

السيدة آمنة المهدية ابنة السيد أحمد العربى الفرجانى بن السيد على ابن السيد سليمان بن السيد مصطفى بن السيد زين الدين بن السيد محمد درويش بن السيد حسـام الدين بن السيد ولى الدين بن السيد زين الدين ابن السيد شرف الدين بن السيد شمس الدين بن السيد محمد الهتاكى بن السـيد عبد العزيز بن السـيد عبد القادر الجيلانى بن أبى صـالح موسى جنكى دست بن السـيد عبد الله الجيلى بن السـيد يحى الذاهد بن السيد محمد بن السيد داود بن السيد عبد الله بن السـيد موسى الجون بن السيد عبد الله المحض بن السيد حسن المثنى بن سـيدنا الامام الحسن بن الامام على ابن أبى طالب رضى الله عنه وكرم الله وجهه ... (٢) .

---

(١) نيـل الخيرات ص ١٠٩ الطبعة الحادية عشرة « الامام محمـد ماضى أبو العزائم » .

(٢) نيل الخيرات ص ١١٠ المرجع السابق .

أســرته وكنيتــه

ونلاحظ هنا أن اسمه رضى الله تعالى عنه محمد بن عبد الله المحجوب ، أما ماضى وأبو العزائم فهما كنيتان تكنى بهما فى حياته .

وترجع **الأولى** الى الأمير ماضى بن مقرب من بنى هلال ، وهى القبيلة العربية المشهورة ، التى كانت تسكن فى بلاد الحجاز حتى تمكن الفاطميون من انشـــاء الدولة الفــاطمية ، وجعــلوا مصرا مقــرا لحكمهم ، وكان من سياستهم ، جلب كل من ينتســب الى الســيدة / فاطمة الزهراء رضى الله تعــالى عنها الى دولتهم ، لاكرامهم وتعويضــهم عما شــعروا به من ظلم واضــطهاد تحت حكم الامويين والعباسيين ، فأرســلوا الى بنى هلال ، واستقدموهم الى مصر .

وتحكى الروايات التاريخية ، أن عددهم كان يزيد على الأربعمائة ألف ، ونظرا لكثرتهم العددية ، وجهوهم الى جنوب البلاد ، وأسكنوهم فى بــلاد الصعيد ، ثم حدثت بعض الثورات على الدولة الفاطمية فى بــلاد المغرب ، فما كان منهم الا أن طلبوا من اخوانهم من بنى هلال ، أن يهبوا لنجدتهم ، والقضــاء على هذه الثورات ، خاصة وأنهم كانوا مشــهورين بالفروسية والبطولة والفداء والتضــحية ، فوافق البعض وذهبوا الى بــلاد المغرب واستطاعوا القضاء على هذه الثورات ، واشــهرها . القضاء على الدولة الزناتية ، التى كانت تسيطر على تونس وجزء كبير من الجزائر ، واستقروا هناك فى أماكن متفرقة ، اذهب الأمير ماضى بن مترب الى منطقة الأغواط ، الواقعة على الحدود الآن بين الجــزائر والمغــرب ، واســس عين ماضى واستقر بها هو وذريته .

بينما انتشر الجــزء الذى تبقى فى مصر فى محافظات : سوهاج وقنــا واسوان ، وهم ما يسمون الأشراف الآن .

اما الكنية الثانية : (ابو العزائم)

فترجع الى جــده الأعلى (ماضى بن ســلطان) والذى كان له البــاع الطويل فى خدمة ومصاحبة سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه .وهو الذى كناه بهذه الكنية نظرا لما لمسه فيه من جــد واجتهاد واخلاص فى طاعة الله عز وجل ، ومن عزيمة شــديدة فى العمل على نشر محاســن طريقته رضى الله تعالى عنه .

ونظرا لاهمية دوره فى حيــاة الامام ابى العزائم رضى الله عنه واعتباره له مثلا أعلى فى حياته الصــوفية ، نذكر على ســبيل التبرك ، قبســا من سيرته رضى الله تعالى عنه :

جــده الأعــلى

أبو العزائم ماضى بن ســلطان

تعرف على سيدى أبى الحسن الشاذلى فى أوائل ظهور دعوته فى بــلاد المغــرب العربى ، وذلك أثناء سياحاته الروحية وتجواله فى هذه البــلاد ، ناشرا لهديه ، بعد أن أمــر بذلك ، وســمع النداء « يا على انــزل اهدى الناس الينا » .

وقد كان ذلك الوقت يقيم فى جبل بالقرب من « شاذلة » بتونس الآن ، فاستجاب للنداء ، ونزل تنفيذ لأمر الله ، فتجمع عليه خلائق لا يحصــون ، كان من بينهم الشــيخ « ماضى بن ســلطان » ، وتفرس فيه الشــيخ علو الهمة ، وصــدق الارادة ، فأختاره خادما ذاتيا له ، يطلعه على شــئونه الخاصة ، ويوكل اليه جلائل الأعمال ، ومنذ ذلك الوقت ، لزم الشيخ ماضى استاذه أبى الحسن الشــاذلى ، حتى رحل معه الى الاســكندرية ، عندما جاء اليها ، ولم يبرح عنه حتى انتقل الى جوار ربه ، وكان يلازمه فى كــل اسفاره ، وخاصة سياحاته فى البلاد ، ورحلاته لأداء فريضة الحج .

ولذا يعول عليه كتاب التراجم والسير ، لصدق روايته ، عندما يكتبون عن سيدى أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه ولقد كان له رضى الله عنه وقائع كثيره مع شيخه ، تدل على علو همته ، وصفاء سريرته ، وصدق ارادته ، وتبين المنهج العظيم الذى اتبعه الامام أبى الحسن الشاذلى فى تربيته لمريريه ، والذى اختاره الامام أبى العزائم رضى الله عنه نهجا قويما ، لتربية أبنائه ومحبيه ، كما سنذكر فيما بعد .

ومن ذلك على سبيل المثال :

هذه الوقائع التى يذكرها ابن الصباغ فى « درة الأسرار » وينقلها عنه ابن عياد فى « المفاخر العلية فى المآثر الشاذلية » وتتداولها كتب الطبقات وتراجم الشاذلية الى يومنا هذا :

قال بن الصباغ « حدثنى الشيخ الصالح أبو العزائم ماضى رضى الله عنه قال : تحدث الشيخ رضى الله عنه فى حقيقة الشيخ مع أصحابه فقال : « أن تكون يده عليهم يحفظهم حيثما كانوا » قال : فاعترضت على ذلك فى نفسى وقلت : لا يكون ذلك الا الله عز وجل . فلما أصبحت اخذتنى ضيقة شديدة فى نفسى ، فخرجت لخارج الاسكندرية ، وجلست على ساحل البحر اليوم كله ، فلما صليت العصر ، زيقت ، يعنى ادخلت راسى فى طوقى ، واذا بيد تحركنى ، فظننت أنه بعض الفقراء يمازحنى .

قال : فأخرجت رأس من طوقى ، واذا بها امراة حسناء عليها لباس حسن ، وحلى ، فقلت لها : ما تريدين ؟

قالت : أنت . فقلت : أعوذ بالله منك . فقالت : والله مالى عنكَ براح . مدافعتها عن نفسى ، فأخذتنى فى حضنها ، ولعبت بى كما يلعب الطفل بالعصفور وما ملكت من نفسى شيئا ، ورمتنى بين فخذيها .

فحنت نفسى اليها ، واذا بيد اخذتنى من اطواقى ، واذا انا بالشيخ يقول لى : يا ماضى ، ما هذا الذى تقع فيه .. ؟ ورمانى عنها ، فظننت أن الشيخ اجتاز بذلك المكان ، فرفعت راسى ، فما وجدت الشيخ ولا المرأة ...

فتعجبت من ذلك ، وعلمت انى اصبت باعتراضى عليه . فأستغفرت الله ، وصليت المغرب ، وآتيت الى الباب الاخضر ، وقد غلقت ابواب البلد كلها ، فلما دنوت منه .. انفتح لى ودخلت المدينة ثم أغلق ، وهذا الباب ، لا يفتح الا بعد صلاة الجمعة ، يخرج منه الأمير والناس الى الساحل ، ثم يغلق الى الجمعة الأخرى .

قال : واتيت القلعة ، ودخلت بيتى مختفيا عن الفقراء ، فلما صلى الشيخ العشاء الآخرة ، صرف الناس ، وكان فى كل ليلة ، يعمل ميعادا يأتى اليه الناس من البلدان ، يستمعون كلامه . قال : ثم دخل الخلوة وقال : أين ماضى .. ؟ قالوا : ما رأيناه اليوم ، قال : أطلبوه فى بيته ، فأتوا الى ، فقلت لهم : اننى مريض ، وكان كذلك ، فانى ما أتيت الا بحال عظيم .

فقال : احملوه بينكم .

قال : فحملونى اليه ، وادخلونى عليه ، وأمرهم بالانصراف ، فجلست بين يديه وأنا ابكى ، فقال لى : يا ماضى . لما قلت بالامس كذا وكذا ، فاعترضت انت على ، أين كانت يدى اليوم منك لما اردت أن تقع فى المعصية ؟ .. من لم يمكن من ذلك فليس بشيخ .... (١) .

قال ابن الصباغ : وحدثنا ايضا قال : كنا بدمنهور الوحش ، فلما صلينا العصر ، أعطانى كتابا للشيخ الفقيه فخر الدين الفتزى بالاسكندرية ، برسم حاجة عرضت له ، فقلت له : يا سيدى اذا كان غدا ان شاء الله ،

---

(١) درة الأسرار لابن الصباغ ص (٤٤ ، ٤٥) .

أسافر بكره — وهذا الموضــــع مسيرة يوم للفارس — فقال لى : الســــاعة تسافر وتعود الى بالجواب ان شاء الله تعالى .

قال : فتقلدت نمشة (١) كانت عندى ، وخرجت متوجها ، فوصلت الى الاسكندرية فى اقرب وقت ، واعطيت الكتاب للشــيخ ورجعت اليه قبــل اصفرار الشمس . وكنت مررت بجبال الحاجر فى طريقى ، فأسمع بها دويا وحس المشى ، فاظن انهم اللصوص يعترضـــوننى فى طرف النهار ، فأرسل النمشة وابقى منتظرا ، قال : فما رايت احدا .

قال : فلمـــا رجعت الى الشـــيخ وجلست بين يديه تبســـم وقال لى : يا ماضى ، تجبز نمشتك تتقى بها اللصوص .. ؟ الدوى الذى كنت تســـمع دوى الملائكة ، والله ما خرجت من بين يدى حتى تكفل بك ثمانون الفـــا من الملائكة ، يحفظونك من أمـــر الله حتى وصـــلت الى الاســـكندرية وعـــدت الينـــا ... (٢) .

وقال ايضـــا :

حدثنا الشيخ أبو العزائم ماضى رحمه الله قال :

بعثنى الشــــيخ من الاسكندرية الى دميـــاط فى بعض حوائجه ، وكان عندنا رجل من اهلها ، فأراد السفر معى ، فاستأذن الشـــيخ ، فاذن له فى السـفر .

فلما توجهنا لبـــاب الســـدرة — باب من أبواب الاسكندرية — اخـــرج الرجل دراهم ليشترى بها خبزا واداما .

---

(١) النمشة : غطاء مخطط

(٢) درة الأسرار لابن الصباغ ص (٤٥ ، ٤٦) .

فقلت له : مـــا نحتـــاج الى شىء . فقال لى : نجـــد دكان فـــلان فى الصـــحراء .... وأشـــار الى دكان حلوانى بالاسكندرية . فقلت له ان شـــاء الله .

وكنت مهمـــا سافرت ، لا احمـــل معى ذادا ، فاذا اصـــابنى جـــوع أسمع كلامه من خلفى يقول : ياماضى : اخرج عن يمينك تجد ما تأكل ، وكذا اذا عطشت ، فأجد طعاما طيبا وماء عذبا .

قال : فخرجنا عن الاسكندرية ومشينا ، وجد بنا الســـير حتى تعالى النهار بنـــا ، فقال لى : يا ماضى : اطعمنى فانى قد جعت . واذا بـــكلام الشيخ على العاده يقول : يا ماضى : جاع ضيفك ، أخرج عن يمينك تجـــد ما تطعمه .

قال : فخرجت عن يمينى ، فوجدنا محفلة مملوءة بكنافة سكرية مخلطة بالمسك وماء الورد .

فأكلنا حتى ملينا ، فبكى الرجل وتعجب مما رأى .

فقلت له : ايهما اطيب .. هذا الطعـــام او مـــا اشرت اليه فى دكان الحلوانى ... ؟

فقال : والله ما رايت مثل هذا قط .... وما صنع مثله فى قصر ملك من الملوك ، واراد أن يرفع بقيته فمنعته ، وتركتها على حالها .

ومشينا يسيرا فعطشنا . واذا بكلام الشيخ يقول : يا ماضى أخرج عن يمينك تجد المـــاء ، فوجدنا عين مـــاء عذب فى الرمل فشربنا ، واضطجعنا ساعة ، وقمنا ، فما وجدنا قطرة مـــاء ، فقال الرجل : أين المـــاء الذى كان ها هنا ... ؟

فقلت : لا علم لى به .

فقال : والله لقد مكن لهذا الشيخ تمكينا عظيما . والله لارجعت الى اهلى ، حتى انال ما نال هذا الشيخ ، أو أموت الى الله تعالى ، فخلى فروته عندى ، ومشى فى البرية يقول : الله . . . الله .

قال : فلما قضيت سفرى ، ورجعت اليه قال لى : يا ماضى : ودرت (أهلكت) ضيفك . .

فقلت له : انت الذى ودرته — اطعمته الكنافة السكرية فى البريه ، واسقيته الماء العذب فى الرمل .

فقال لى : مر فى الذاهبين الى الله تعالى . . . . (١) .

وقال : حدثنا الشيخ ماضى رحمه الله ايضا قال :

حججت سنة من السنين عن اذنه ، فلما قضيت مناسك الحج ، واتيت اطوف طواف الوداع ، قام اهل مكة على من بقى فى الحرم من الحجاج فنهبوهم ، وكانت عندى امانات للناس ، فدخلت فى الحجر ، ووقفت تحت الميزاب وقلت :

ان خرجت نهبونى ، وان اقمت اقمت بأموال الناس عندى ، فتحيرت فى امرى ، فناديت بالشيخ .

واذا به واقف بباب الندوة ، وهو يشير الى ، فبادرت اليه ، فولى خارجا ، فاتبعته ، ولم اقدر على اللحاق به ، والوصول اليه ، فلم ازل كذلك حتى دخلت الركب ، فلما دخلت الركب ، طلبته ، فلم أجده ، فلما وصلت الى الاسكندرية ، أتيت اليه ، وسلمت عليه ، فسألنى عن حالى وقال لى :

---

(١) درة الأسرار لابن الصباغ ص (٤٦ — ٤٧) .

يا ماضى : لمـا اشتد الحال عليك وناديت بنـا ، اتينا اليك وخلصناك مما كنت فيه ... (١) .

وهذا نذر يسير مما روى عن الشيخ ماضى بن سلطان رضى الله عنه ، فى صحبته لسيدى أبى الحسن الشاذلى ، وقد ذكرنا ذلك ، لعلمنا بشـدة تعلق الامام أبى العزائم رضى الله عنه بهذه الاحوال وبحثه عنها ، وطلبـه لهـا ، وتأسـيه بأهلها وهو الذى كان يقول لأبنـائه دائما حاثا لهم على التحلى بها :

فتشـبهوا ان لـم تكـونوا مثلهـم
ان التشـبه بالرجـال فـلاح

ومن شـدة تعلقه به تكنى بكنيته ، وتشـبه بسيرته ، ونسب طريقته الى السادة الشاذلية ، رضى الله تعالى عنهم ، هذا وقـد ظل الشيخ ماضى فى محبة شيخه أبى الحسن ، حتى كان سـفره الأخير الى الحج ، ويحكى ذلك : سيدى ماضى بن سلطان رحمه الله فيقول :

لما توجه رحمه الله فى سفرته التى توفى فيها ، وكنت تزوجت امرأة من اهـل الاسـكندرية ، وكانت حاملا ، فجعلت تبكى وتقول لى : تتركنى على ولادة وتسافر عنى .

قال : فأخبرت بذلك الشـيخ فقال : ادعها الى ، فأتيت بها اليه فلما دخلت بها عليه ، قال لها : يا أم عبد الدائم . اتركى لى ماضى يسافر معى ، وأرجو لك من الله خيرا ، فقالت له : يا سيدى السمع والطاعة ، فدعا لها

---

(١) المفاخر العليه ... لابن عياد ص (٣٦) .

وانصـــرفت ، فـــولدت ونحن مســـــافرين مولـــودا ذكـــــرا وســـــمته « عبد الدائم » ... (١) .

وقد انتقل الشيخ أبى الحسن الشاذلى الى جوار ربه فى ذلك الســـفر فى « حميثرا » بالقرب من قنـــا ، بعد أن اوصى بأن يخلفـــه على الاخوان ، سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه ، فأكمل بهم الســـفر ، وبعد أداء فريضة الحج والعودة الى الاسكندرية ، استأذن الشيخ ماضى سيدى أبى العباس فى الذهاب الى اقليم دسوق ، لنشر طريقة شـــيخه هناك ، وقـــد اختار قرية « محلة ابو على » لقربها من النيـــل ، ولأنها كانت ميناء هاما فى ذلك الوقت ، واستقر بها ، وبنى بها زاوية للطريقة الشاذلية ، ينشر فيها تعـــاليم شـــيخه ، وهديه ، وقـــد توارثها أولاده من بعده ، ووســـعوها ، وجعلوها مسجدا كبيرا ، حتى صار الأمر الى السيد عبد الله المحجوب والد الامام أبى العزائم ، والذى كان خليفة الشاذلية على هذا الاقليم ، وأحيـــا الطريقة فى زاويته ، وظـــل مجاهدا فى نشر مبادئها وآدابها متجولا فى ربوع البـــلاد ، لزيارة الصـــالحين ، والتبرك بهم ، والتعرف على آثارهم ، حتى لقى الله عز وجل ، ولا يزال ضريحه الى يومنا هذا بالمسجد الذى أسســـه الشيخ ماضى بن سلطان رضى الله عنهم أجمعين .

---

(١) درة الأسرار ص ٢٢٢ .

الفصل الثاني

مولـده ونشـأته

- مولـده
- نشـأته
- ميوله الصوفية

دراسـته في القاهـرة

- تمهيـد
- في الأزهر الشريف
- في دار العلوم

مولـــده

كان والده السيد عبد الله المحجوب يزاول التجارة فى الغلال الى جانب عمله فى الزراعة ، وكان يجمـــع الأرز من الفلاحين ، ويقوم بتوريده الى مضرب الأرز بمدينـــة رشـــيد ، ولمـــا كان رضى الله عنه يكثـــر من زيارة الصالحين احياءا وامواتا ، وكانت زوجته السيدة / آمنة المهدية تشاركه نفس هذا الحب لآل بيت رسول الله وللصالحين اجمعين ، فكان يأخذها معه كل عام مرة الى مدينة رشيد ، حيث يباشر عمله ، ويمكنها من زيارة الصالحين فى تلك البلدة .

ولمـــا حملت بالامام ابى العزائم رضى الله عنه وكان ميعـــاد الوضـــع يصادف أيام ذهابهم الى رشيد ، أراد رضى الله عنه ان يصرفها عن الزيارة فى هذا العام لقرب أيام وضعها ، ولكنها أصرت وتوسلت اليه ان يحملهـــا معه حتى لا تتخلف عن عادتها ، وذلك ليقضى الله امرا كان مقدورا .

وشـــاءت ارادة الله تعالى تكريم هذا الولى من لحظة ولادته ، وقـــد ذهبت السيدة آمنة المهدية لزيارة مسجد سيدى زغلول برشيد ، وهو اكبر جامع بها ، ويزيد عدد أعمدته على الثلاثمائة والستين ، وهو المسجد الذى اذن من فوقه مؤذن الجهاد ضد الحملة الانجليزية عام (١٨٠٧) ميلادية « حملة فريزر » ويتوسطه ضريح سيدى زغلول رضى الله عنه ، ولمـــا دخلت رضى الله عنها الى هذا الضريح المبارك ، اذا بآلام الوضع الشديدة تنتابها فجأة بدون مقدمات ، حتى أنهـــا لم تتمكن من الخروج من الضريح ولو لأى مكان فى داخل المسجد ، فأغلق الخادم عليها باب الضريح ، وأسندت ظهرها الى المقصـــورة الكائنة به وولدت الامـــام محمد ماضى ابو العزائم بدون الم ولا تعب فى الوضع كالعادة المرعيـــة ، وكان ذلك فى صـــبيحة يوم الاثنين الســـابع والعشرين من رجب ســـنة الف ومائتين وست وثمانين من هجرة النبى صلى الله عليه وســـلم ، والموافق الثانى من شهر نوفمبر ســـنة الف وثمانمائة وتسعة وستين ميلادية ، فجاءها الخادم بقطعة من القماش الموجود على ظهر الضريح ، فلفته فيها وخرجت به فى الحال ، طفلا بهيجـــا يسر الناظرين .

نشـــأته

وقد اهتم السيد عبد الله المحجوب بتربية أولاده تربية علمية ، وساعده على ذلك ثراؤه الواسع ، وثقافته الدينية ، وقد اهتم بصفة خاصة بمن أقبل منهم على العلم وهم : احمد ومحمـــد وزينب .

فأحضر الشيخ عبد الرحمن عبد الغفار ، ليحفظهم المتون كالعادة المرعية فى ذلك الـــزمن ، وذلك بعد حفظ القرآن الكريم كله ، وقد أتمـــه الامام أبى العزائم فى ثلاث سنوات ، حيث ذهب الى الكتاب فى الرابعة من عمره ، وأتم حفظ القرآن الكريم فى الســـابعة تقريبا ، وقد أشار الامام أبو العزائم رضى الله عنه الى المتون التى حفظها على الشيخ عبد الرحمن عبد الغفار فى مقدمة كتابه أصول الوصول طبعة (١٩١٢) ميلادية فقال رضى الله عنه :

« وقد أتممت حفظ متن أقرب المســـالك لمذهب الامـــام مالك بن أنس ، وقسم العبادات من الموطـــأ ، ومتن السنوسية فى علم التوحيد ، ومن علم النحو الأجرومية والألفية ، ومن علم الحديث المختصر للامام الزبيدى ، وذلك على الشيخ عبد الرحمن عبد الغفـــار » .

وقد انتهى رضى الله عنه من حفظ تلك المتون فى فترة وجيزة ولمـــا رأى والده شغفه الكبير بالعلم ، اهتم بتلقينه العلوم الدينية ، فعهد الى الشيخ محمد القفاص تدريس علم التوحيد له رضى الله عنه ، وطلب من الشيخ محمد الخطيب أن يدرس له الفقه ، وقام بنفسه بتلقينه الطريقة الشاذلية وأورادها واحزابها ، ودرس معه الكتب الهامة فى علم التصوف ، وخاصة كتاب « احياء علوم الدين للامام الغزالى » وكتاب « قوت القلوب » لأبى طالب المكى ، وركز معه أيضا على دراسة السيرة النبوية العطرة ، فقرأ معه كتاب « الشـــفا فى التعريف بحقوق المصطفى » للقاضى عياض ، وسيرة الرسول ﷺ لابن هشام ، « والطبقات الكبرى » لابن سعد ، وساعده على ذلك ، المكتبـــة الضخمة التى كان يحتفظ بها فى بيته ، والتى تضم أمهـــات الكتب الدينيـــة واللغوية والصوفية فى ذلك الوقت .

ميـــوله الصــــــوفية

ظهر لنا كما أوضحنا ، أن الامام ابى العزائم رضى الله عنه نشأ فى بيئة صوفية ، اذ أن والده رضى الله عنه ، كان نائب السادة الشـــاذلية فى اقليم « دسوق » وليس هذا فحسب ، بل انه كان يميـــل الى زيارة الصـــالحين احياء وأمواتا فى مختلف الجهات ، حتى انه أخذه رضى الله عنه فى عام واحد وعنده اثنى عشرة سنة الى رحلة الحج ، فرافقته فى هذه الرحـــلة ، وبعـــد رجوعهما ، أخذه فى سياحة فى ربوع البلاد للتعرف على الصالحين وزيارتهم ، ويتضح لنا مدى ثقافة السيد عبد الله المحجوب رضى الله عنه وسعة صـــدره فى انه رغم أنه من أخلص أتباع الطريقة الشاذلية لم يمنـــع ولده محمد من الأخذ على الطريقة الرفاعية ، وتلقى أورادها وأحزابها من الشيخ غانـــم الخشاب ، عكس ما كان متبعا فى ذلك العصر من تعصب المتصوفة لمشايخهم، وتمسكهم بهم ، حتى ولو كانوا على غير ما يتطلبه هذا المقام العالى من شروط وأحـــوال .

ويظهر أن الذى دفع السيد عبد الله الى اهتمامه بتغذية الميول الصوفية عند ولده محمد ، ما توسمه فيه من الصـــلاح والهداية ، وما رآه عليه من احوال تنم عن شدة التعلق بالطريق وأهله حتى أنه رضى الله عنه حكى عن نفسه كما جاء فى كتاب « نيل الخيرات . . الطبعة الرابعة عشر ١٩٧٤ ميلادية صفحة ١٠٠ » فقـــال :

(بينما أنا نائم وأنا لم أشارف العشرة بعد ، اذ رأيت رســـول الله ﷺ وسيدنا على كرم الله وجهه مؤتزرين ، وبين يدى رسول الله ﷺ عبد أســـود اللون قبيح الخلقة ، تميز غيظا وحنقا ، فأخذه رســـول الله ﷺ بين يديه ، وقال لعلى : اضربه يا على ، فضربه سيدنا على كرم الله وجهه بالســـيف ثلاثا ، فلم يقطع رقبته ، ثم التفت الى وأنا بجواره ﷺ فقال : اعط السيف لمحمد ، فأخذته منه وضربت هذا العبد ضربة كانت القاضية ، فنحاه ﷺ ، وركله برجله ثم انصرف .

قال الامام رضى الله عنه : فأصبحت أحدث أبى بهذه الرؤيا ، فقال والدى متمثلا قول سيدنا يعقوب عليه السلام (يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين) (١) . واقبل أخى الأكبر أحمد فحدثته بها ، فضربنى على مفرق يدى ، فكسر ساق ذراعى ، ونادانى والدى أن أصحبه الى المسجد حسب عادته ، فوجد يدى مربوطة الى عنقى فقال : ألم أقل لك من قبل لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين) ... (٢)

وقد فهم السيد عبد الله رضى الله عنه من رؤيا ولده هذه ، أن ولده سيكون له شأن فى رفعة الاسلام ، لأن العبد الاسود اشارة الى الظلمات التى تنتشر فى الكون ، وتحجب العقول والأفئدة عن الاستضاءة بنور الايمان والاسلام ، وعجز سيدنا على عن قتل العبد فى الرؤيا واعطائه السيف للامام أبى العزائم ، يعنى تسليمه راية الفتح الالهى ، والنور الربانى للامام أبى العزائم فى هذا العصر المظلم .

والى جانب هذه الرؤيا وغيرها ، فقد ظهرت على مخايل الامام رضى الله عنه ، علامات صدق الارادة فى طريق الله عز وجل ، فكما يحكى عن نفسه رضى الله عنه فيقول :

(كنت كلما سمعت عن رجل صالح ذهبت اليه لزيارته ، وكلما رأيت مجذوبا أو صاحب حال تقربت اليه ، وكنت احب سماع سيرة السلف الصالح ، وقصص الصالحين ، وداومت على قراءة كتاب « روض الرياحين فى مناقب الصالحين للامام اليافعى رضى الله عنه حتى أننى من كثرة ترداده حفظته عن ظهر قلب) ... (٣)

---

(١) الآية (٥) سورة يوسف

(٢) نيل الخيرات — الطبعة الرابعة عشر ص (١٠٠ — ١٠١)

(٣) مقدمة كتاب أصول الوصول للامام أبى العزائم طبعة ١٩١٢ م

دراســـته فى القـــاهرة

● **تمهيـــــــد :**

انتقل السيد أحمد ماضى بن السيد عبد الله المحجوب الأكبر الى القاهرة لاتمام دراسته هناك ، وترك أخاه محمد لرعاية والده ومعاونته فى أمـــور معيشته لكبر سنه ، وهناك لمع نجمه ، فأسس مع الشيخ على يوسف مجلة الآداب عام (١٨٨٣) ميلادية ، وهى مجلة أدبية تاريخية شهرية تصـــدر فى كل شهر مرة ، ولمـــا وجدا أنها لا تفى بتطلعاتهما ، انشأ سويا جريدة المؤيد عام (١٨٨٩) ميلادية وهى صحيفة يومية كانت تعالج أحوال المجتمع فى ذلك الوقت ، وتدعوا الى اليقظة الفكرية والسياسية فى وجه الاســـتعمار وسياساته التوسعية ، وظل الحال كذلك حتى توفيت السيدة آمنة المهدية ، فحزن الجميع لفقدانها ، وازاء ذلك ، أصر أحمد على أن ينقل الأسرة كلهـــا معه الى القاهرة ، وكان الامام أبو العزائم فى السادسة عشرة من عمـــره فى ذلك الوقت .

فى الأزهـــر الشـــريف

بعد الانتقـــال الى القاهرة ، تعـــرف الامام أبو العزائم على كثير من الشخصيات البارزة ، التى كانت تجلس فى مقر صحيفة المؤيد لتناقش قضايا الساعة ، وارتاح بصفة خاصة الى الشيخ حسن الطويل ، أستاذ التوحيـــد بالأزهر ، فكان يرافقه فى سيره ، ويزوره فى بيته ، ويجلس معه الســـاعات الطوال يتناقشان فى مختلف القضايا الدينية ، وقد أشار الشـــيخ حســـن الطويل ، على السيد أحمد ماضى أن يلحق أخيه محمد بالأزهر ، ليتزود من علومه الدينية المختلفة ، فوافق على ذلك ، ودخل الامام أبو العزائم الأزهر لأول مرة فى السابعة عشرة من عمره ، واقبل على العلم بعزيمة لا تعـــرف الكلل ، حتى أنه كان يحصل ما يحتاج الى سنوات طويلة فى أيام قليلة .

فى دار العلوم

وفى تلك الآونة ، انشأ السيد على مبارك مدرسة دار العلوم ، لحاجة وزارة المعارف الى مدرسين اكفاء ، ونوع المناهج بها حتى تخرج المدرس الصالح فى نظره للقيام بتربية النشىء ، حيث انه كان يرى أن العملية التعليمية كلها تتوقف على استعداد وكفاءة المدرس ، فأشار السيد أحمد ماضى على اخيه محمد أن يتقدم لمدرسة دار العلوم ، وان يستعد للامتحان الذى يجرى للمتقدمين لاختيار المقبولين فى هذه المدرسة ، ولم يكن بقى على زمن الامتحان سوى خمسة عشر يوما ، ولكن الامام رضى الله عنه واصل الاستذكار ليلا ونهارا ، حتى استوعب المواد المقررة للامتحان ، ودخل الاختبار ، واجتازه بمهارة كبيرة حازت اعجاب جميع الممتحنين .

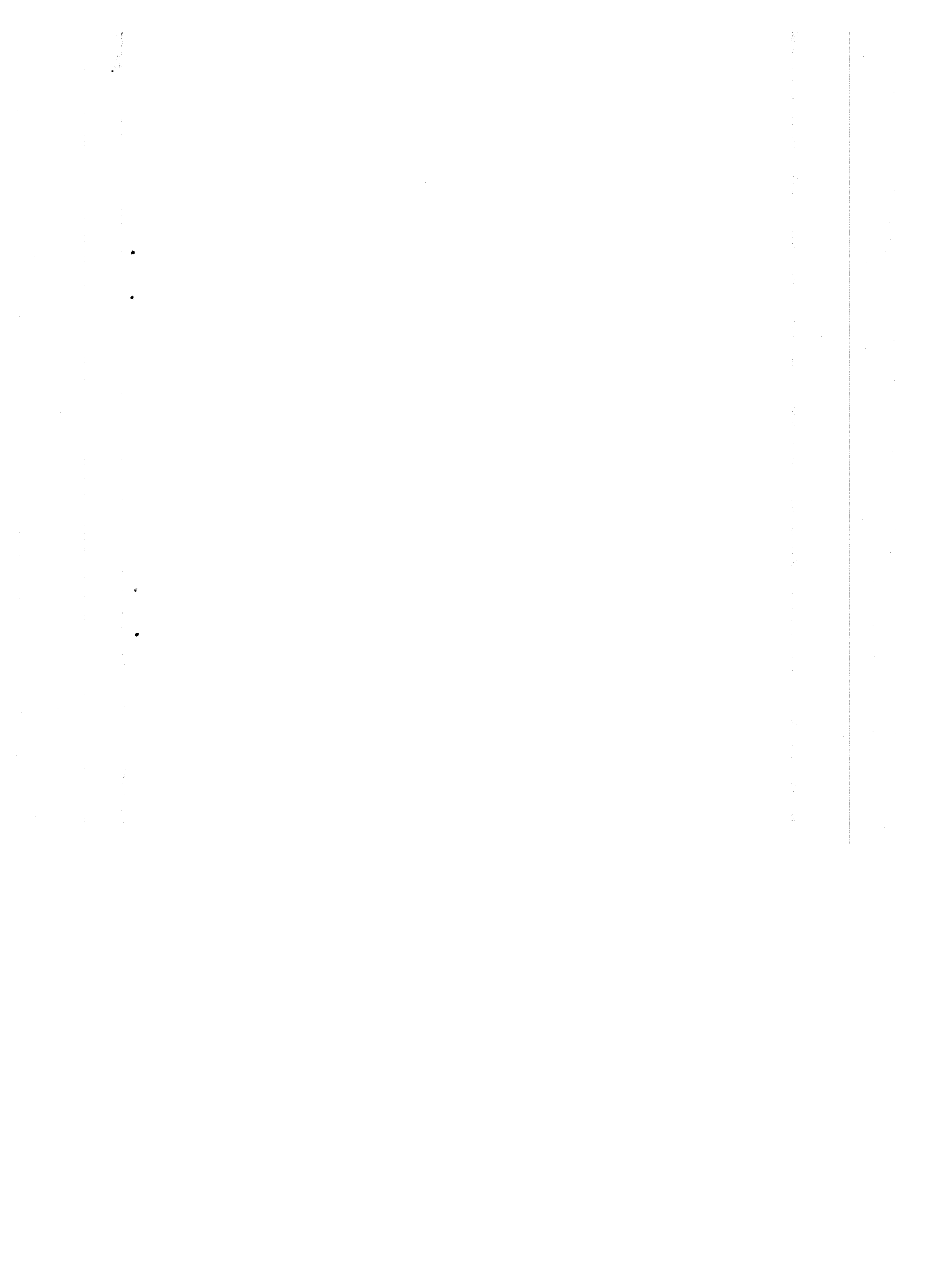
وقد تخرج رضى الله عنه فى أول دفعة من دار العلوم وانخرط فى سلك التدريس فى وزارة المعارف ، حيث عين مدرسا بمديرية المنيا عام (١٣١١) هجرية الموافق عام (١٨٨٢) ميلادية .

هذا وقد حرص الامام رضى الله عنه ايضا على تنمية ميوله الصوفية اكثر واكثر ، خاصة وأن مدينة القاهرة تعج بالكثير من أولياء الله الصالحين احياء واموانا ، فكان يتردد على مزارات آل البيت الكرام ، وأولياء الله الصالحين ، كما كان يزور كل من يسمع عن صلاحه وتقواه من الأحياء الموجودين ، وقد استأنس بصفة خاصة بالشيخ حسنين الحصافى صاحب الطريقة الحصافية الشاذلية ، ولازمه فى معظم أوقاته ، وأخذ عنه الطريق ، وتلقى منه الأوراد والأحزاب والادعية والاستغاثات .

الفصل الثالث

الدعـــوة الى الله

- في المنيـــا
- بـــدء دعـــوته
- قصـــة الشـــيخ الصبيحى



فى المنيـــا

بعد أن عين الامام أبى العزائم مدرســـا فى مديرية المنيا ، شاءت ارادة الله أن يتوفى السيد أحمد ماضى ، الاخ الاكبر رغم صغر سنه ، بعد أن بزغ نجمه فى عالم الصحافة ، حتى سمى (شـــيخ الصحافة الاسلامية) فانتقل الامام بالأسرة كلها ، واستقر بهم فى بلدة المطاهرة جنوب المنيـــا ، وفى ذلك الوقت تلقى الأمر من سيدنا رسول الله ﷺ بالدعوة الى الله عز وجل ، فرأى فى ليلة الثانى عشر من شـــهر ربيع الأول (أى ليلة ميلاد رسول الله ﷺ) رســـول الله ﷺ وشرح له فى تلك الرؤيا كثيرا من معانى الآيات القرآنية ، ولقنه صيغ فى الصـــلاة على حضرته ﷺ سماها (الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصـــلاة على خـــير البرية) ، ثم لقنـــه دعـــاء الغوث (غوث العصر) وأمره أن يدعو به ويلقنه لجميع المسلمين ، وهو (اللهم باســـمك العظيم الأعظم ، وبجاه المصطفى ﷺ ، وبسر أسمائك الحسنى ما علمنا منها وما لم نعلم ، أن تعجل بالانتقام ممن ظلم ، وأن تهلك الكافرين بالكافرين ، وتوقع الظالمين فى الظالمين ، وتخرج المســـلمين من بينهم ســـالمين غانمين آمين يارب العالمين .

بـــدء دعـــوته

فبدأ رضى الله عنه منذ ذلك الحين تبليغ رسالة الله ، ودعوة الخلق الى الله حيث كان يقضى معظم وقتـــه مع الخلق ، يقرأ عليهم دروســـا فى مذهب الامام مالك رضى الله عنه بالمسجد ، ويتكلم معهم فى الأخلاق والتوحيد وغيرها بعد ذلك ، فاذا كان يوم الخميس من كل أسبوع ، أخذ زاده معه وذهب الى احدى القرى أو المدن المجاورة ، فيؤم بيت الله ، ويجلس مع المصلين يحدثهم بما يفتح الله عليه من العـــلوم والمعـــارف الالهية فى شرح الآيات القرآنيـــة والأحاديث النبوية ، حتى اذا آنس منهم الرغبة فى العـــودة الى منازلهم ، صرفهم بلطف ، ويصر أن يبيت بالمســـجد ، فيحى ليله بذكر الله ، حتى اذا اقترب الفجر ، قام فتوضأ وصلى ما تيسر له ، ثم يصعد الى مأذنة المسجد ،

فيردد بصـــوته الندى مـــا يلهمه الله عـــز وجل به ، من المواجيد الروحانية والقصائد الصوفية ، حتى يحين موعد الآذان ، فيؤذن للفجر ويصلى بالناس جماعة ، ثم يعتكف فى بيت الله حتى صلاة الجمعة فيؤدى الخطبة ، وينصرف الى منزله بالمطاهرة .

فكان لهذا الحال دوى كبير وأثر عظيم فى نفوس الناس حتى أن دعوته رضى الله عنه وصلت الى كل مدن الصعيد ، من الجيزة حتى أسوان فى وقت قصير جدا ، وما ذلك الا لصدق ارادته وصفاء يقينه ، ومدى اخلاصه وفنائه بكله فى دعوة الله عز وجل ومما يدل على ذلك أنه رضى الله عنه وارضـــاه ، كان ســـائرا مع بعض رفاقه بالقرب من سمالوط بمحافظة المنيا ، وأدركتهم العشـــاء بالقرب من الدير الشهير هناك ، فأمر أحد أصـــحابه أن يؤذن ، وأمـــر الباقين بتجهيز المكان والتجهز لأداء الصـــلاة ، وأثنـــاء قيامهم بأداء الصـــلاة ، أحس الرهبان بدافع غريب يدفعهم الى الخروج لمشـــاهدة هذا الشيخ المسلم ورفاقه ، وبعد انتهاء الصلاة أخذ رضى الله عنه يشرح بعض الآيات القرآنية التى تتحدث عن سيدنا عيسى والسيدة مريم ، فما كان منهم الا أن أخذوا يقتربون رويدا رويدا وهم لا يشـــعرون ، حتى انضـــموا الى الحلقة المحيطة بالشـــيخ ، وظل هذا المجلس لساعات ، حتى عرضوا عليه استضافته فى الدير ، فدخل وقضى معهم الليلة حتى مطلع الفجـــر ، وانتهت تلك الليلة المباركة باسلامهم جميعا ، وتغيير أسمائهم الى أســـماء اسلامية سماها رضى الله عنه ، وسمى كبيرهم : الجنيد ، ولا يزال حيا يرزق الى يومنا هذا .

وقد قال فى ذلك رضى الله عنه معبرا عما حدث له تلك الليلة :

حبيبى قـــد شـــــرح صـــــدرى	وآنســـــنى الـــــى الفجـــــر
واطلعنـــــى عـــــلى معنـــــى	مـــن الاحســـــان والبـــــر
ورقـــانـــى الـــــى أعـــــلى	مقـــــام القـــرب والســـــير
ســـــمعت حنــــين رهبــــان	لـــدى نظـــرى الـــى الـــزهر
وعنـــد شـــــهودهم حســـــنى	تمنـــــوا يقتفـــــوا أثـــــرى

ونـــادانى الامـــام هيـــا   أتـــاك الوصـــل بالبشـــــر
فقـم للـديـر بـا مـاضى   فانـى قـد صـدر أمــــرى
تملـــى بـــى وشـــاهدنى   وسل عنـدى عـن الغـير
وأنبـا مـن يـرد قـربى   بحسـنى حيث لا يـدرى

قصـــة الشـــيخ الصبيحى

وانتقل رضى الله عنه الى بلـدة الابراهيمية بمحافظة الشرقية ، وكأنما كان النقل لأمور يريدها الله ، وأحـوال يريد أن يبينها ويظهرها عز وجل ، فقد تعرف رضى الله عنه هناك على أول رجل اكمل تربيته ، وشهد له ببلوغه مقام الرجال فى هذه البلدة ، وهو الشيخ الصبيحى رضى الله عنه ، وقد كان عالما من علماء الازهر ، الا انه رفض الوظائف الحكومية ، وأثر أن يشـتغل بالأعمال الحرة ، ففتح دكانا يبيع فيه البضائع المختلفة ، وكان رضى الله عنه مشغولا بعلم الكيمياء ، وما يدعى بعض المنتحلين الى هذا العلم ، من تحويل المعادن الى ذهب ، فحضر درسـا للامام رضى الله عنه بالمسـجد الكبـير بالبلدة ، وقد ألمح أثنـاء الدرس الى علم الكيمياء ، وصناعتها ، ودون جابر ابن حيان فيها ، وكيف أن الأصول التى استنبطها جابر خفيت على من بعده، فلم يتمكنوا من تطبيق قواعده وقوانينه ، ففهم الشيخ الصبيحى من ذلك ، أن الامام يعرف أسرار الكيمياء التى اخترعها جابر ، وبالتالى يعرف تحويل المعادن الى ذهب ، فطلب منه بعد الصـلاة أن يتلقى على يديه هذا العلم ، وأظهر الامام الموافقة ، ولازمه مدة ، والشيخ يريد ان يخرجه من هذا الوهم، بالحكمة الروحانية ، ولكنه كان مصرا على ما اراد ، حتى حدث له ما ثنى عزمه عن ذلك .

وهو أنه دخل دكانه فوجد كل أصناف البضاعة فى نظره ذهب خالص ، فكلما جاءه مشترى ، والمشترى يرى الصـنف على حالته الطبيعية ، فيقول له : اعطنى كذا ؟ فيذهب الشيخ الصبيحى الى الصنف فيجده ذهبا . فيقول له : هذا الصنف غير موجود ، والمشترى يراه فيقول له : هذا الصنف موجود

وهو هذا وقد ذهبت اليه ، فيقول : لا أبيعه لك . ولا يزال هذا الأمر به حتى وصفه الناس بالجنون .

واذا بالامام ابى العـزائم يأتى اليـه ويرده الى حالته ، ويشرح لـه كيمياء الصـالحين ويقول له : يـا بنى ان كيميائنا هى تقوى الله عز وجل ، ومراقبته ، ولا زال به حتى وصل الى حال كمل الاولياء فى الصدق والصفاء والطهر والنقاء رضى الله عنه ، ثم حدث أن سرحت وزارة المعارف بايعاز من الانجليز عددا كبيرا من المدرسين بحجة ضغط المصروفات الحكومية ، فرجع رضى الله عنه الى المنيا ، وكتب طالبا اعادة تعيينه ، فاستجابت الوزارة ، وعين بالمنيا ، واستقر بها بعض الوقت ، ثم انتقل الى أسوان وادفوا ، وفى تلك الاثناء ، طلبت حكومة السـودان تعيين مدرسين بها ، فتقدم رضى الله عنه واختارته اللجنة الخاصة بذلك ، وعين مدرسـا بحكومة السـودان فى بلدة « سواكن » بجنوب السودان .

الفصل الرابع

جهـاده في الســـودان

- في ســـواكن
- التبشير بالاسلام
- في وادى حلفـا
- العودة الى ســـواكن

(م ٣)

فى ســــواكن

ذهب رضى الله عنه الى ســـواكن ، وكل همه الدعوة الى الله عز وجل فكان يتضى وقته متنقلا بين المســاجد يقرأ على الناس ، صـحيح البخارى ويشرح أحاديثه ، ويشرح لهم ايضـــا قسم العبادات من الموطأ للامام مالك ، وفى بحثه عن الصــالحين ، تعرف على الشــيخ عبد الرحيم السواكنى ، وكان من أجل مشايخ الطرق الصــوفية فى الســودان ، وله اتباع كثيرون منتشرون فى كل أرجاء الســودان ، وكان يسكن بجزيرة فى النيــل بالقرب من ســـواكن .

ويضرب الامام لنـــا مثلا نادرا فى التفانى عن النفس فى الدعوة الى الله عز وجل ، فلقد ظـــل يتقرب من هذا الرجل ، حتى صـــيره خادمه الذاتى ، يناوله وضــــوءه ، ويقضى له حاجاته الخاصة ، وهو فى كل ذلك لا يظهر اى شىء من مكنون ما خصه الله عز وجل به ، حتى وثق به الشيخ عبد الرحيم ، وثوقا بليغا ، ولما أن الأوان لكشــــف الغطـــاء وانبلاج الحق ، وكان ذلك فى ليلة المولد النبوى ، وكان الشيخ عبد الرحيم يتيم حفلا ضخما بهذه المناسبة، يحضره المريدون بل وجميع الطرق الصــوفية من شتى انحـــاء السودان ، ويجلس هو على كرسى عـــال خاص به ، وله ثياب مزركشه بكل اصـــناف الزينة ، لا يلبسها الا فى تلك المناســـبة ، فتقدم منه الامام ابو العزائم رضى الله عنه ، وطلب منه أن يلقى كلمة فى تلك المناســـبة ، فوافق على الفـــور لاعزازه له ، وتقديره له ، لحســـن أدبه فى خدمته ، وما أن تكلم الامام أبو العزائم وتغنى ببعض مواجيده ، حتى فوجىء جميـــع الحاضرين بالشـــيخ عبد الرحيم يخلع ملابســه ، ويصرخ بأعلى صوته ويقول : انت الذى ابحث عنك عمرى كله ، وتوضئنى ولا اعرف ... ياويح عبد الرحيم ، وينوح على نفســــه ، ثم رزقه الله الصـــدق والنورانية اثر خروجه عن جاهه وكبريائه واخلاصه فى متابعة الامام ابى العزائم ، حتى انه اصابه حياء عظيم ، جعله يجلس دائما خارج المكان الذى يجلس فيه الامام أبى العزائم ، واذا واجهه ينكس رأسه فى الأرض ، وعندما سئل عن ذلك قال : لا أستطيع أن اثبت بصرى فى وجــــه مولانا رضى الله عنه . وبلغ به الحب لأبى العزائم حتى قال فى ذلك :

واذا الجبال تزحزحت عن ارضــها ... عن جبنــا فى الله لا نتحــول
وحــى الســماء منزل ببيوتنــا ... وحقــائق الآيات عنــا تنقــل
واذا تجلى بالجمــال حبيننــا ... فى الأوليــا فلنــا الطــراز الأول
قل للحســود اخســأ فانك جاهل ... بجدانيــا يتوســل المتوســـــل

التبشــير بالاســلام

وقد اثر رضى الله عنه سواكن على سواها من بلاد السودان ، لقربها من المنطقة الجنوبية التى تنتشر فيها الوثنيه ، فكان أول من عمل على نشر الاسلام فى هذه المنطقة فى العصر الحديث ، ليثبت للعالم كله أن الاســلام لم ينتشر فى كل أنحاء القارة الافريقية الا بجهود المخلصين من أتبــاع الطرق الصوفية ، وليكذب دعوى الذين يتهمون الصــوفية بالسلبية والانعزالية ، والفضل ما شــهدت به الأعــداء ، فهذا ارنولد يقول فى كتابه الدعوة الى الاســلام : (وفى غرب افريقيا كانت هناك طائفتان قائمتان بصــفة خاصة على نشر الاسلام : هما : القادرية والتيجانية) ... (١) ويتحدث أيضــا عن اثر الطريقة الادريسية والمرغانية فيقول عند حديثه عن الحركات التى عملت على نشر الاســلام فى افريقيا : (ومن اسبق تلك الحركات ، حركة يعزى قيامها الى السيد / احمد بن ادريس ، وقد أرسل قبل موته عام ١٨٣٥ ميلادية احد أتباعه ويدعى محمد عثمان الأميرغنى فى رحلة الى افريقيا لنشر تعاليم الاسلام) ... (٢) .

وهكذا السنوسية وغيرها من الطرق الصوفية الأخرى التى عملت على نشر الاسلام ابتغاء رضوان الله عز وجل .

وقد قام لب دعوته فى هذا القسم الجنوبى على امرين : أولهما : احتياج هذه المنطقة الى الملح ، حيث انه لا يتوافر بهــا ثانيا : رغبة أهلها فى تعدد الزوجات ، وهذا لا يتنافى مع الاسلام وان كان يتعارض مع الأديان الأخرى ، فكلف اتباعه المخلصين بجلب الملح والذهاب به الى الجنوب على هيئة تجار،

(١) الدعوة الى الاسلام ارنولد ص ٣٦٥
(٢) نفس المرجع السابق ص ٣٦٤ .

وفى اثناء ذلك ، يتبادلون الحديث مع السكان ، ويعرضون عليهم بلطف ولين مبـادىء الاسـلام السـمحة ، ووعدهم على ذلك غنى الدنيا وسـعادة الآخـرة .

وقد كان لما قام به رضى الله عنه واتباعه ، اثر كبير فى دخول سـكان الجنوب الاسلام ، حتى ذعـر الانجليز من هذا الأمر ، خاصة أن المبشرين الذين جاءوا بهم ومعهم كل الامكانيات المادية ، عجزوا امام فقراء آل العزائم الصادقين ، فما كان منهم الا أن قاموا بنقله الى وادى حلفـا .

فى وادى حلفـا

وفى وادى حلفا ، وجـد الامام رضى الله عنه الناس هناك مشـتغلين بالملاهى والخمر ، ويقضون جل وقتهم فى هذه الأشـياء ، ولا ينتبهون من شـدة غيهم ، وفسـاد أحوالهم ، لشأن الشريعة وأحكامها فبدأ رضى الله عنه ، يدعوهم الى الله عزّ وجل ، بطريقة حيرت النهى ، ضرب بها المثـل الأعظم للداعى الصادق فى كيفية جذب العصاة والنافرين الى الله عز وجل ، حتى أنه رضى الله تعالى عنه كان يدخل الحانات والخمارات ليدعو اهلها الى التوبة والاقبـال على الله ، لانه لا يتيسر له أن يجالس أمثـال هؤلاء الا فى المواطن والمجالس التى يرتعون فيها ، ومن بين الوقائع الكثيرة له رضى الله عنه فى هذا المجال ، نذكر انفسنا بهذه الواقعة :

فقد دخل رضى الله عنه الحانة ذات يوم ، واتجه الى منضـدة يجلس عليها كامل أفندى مدير عام السكة الحديد فى السـودان ، فى ذلك الوقت ، وكان يتردد يوميـا على الحانة ويقضى معظم وقته فيهـا ، وعندما أخذته المفاجأة بجلوس الامام معه على المنضـدة ، طلب الخمـار ، وطلب منه أن يحضر للشـيخ قدحا من القهوة ، واذا به يفاجأ بالشيخ يقول له لا ، ولكن احضر لى زجاجة خمر وطبق من الكبد الطرى ، فتعجبا معا ، وامام اصرار الشيخ رضى الله تعالى عنه ، احضر مـا طلب ، فوضع رضى الله عنه جرعة من الخمر على الكبد الطرى ، فاذا به يتفحم ويتحول الى اللون الاسـود ، فتعجب كامل افندى من هذا المنظر الذى لم يخطر بباله قط ، فقال له رضى الله تعالى عنه ، هذا ما يفعله الخمـر بكبدك وأنت لا تشـعر ، وواصـل الحديث شـارحا له مفاسد الخمـر ومضارها ، حتى أعلن توبته ، وذهب به الى المسجد وصار من كبـار أحبابه ومريديه ، وهكذا ظل رضى الله عنه يتردد على الحانات حتى عرفه أصحابها ، فبمجرد دخوله ، يقدمون له قدح

القهوة ويتجاذب الحديث مع الرواد ، فيصلح فى كل يوم نفرا منهم على الله عز وجل ، ويوجههم الى طاعته وحسن العمل بشريعته ، وفى اثنــاء ذلك ، كان يتردد الى اماكن السماع واللهو أيضــا ومعه نفر من اخوانه ، يغنون الاناشيد الدينية والمواجيد الروحانية ، التى تعلمهم أحكام الاسلام وآدابه ، ويتولى رضى الله عنه شرحها ، حتى هــام بها اهــل البلد جميعا ، فصاروا يتغنون بها فى غدوهم ورواحهم ومنازلهم وأماكن اعمالهم ، ثم أقبل بهم بعد ذلك على أحكام الشريعة الاســلامية وعلومها شرحا وتفصيلا ، حتى شرح الله صدورهم للاقبال على أركان الاسلام والعمل بها .

العــودة الى ســواكن

وفى تلك الأثناء قام شيوخ القبائل فى سواكن بشكاوى متعددة للادارة الحكومية مطالبين بعودته رضى الله عنه ، فما كان من الادارة الا أن وافقت على مضض ، فرجع رضى الله تعالى عنه الى سواكن ، وقد كان ظهر فى ذلك الوقت دعوة الماسونية ، وهى حــركة يهودية تمهد لقيــام دولة يهودية فى فلســطين ، فأخذ رضى الله عنه يتحدث عن أهداف هذه الحركة ومبادئها ، ونواياها الخفية التى لا تظهرها فى الاجتماعات العلنية ، وذلك أثنــاء شرحه وتفسيره للآيات القرآنية التى تتحدث عن بنى اسرائيل ، حتى انه أشار ذات مــرة الى مرجع ظهــر سرا فى الولايات المتحدة الأمريكية عــام (١٩٠٦) ميلادية ، وهو : دائرة المعارف الماسونية ونقل منه ما يلى : (أن يكون كل محفل ماسونى رمزا لهيكل ، وأن يكون كل اســتاذ على كرسيه ممثلا لملك اليهود ، وأن يكون كل ماسونى تجسيدا للعامل اليهودى) ، فتعجب حاكم سواكن السير جرانفيل ، وطلبه وطالبه بالمرجع الذى أشــار اليه ، فأشار الامام بيده الى صــدره قائلا : هذا هو المرجع ، فتعجب الحاضرون ، وزاد عجبهم عندما قال لهم : انه ليس لديه نسخة من دائرة المعارف ، وأن منزله تحت أمرهم ليتأكدوا من ذلك وقال : ان المؤمن يرى بنور الله عز وجل لأن الله هو المؤمن ثم قال للحــاكم الانجليزى : اهذا المطبوع موجود أم لا ؟ فأجاب الحاكم بالايجاب . فقال : ففيم اذا الاستجواب ؟

اننى أتكلم معكم بما تقولون عن أنفسكم ...... (١) .

---

(١) الامام أبو العزائم لعبد المنعم شقرف ص ١٥١ .

الفصل الخامس

الجهـاد المقـدس

- تمهيـد
- جهاده الانجليز فى السودان
- اثـره فى أهـل السودان
- جهاده للانجليز فى مصر
- جهـاده الاسـلامى
- أمراض المجتمع الاسلامى وعلاجها
- وسائل تحقيق المجد الاسلامى

تمهيـــــد

يجدد الامام رضى الله عنه فى هذا الفصل كما سنرى ، أحوال الصوفية الصادقين ، وتنفيذهم الحق قول رسول الله ﷺ : « افضل الجهاد كلمة حق عند سـلطان جائر » (١) والحق أن تاريخ الصوفية العظام يســجل لهم انصع الصفحات فى الجهاد فى ســبيل الله ، والمجاهدة للظلمة من الحكام ، وحث العامة على عدم الرضا بالواقع المر ، لأن شعارهم قول الله عز وجل « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » (٢) فهنا هو الامام الغزالى رضى الله عنه عندما توالت الهزائم على المســلمين فى الأندلس ، يكتب الى ابن تشــفين ملك المغرب يستنهضه ويقول له فى عنف المؤمن الذى لا يعرف فى الحق لومة لائم : « اما أن تحمل سيفك فى ســبيل الله ، واما أن تعتزل امارة المسلمين حتى ينهض بحقهم سواك » وهذا محى الدين بن عربى رضى الله تعالى عنه ، عندما تهاون الملك الكامل فى قتال الصليبين قال له : انك دنئ الهمة ، والاسلام لن يعترف بأمثالك ، فانهض للقتال ، أو نقاتلك كما نقاتلهم » .. (٣) وهذا الامام أبو الحسن الشاذلى رغم فقد بصره ، يذهب هو واتباعه مع قافلة النور ، تضم رجالات من اعظم الرجال فى العلم والدين، العز بن عبد الســلام ، مجد الدين القشــيرى ، محى الدين بن سراقه ، مجــد الدين الاخميمى ، الفقيه الكــامل بن القاضى صــدر الدين ، الفقيه عبد الحكيم بن أبى الحوافر ، الى المنصورة فى ميدان القتال ، ليحثوا الجند على الجهاد ، ويعملوا على رفع روحهم المعنوية ، حتى تم لهم النصر ، ووقع لويس التاسع أسيرا فى دار ابن لقمان ، بل ان أعظم دولة فى بــلاد المغرب العربى فى عصره الزاهر ، وهى دولة الموحدين ، أسسها ابن تومرت الداعية الصوفى ، وبلغ بها غاية مجدها تلميذه عبد المؤمن « ولم يقتصر دور الصوفية على جهاد أعداء الاسلام ، بــل انهم قادوا الثورات ضــد الحكام الظالمين،

---

(١) رواه ابو داود والترمذى وابن ماجه عن أبى سعيد الخدرى .

(٢) الآية (١١) الرعد .

(٣) الطرق الصوفية فى مصر د. عامر النجار ص ١٤ .

فهذا هو الصوفى الكبير الامام الدردير يقود الثورة الوطنية على الأمراء المماليك التى اشتعل لهيبها فى عام ١٢٠٠ هجرية عام ١٧٨٦ ميلادية ، والتى أعلنت فيها لأول مرة حقوق الانسان ، قبل الثورة الفرنسية بثلاث سنوات ، وكان من نتائج هذه الثورة المباركة ، اعتراف المماليك بأن الامة مصدر السلطات ، وبعدم فرض ضرائب جديدة الا برأى الشعب ، واعترافهم الكامل بحرية الأمة وكرامتها » (١) والأمثلة فى هذا المجال كثيرة وكثيرة ، ويكفى أن نسجل هنا شهادة لأحد الأقلام المنصفة فى هذا المجال حيث يقول « يسجل التاريخ لبعض الصوفية المسلمين ، مواقف لا تنقصها الشجاعة ايذاء نصح الحكم ورده عن ظلمه فى عزة مدهشة ، قل ان توجد ، فى مثل هذا العصر ، وقد كان اتصال اغلب المتصوفه بالقاعدة الشعبية أوثق منه بالقمة ، فكانوا اعرف الناس بآلام الناس ، وادى بعضهم دوره الاشتراكى الانسانى فى مجال المواساة والاسعاف والانصاف والارشاد ، ولم يحجم الا المتصوف ذو المزاج المريض » .... (٢) .

جهاده الانجليز فى السودان

انتقل الامام رضى الله عنه الى أم درمان ، فواصل رسالته ، وشرح حكم ابن عطاء السكندرى ، والموطأ للامام مالك ، بمساجدها ثم حدث أن طلبت جامعة غوردون بالخرطوم أستاذا لشريعة بها فتقدم رضى الله تعالى عنه ، وشغل هذا المنصب ، وبدأ منذ تلك اللحظة الجهاد على اشده مع الانجليز ،حيث أخذ يشرح للناس بالمساجد صحيح البخارى والموطأ ،ويحدثهم فى التوحيد والأخلاق ، وفى نفس الوقت يشرح لخاصة طلابه فى الجامعة وفى مقدمتهم ، الزعيم الوطنى السودانى على عبد اللطيف مساوىء الاستعمار ، ويطالبهم بالعمل المنظم للقضاء عليه ، واجلائه عن البلاد ، وأحس رضى الله تعالى عنه بروحه الشفافة وبصيرته النافذة بأن هناك اتصالات

---

(٢) التصوف طريقا ومذهبا د . كمال جعفر ص ٣٣ .

(١) مكانة التصوف محمد عبد الشافعى (ص ١٦٧) .

تجرى بين الشريف حسين فى مكة والحاكم الانجليزى فى مصر (مكماهـــون) فاعلن أنه ذاهب الى مكة لأداء العمرة ، وان كان هدفه الحقيقى هو مقـــابلة الشريف حسين ، وفعلا استطاع مقابلته ، وطلب منه أن يكلمه على انفراد ، واخذ ينصحه ، وعرفه بالمراسلات التى تمت بينه وبين الانجليز ، وما دار فيها رغم أن أحدا لم يكن يدرى بها بعد ، وطلب منه فى نهاية اللقاء ان يتخلى عن الانجليز ، ويساند اخوانه المسلمين والا يذكر لأحد شيئا مما دار فى هذا اللقـــاء ، ولكن الشريف حســـين اخبر الانجليز بما دار بينه وبين الامام ابى العزائم ، فاحسوا بالخطر نحوه ، وبدأوا فى محاولة استقطابه رضى الله عنه لجانبهم لكنه رفض كل ذلك ، فطلبه الحاكم العام الانجليزى فى السودان — ريجنالد وينجت — وطلب منه أن يكتب مبينا للناس مساوىء الخـــلافة الاسلامية فى تركيا ، وما يرغبهم فى التعاون مع الانجليز باعتبارهم يعمـــلون لتقـــدم البلاد ورفاهيتها ، فقال له الامام ابو العزائم رضى الله عنه : أتكتب ضد الانجليز ؟ قال : كيف هذا وانا رجل متعلم ؟ قال رضى الله عنه : اذا كيف تطالب منى أن اكتب ضد وطنى وانا معلم ؟ . .

ولم ييأس الحاكم الانجليزى من رد الامام ابى العزائم فتركه ينصرف ثم دبر مكيدة اخرى ، فأقام حفلا بنادى الضباط بالخرطوم ، دعا اليه الامام ابى العزائم وكبار الشخصيات الاسلامية والانجليزية بحجة التعـــارف بين المسلمين والانجليز ، ولكنه رضى الله تعالى عنه رفض حضور هذا الحفل ، وعندما سئل عن سبب رفضه قال : سأجيبكم فى المسجد الجامع .

وذهب الى المسجد الكبير بالخرطوم ، وكان غاصا بالمصلين ، وقرأ عليهم بصوته الندى قول الله عز وجل : « لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو اخوانهم أو عشـــيرتهم أولئك كتب فى قـــلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله الا أن حزب الله هم المفلحون » . (١)

---

(١) الآية (٢٢) من سورة المجادلة

واخذ يشرحها لهم بطريقة اثارت حماس الحاضرين ، حتى كانت شبه مظاهرة على الانجليز واعوانهم ، فأثار ذلك حنق الانجليز واقالوه من عمله وردوه الى مصر فى أول اغسطس ١٩١٥ ميلادية .

أثـره فى أهـل السـودان

غير انه رضى الله تعالى عنه ترك آثارا كبيرة فى اهالى السودان حيث انه جذب القلوب اليه بأخلاقه العالية ، وصفاته السامية ، خاصة زهده وورعه رضى الله تعالى عنه ، وقد وصل به الأمر الى ان الفقراء كانوا يتعرضون له فى اليوم الذى يقبض فيه راتبه ، فيوزعه عليهم ويرجع الى داره بغير شىء معتمدا على فضل الله عز وجل ، ولما استاء من حوله من هذا الأمر ، عاتبوه ذات مرة ، وبينما هو يتحدث معهم ، اذا بسيارة محملة بكل ما يتطلبه المنزل من حاجيات ، أرسلها رجل كريم من أهل اليسار ، فقال رضى الله عنه : « لقد احضر الله لكم كل ما تحتاجون اليه بغير نصب ولا تعب، وكأنه يعاملكم معاملة اهل الجنة »

وخص رضى الله عنه بحدبه وعطفه الفقراء ، حتى كان اكثر من مرة يطلب من اهل بيته تجهيز الولائم الفاخرة بحجة أنه سيزوره بعد صلاة الجمعة نفر من الوجهاء والأمراء ، ثم يعود الى المنزل وليس حوله الا نفر من الفقراء ، فيشمئز اهل المنزل من ذلك الوضع ويقولون له : لم تكلفنا وانت تعلم انه لن يأتى معك احد من الوجهاء ؟

ولما تكرر هذا الأمر منهم قال رضى الله عنه منبها لهم ومعلما لنا : الا ترون ؟ اليس عندكم بصيرة ؟ هذا وأشار الى فقير ذى أسمال باليه ، عند الله وجيها وهذا واشار الى مسكين حافى القدمين يلبس المرقعات وجيها فى الدنيا والآخرة ، وهذا أمير العباد ، وهذا أمير الزهاد ، وهكذا يضع لكل واحد من الفقراء ما يناسب حاله ومقامه عند الله عز وجل .

ويتمثل بقول سيدى ابى مدين رضى الله عنه :

ما لذة العيش الا صحبة الفقرا

هم السلاطين والسادات والأمرا

وقد افتتن الناس به فى الخرطوم بالذات ، نظرا للعلوم الوهبية التى افاضها الله عز وجل عليه ، حتى أنه رضى الله عنه كان يتحدث ذات مرة فى المسجد الكبير بالخرطوم ، فانبهر الحاضرون ، حتى قاطعه أحدهم قائلا : كلام من هذا يا مولانا ؟ هل هو كلام سيدى عبد القادر الجيلانى ؟ فأشار بيده اليه وقال : انتظر يا بنى ، ثم واصل الحديث وأتى ببيان اعجب مما تقدم ، فلم يتمالك الرجل نفسه ، وقال : كلام من هذا يا مولانا ؟ هل هو كلام سيدى محى الدين بن عربى ؟ فقال : انتظر يا بنى . ثم واصل الحديث ، وعلا بالعبارة حتى اسكر الحاضرين ، فما كان من الرجل الا ان وقف منبهرا وقال : كلام من هذا يا مولانا ؟ هل هو كلام سيدى أبا الحسن الشاذلى ؟ فقال رضى الله عنه سائلا له : يا بنى ، من الذى أعطى الشيخ عبد القادر الجيلانى ؟ قال : الله قال : ومن الذى اعطى سيدى محى الدين بن عربى ؟ قال : الله ، قال : ومن الذى أعطى سيدى أبى الحسن الشاذلى ؟ قال : الله ، قال رضى الله عنه : الذى أعطى الجيلانى والذى أعطى ابن عربى والذى أعطى الشاذلى هو الذى اعطانى »

ففهم الحاضرون أن عطاء الله لأحبابه وأوليائه لا ينقطع ما دامت السموات والأرض ، لأن خزائنه عز وجل لا تفنى ولا تبيد ، وانما ينزل منها على أحبابه وأولياءه بقدر ما يناسب عصورهم وأزمانهم ، وحاجة اهل تلك الأزمان والعصور « يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » (١) . وهكذا ربى رضى الله عنه بالسودان رجالا ، جاهدوا فى الله حق جهاده ، عرفوا أنفسهم فعرفهم الله بصفاته العلية ، واطلعهم عز وجل على انواره القدسية ، وأفاض عليهم من علومه الوهبية ، واسراره الحكمية ، ما تعجز عنه العبارة ، ولا تفى به الاشارة .

---

(١) الآية (٧٤) آل عمران .

جهـاده للانجليز فى مصـر

وبعد أن اقاله الانجليز من عمله فى السودان ، أصدروا قرارا بعـدم اشتغاله فى الأعمال الحكومية ، وقرروا تحديد اقامته بمديرية المنيـا ، فأخذ رضى الله عنه يتنقل فى ربوع تلك المحافظة ، ناشرا لدعوته الدينية ، وعاملا على تربية احبابه على المثل الايمانية والأخلاق الاسلامية ، حيث أن الدعوة الصوفية عند الامام أبى العزائم رضى الله عنه ، تتركز فى اعداد الأفراد دينيا وسلوكيا وخلقيا لحمل الأمانات التى من اجلها أختار الله عز وجل الانســان لعمارة الكون ، ويعتبر رضى الله عنه بناء الانسان هو حجـر الزاوية فى أى نهضة أو تقدم لأى مجتمع من المجتمعات ، وكان يذكر اخوانه دائما بالحوار الرائع الذى دار بين سيدنا عمر واصحابه ، عندما دخلوا بيت مال المسلمين بعد أن وزع سيدنا عمر كل ما فيه على المسلمين ، وطلب من الخـازن أن يكنسه ويرشه بالمـاء ، ثم دخل فصـلى فيه ركعتين ، وقال لأصـحابه : تمنـوا .

فقال بعضهم : اتمنى ان يمتلىء بيت المـال ذهبا وفضة ننفقها على الجهاد والمجاهدين فى سبيل الله ، وقال آخر : أتمنى أن يمتلىء سـلاحا وعتادا يجهز به المجاهدين فى اعلاء كلمة الله .

وقال آخر : اتمنى ان يمتلىء طعاما وكساء يوزع على فقراء المسلمين حتى لا يبقى بينهم فقير او محتاج ، ثم تنبه رجل منهم وقال : وما تتمنى أنت يا أمير المؤمنين ؟ فقال رضى الله عنه : اتمنى أن يمتلىء رجالا مثل المقداد وسلمان وبلال وصهيب .. فالصوفية فى جوهرها كما جلاها ووضحها الامام أبو العزائم هى بناء الفرد على السلوك الحميد والصفات النبيلة والأخلاق الفاضلة والمعاملات الحسنة حتى يكون نموذجا يحتذى فى نشر كمالات هذا الدين لكل من تقع عينه عليه ، وفى سبيل ذلك يكلف بالمجاهدات والرياضـات الروحية والعبادات الدينية وغيرها من عوامل تهذيب الفرد وبناء سلوكه .

غير انه فى تلك الأثناء اتصل نفر من ذوى الجاه من اخوانه ومحبيه وهم : محمود باشا سليمان وحمد باشا الباسل بالسلطات المعنية ، وافهموهم أن

وجود الامام أبى العزائم فى القاهرة يسهل لهم مأمورية متابعته ومراقبة حركاته وسكناته ، فسمحوا له بالانتقال الى القاهرة ، وهنا بدأ عهد جديد فى الصراع بينه رضى الله عنه وبين المستعمر .

حيث هيأ الله عز وجل له منزلا كبيرا فى عطفه الفريق بشارع الخليج المصرى (بور سعيد الآن) ، وكان هذا المنزل يتكون من عدة منازل ، بينها ميدان واسع ، وله باب كبير يسمح بدخول السيارات الضخمة المحملة بالبضائع اليه ، فانشأ الامام أبو العزائم مطبعة المدينة المنورة بداره ، وأسس مجلة السعادة الابدية ومجلة الفتح ومجلة المدينة المنورة ، وأوكل ادارة المطبعة الى ابنه السيد احمد ماضى أبو العزائم . وأوكل رئاسة تحرير المجلات الى ابنه السيد محمد الحسن ماضى أبو العزائم .

وعن طريق هذه المجلات أخذ ينشر مقالاته التى تلهب حماسة الجماهير ، وتؤلبهم على المستعمرين والمستبدين ، وكان ذلك مما مهد لقيام ثورة (١٩١٩) ميلادية .

ولما شبت تلك الثورة ، كان لأبى العزائم الدور الاكبر فى اثارة الجماهير وتحريكهم للمطالبة برد الزعماء وهم : سعد زغلول ورفاقه من المنفى ، والمطالبة بالاستقلال والحكم الدستورى المستقل ، وفى سبيل ذلك ، سخر مطبعة المدينة المنورة لطباعة المنشورات السرية لزعماء الثورة ، وكتب فضلا عن مقالاته فى الصحف اليومية والأسبوعية فى تلك الآونة كتاب « الجهاد » ولما منعت السلطات اصداره ، طبعه ووزعه سرا على المواطنين ، ثم لجأ الى الأسلوب الرمزى ، فكتب مسرحية « محكمة الصلح الكبرى » والتى يشير بها الى مؤتمر الصلح الذى عقد بباريس ، ويصور فيه الحلفاء والمجتمعين بأنهم مجموعة من الوحوش المفترسة ، والشعوب الضعيفة والمغلوبة على أمرها ، بأنها هى الفريسة التى تتقاسمها تلك الوحوش ، وكان أبناؤه لهم دور هام فى توصيل الرسائل والمنشورات بين أرجاء البلاد طولا وعرضا ، حتى أن الانجليز أحسوا بذلك الخطر ، فداهموا الامام فى داره فجأة .

ويحكى المؤقف نجله السيد احمد ماضى ابى العـزائم رضى الله عنـه فيقول : « بينما انا مهتم بتجهيز طبع ملحق السعادة الأبدية يوم الخميس ١١ ربيع أول ١٣٣٨ هجرية المتضمن حكمه الآيات التى أظهـرها الله سبحانه وتعالى فى ليلة مولده ﷺ ، وما تفضل الله به على العالم اجمـع ، وكلنا فى عمل الاستعداد للاحتفال بليلة ذكرى سطوع انوار تلك الشمس المحمـدية بسراى سيدنا ومرشدنا حجة الاسلام محمد ماضى أبو العزائم ، نفعنا الله به، وكاننا لمـا نحن فيه من المسرات بالحبيب المحبوب ﷺ نشاهد انواره المحمدية ونتمثل النعم العظمى التى فاز بها المجتمع الاسلامى بيمن طالعه ، وبعد صلاة الظهر مع سيدنا الوالد رضى الله عنه ، وسماع ما أحيا الأرواح من سيادته فى شرح المقامات المحمدية ، سارع كل منا الى تجهيز معدات الاحتفال ، واذا بجيش جرار يقوده ضابط انجليزى من الضباط العظام ومعه أركان حـرب وغيرهم ، والجيوش مدججة بالسلاح ، ثم هجموا على المنزل بعد أن أحاط بعضهم به من الخارج ، وصاح الضابط بالنداء العسكرى — فى صـفين — وأمر بالهجوم ، فأسرعت فصيلة منهم الى فوق الأسطح وأخرى على الأبواب وثالثة الى الحجرات دون حياء وكأن الحرب قد أعلنت ، وما شهدت أبصارنا هذا المظهر الا وتذكرنا عناية الله بأوليائه ورحمته بهم ، فاطمئنت قلوبنـا ، ولديها اقبل علينا الامام رضى الله عنه هاشا باشا مسرورا قائـلا : قولوا الحمد لله .

وبعد ان فرغوا من التفتيش كما يحلو لهم ، اخذوا الامام معهـم فاصر اولاده جميعا على أن يكونوا معه وفى خدمته ، ورضخ الضباط لهذا الطلب ، وأودعونا جميعا ثكنات قصر النيل » ... (١) وتدخل بعض ذوى النفـوذ لدى السلطات ، وصوروا لهم الامر وخطورته بأن لزعمـاء الدين حـرمة وحصانة يجب صيانتها ، فأفرج عنه الانجليز فورا ، وعاد الامام لنشـاطه واتصالاته فألقى الانجليز القبض عليه مرة أخرى فى ١٧ رمضان من نفس العام ويوافق هذا العام عام (١٩١٩) ميلادية ، وفى هذه المرة ، دخـل قائدهم على الامام شاهرا مسدسه ، وطلب تفتيش الدار جميعها ، بحثا عن

---

(١) مذكرات محمود احمد ماضى ابى العزائم عن كتاب أبو العزائم لشقرف ص ١٨١

مكاتبات سرية بين أبى العزائم وبعض الزعماء المسلمين ، وكان رضى الله عنه يضع المكاتبات السرية فى صندوق كبير بغرفة نومه ، وكانت دهشة الجميع عندما جلس الامام على الصندوق وقال للقائد : فتش كما تريد فليس عند الشيخ شيء يخفيه ، وازدادت دهشتهم عندما خرجوا جميعا من الغرفة دون أن يتنبهوا الى أن أبا العزائم جلس على الصندوق ، وبجواره الكرسى الذى اعتاد الجلوس عليه ، وأخذوهم الى قصر النيل مرة أخرى ، ولكن سرعان ما أفرجو عنهم .

جهاده الاسلامى

ولم يكتف الامام رضى الله عنه بجهاد المستعمر فى مصر والسودان فقط ، بل أعلنها حربا شعواء على المستعمر فى كل بلد اسلامية ، فاتصل بزعماء الاسلام فى انحاء العالم ، وتبادل معهم الآراء والرسائل ، وحثهم على النهوض بمسئولياتهم الجسام فى مواجهة أعداء الله وأعداء الاسلام ، وكان أبرز من اتصل بهم الامام فى ذلك ، جمعية العلماء بالهند وكبار الزعماء المسلمين هناك وعلى رأسهم محمد على جناح ومحمد اقبال وشوكت على وكفاية الله وغيرهم ، واتصل بزعماء اندونسيا ، وعلى رأسهم أحمد سوكارنو ورفاقه ، واتصل بزعماء المسلمين المجاهدين فى مراكش والجزائر وتونس وليبيا وفلسطين ويوغسلافيا والبانيا وغيرها من البلاد الاسلامية ، حتى كانت داره رضى الله عنه معقلا يلجأ اليه هؤلاء الزعماء عندما يضطرهم المستعمر لمغادرة البلاد ، وكان يفسح لهم صدور مجلاته ، لينشروا فيها أفكارهم ، ويعبروا فيها عن آرائهم ، وهو أول من حول مؤتمر الحج السنوى الى مؤتمر عام ، لبحث مشاكل المسلمين كما تهدف الشريعة السمحاء من جمع هذه الجموع المختلفة فى مكان واحد ، ووقت واحد .

وقصة ذلك ترجع الى قيام مصطفى كمال اتاترك بالغاء الخلافة الاسلامية فى تركيا فى ٢ مارس عام (١٩٢٤) ميلادية ، واخراجه لآخر الخلفاء العثمانيين وهو (السلطان عبد المجيد خان) ، ومنذ أن سمع الامام رضى الله عنه هذا الخبر ، لم يهدأ له بال ، ولم يرتاح له خاطر ، حتى حدد يوم ٢٠ مارس عام (١٩٢٤) ميلادية لعمل مؤتمر للخلافة الاسلامية فى داره،

دعا اليه زعماء المسلمين فى كافة انحاء الارض ، وحضرته وفود من كـافة هذه البلدان ، وبعد ان شرح لهم رضى الله تعالى عنه اسباب الغاء الخلافة ، ووضح رأيه فى أن شخص الخليفة لم يكن يمثل حقيقة هذا المنصب ، الذى يعتبر بمثابة الراس من الجسد الاسلامى ، منذ أكثر من مائة عام ، واعتبر هذا الأمر فرصة للمسلمين ، ليعيدوا لهذا المنصب جلاله وقوته ، وكـون المجتمعين جماعة الخلافة الاسلامية فى وادى النيل ، وأصدروا قراراتهم ، وقد نشرت محاضر الاجتماعات والقرارات فى الصحف اليومية فى تلك الأونة ، وطلب أن يحج هذا العام للاتصال والتنسيق مع الزعماء المسلمين فى موسم الحج ، لكن السلطات المصرية منعته من السفر ، لأن الانجليز أوهموا الملك فؤاد بأنهم سينصبونه خليفة للمسلمين ، وجعلوه فى سبيل ذلك ينشىء جماعة مأجورة وأعطاها الصفة الرسمية ، واعتبرها الممثل الشرعى للحكومة المصرية فى مؤتمرات الخلافة الاسلامية ، وحاول الملك فؤاد استقطابه ، فأرسل اليه رئيس الديوان الملكى يطلب منه أن يقابله فى القصر الملكى ، فرفض رضى الله عنه هذا العرض ، وقال كلمته الخالدة « بلغه ياحسن أن قوما فقدوا الاسلام فى انفسهم واهليهم ، لا يستطيعون أن يبلغوه ويعطوه لغيرهم » .

حيث انه رضى الله عنه كان لا يؤيد ترشيح الملك فؤاد لهذا الأمر ويقول انه العوبة فى يد الانجليز ، كما كان أيضا لا يوافق على ترشـيح الشريف حسين ، لتعاونه مع الانجليز ضد اخوانه المسلمين فى تركيا ، حتى انه عندما ذهب للحج فى عام (١٩٢٤) ميلادية وخرج معه خمسمائة رجل من خاصـة اخوانه ، ارسل اليه الشريف حسين مدير البرق نائبا عنه لاسـتقباله فى جدة ، ويخيره فى اى القصور يحب أن يقيم فيه ليهيئه له ، فقال رضى الله عنه بعـزة المؤمن الذى لا يخاف فى الله لومـة لائم : (ان أبا العزائم رجل خديم الفقراء ، ولا يحتاج فى اقامته الى القصور) فقال مدير البرق : تلك اوامـر سيدنا ولا قدرة لنا على مخالفتها ، فقال رضى الله عنه : (يا بنى ، ان لك أن تسيد على نفسك من تشاء ، اما أنا فأقول اننى فى ارض لا سيد فيها الا الله عز وجل) ، ورفض فى تلك الحجة مقابلة الشريف حسين ، بل انه دعا عليه فى هذا العام لخيانته للاسلام والمسلمين ، فكانت نهايته وخروجه نهائيا من

هذه البلاد ، وبعد أن استولى الملك عبد العزيز آل سعود على السلطة فى بلاد الحجاز كلها ، راسل الامام وطلب منه أن يواصل جهده من أجل العمل لاحياء الخلافة الاسلامية واقترح ان تكون مكة مقر هذا المؤتمر ، وان يكون ذلك أثناء موسم الحج فى عام (١٩٢٦) ميلادية عام (١٣٤٤) هجرية فأجرى الامام اتصالاته بالزعماء المسلمين ، وسافر هو واخوانه بعد ان خرج من بيته محرما بالحج ، والتقوا فى مكة المكرمة ، وتم انعقاد المؤتمر ، نتيجة للاتصالات والجهود الضخمة التى بذلها الامام رضى الله عنه ، ولكن تدخلت الأهــواء النفسية ومن ورائها المخططات الاستعمارية ، فلم يصــل المؤتمر الى قرار حاسم فى شأن الموضوع الذى عقد من أجله ، بل تحولت الجهود الى مواضيع فرعية بعيدة كل البعد عن روح المؤتمر التى بثها الامام أبو العزائم رضى الله عنه فى نفوس الحاضرين ، وهكذا نجد الامام أبى العزائم يطالعنـــا بنموذج فريد للصوفى الحق الذى يشارك فى أحداث وطنه ، ويعمل على رفع الظلم عن اخوانه المسلمين فى كل بقعة من بقاع الأرض ، ويحاول جاهدا أن يجمع ما تفرق من شملهم ، وأن يحى معالم الايمان فى نفوسهم وقلوبهم ، حتى أنه رضى الله تعالى عنه كان يطالع صبيحة كل يوم جميع الصــحف اليوميـــة ، والمجلات الاسبوعية والشهرية متلمسا اخبار اخوانه المسلمين فى كل بقعـــة من بقاع الارض ، ويشاركهم فى آلامهم ويرسل لهم الرسالة تلو الرسالة ، ناصحا لهم ومحذرا من أعدائهم وشارحا لهم الطريقة الحكمة التى ينالون بها أغراضهم مطبقا بذلك قول رسول الله ﷺ : (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) .. (١)

وعاملا بقوله ﷺ (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له ســـائر الجســـد بالســـهر والحمى) ... (٢)

ويقول فى ذلك رضى الله عنه :

---

(١) رواه الحاكم عن ابن مسعود

(٢) رواه البخارى ومسلم

بربـــكم وطنى الاســــلام أفديــه
بالروح والمــال والرحمن يعليــه

وكل من ناوىء الاســـلام غطرسة
فهــو العــدو بســيف الله أرميــه

والمســـــلمون هـــم نفسى وحبهــم
فرض على بصــدق القول أرويــه

أمراض المجتمع الاســلامى وعلاجها

وكالطبيب النطاسى الماهر ، وضـــع الامام أبو العزائم رضى الله تعالى عنه يده على الأمراض التى مكنت الاعداء من الأمة الاسلامية ، ومزقت بين مجتمعاتها ، وجعلت الأخوة بعد الألفة يختلفون ، وبعد العزة يذلون ، وبعد السيادة يستعبدون ، وارجع هذا الأمر الى عدة أسباب :

أولها : التعصـــب للقوميات والنزعات العرقية وتفضيلها على الأخوة الاسلامية مما جعل هذه المجتمعات تعمل على احياء لغاتها القديمة وتاريخها المندثر ، وتتخلى فى ســبيل ذلك عن اسلاميتها ، وذلك كما حدث فى تركيــا وايران وغيرهما .

السبب الثانى : هو سيطرة هذه الفئات على المجتمعات وهم : العلماء الذين شغلتهم الدنيا عن الدار الآخرة ، والدعاة الجهلاء الذين يتعصـــبون لافكارهم وآرائهم رغم مخالفتها لاجماع المســلمين ، ثم ولاة الســوء الذين يحرصون على المناصب ويعملون فى سبيل الوصول اليها أو الاحتفاظ بهــا كل ما يجوز وما لا يجوز من المكر والكيد والدهاء والخداع ويستبيحون ذلك كله فى سبيل الوصول الى أغراضهم ، لأن الغاية عندهم تبرر الوسيلة مهما كانت خبيثة .

واخيرا : عبيد المادة الذين (نســو الله فأنساهم أنفسهم) (١) ويضع رضى الله تعالى عنه الدواء لهذه الأمراض ، فيجعل الاســـاس الأول فيه هو ملاحظة كمالات الاســـلام ودراسة الاسلام وأحكام الايمان دراسة يستقر بها فى نفوس الأفراد والمجتمعات أنه لا مدنية حقيقية ولا سعادة نفسية واجتماعية الا بالاسلام وكما قال ﷺ (المدينة خــير لهم لو كانوا يعلمون) (٢) وفى ذلك

---

(١) الآية (١٩) الحشر .

(٢) متفق عليه من حديث سفيان بن أبى زهير .

يقول رضى الله عنه : (والشفاء من كل تلك الأسقام الروحانية بالرجوع لمـــا كان عليه سلفنا الصـــالح تمسـكا بالكتاب والســـنة ، فان الله الذى خلق الخلق هو أعلم بمصالحهم ومصالحهم وانما يسعد آخر هذه الأمة بما سعد به أولهـــا) .. (١) .

فاذا عشقت النفوس هذا الدين لمـــا فيه من كمـــالات تعصـــبت له اى تمسكت بأن يكون هاديها والمسيطر عليها فى كل أحوالها ، وقد وضع رضى الله عنه الوسائل التى تحقق المجتمع الاسلامى ونجملها فيما يلى :

اولا : ان تكون اللغة التى يتفهم بها جميع المسلمين مع بعضهم بعضـــا أو مع غيرهم هى لغة القرآن والسنة .

ثانيا : أن تقـــام حدود الله بمعنى ان يكون العمل بكتاب الله وبســـنة رســـول الله .

ثالثا : أن تكون تربية المسلمين مؤسسة على التربية الاسلامية بحيث يكون التعليم أولا مستهدفا تعليم الايمان والقرآن ، ثم يكون تعليم الصناعات او الزراعة أو التجارة او تعلم فنـــون الجهـــاد وتدبير المـــدن وســـياسة المجتمعات كله مؤســـس على الدين ويكون تعلم تلك الفنون لأنها وســـائل لاعلاء كلمة الاســـلام وحفظ ثغوره ، وجلب الخـــير لأهله وقوة ســـلطان المســـلمين » (٢) هذا وقد فصل الامام ابو العزائم هذه الوسائل ببسط كبير وضـــع فيه تصـــوره للمناهج والعـــلوم التى يجب ان تدرس فى المدارس الاسلامية الخاصـــة بالذكور ، والمناهج والعلوم التى يجب أن تدرس للفتاة المســـلمة وذلك فى كتابه الاســـلام نســـب فليراجعه من يرجـــوا المزيد فى هذا البـــاب .

وأما الداء العضال الذى اصـــاب المجتمعات الاســـلامية فى قلبها وهو مرض التفرقة ، فقد شرحه رضى الله عنه باسهاب عند تفســـيره لقول الله عز وجل : (شرع لكم من الدين مـــا وصى به نوحا والذى أوحينا اليك ومـــا

---

(١) الشـــفاء من مرض التفرقة للامام أبى العزائم ص ٣٤ .
(٢) الاســـلام نســـب ص ٩٣ .

وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب » (١)، فى كتاب الشفاء من مرض التفرقة ، وقد احدث هذا الكتاب عند خروجه دويا كبيرا حتى أنه رضى الله عنه قدم بسببه للمحاكمة فى محكمة الجنايات ، ولكنه لم يستكن ولم يضعف بل واجه المحاكمة فى عزة وبأس ، واستطاع بلباقته وذكاءه وأسلوبه البارع أن يخلص من اذى الحكام وكيد الحاكمين .

وسـائل تحقيق المجـد الاسلامى

وبعد أن وضع أسس تكوين المجتمع الاسلامى التى اشرنا اليها وضح الوسائل التى نستطيع بها تجديد المجد الاسلامى الذى كان لسلفنا الكرام ، وسنوجزها فيما يلى وان كان قد فصلها رضى الله تعالى عنه فى كتبه الاسلام دين والاسلام نسب والاسلام وطن .

أولا — الاســلام دين :

فالاسلام فى نظره هو الدين الحق لأن الاديان السـابقة قد نسخت بعد بعثته ﷺ ، وهو الدين الوحيد الذى يسع البشرية كلهـا احكاما وتعاليما صالحة لكل زمان ومكان ، ومناسبة لكل فرد من بنى الانسان .

وفى ذلك يقول : (ونحن لا نشـك أن الدين الذى يجب أن يؤمن بـه العالم اجمع ، لابد وأن يكون مسـتوفيا للأحكـام التى تكون بها سـعادة الانسان دنيا واخرى حتما ، فاذا تقرر ذلك يظهر جليا أن الاسلام هو الدين الحق ، وأن الدين هو الاسلام) ... (٢) .

ثانيا — الاســلام نسـب :

فالنسب حقيقة عنده رضى الله عنه بين المؤمنين منبثق من قول الله تعالى (انما المؤمنون اخوة) (٣) لأن الأخ الحقيقى هو من شاكل الانسـان خلقا

---

(١) الآية ١٣ سـورة الشـورى .
(٢) الاسلام دين للامام أبى العزائم ص ١٦ ، ١٧ .
(٣) الآية (١٠) سـورة الحجرات .

وشــــيمة وعملا ، والمشـــاكلة لا تكون الا فى مبـــدأ ، ولا يتحقق ذلك الا فى الاســـلام ، وهذه الأخـــوة هى التى جعلت ســـلمان الفارسى من آل بيت رسول الله ﷺ فى قوله (سلمان منا آل البيت) .. (١) .

وفى ذلك يقول رضى الله عنه (يظن الناس ان النســـب قرابة تدلى الى الاب والام والعم والخال ، جهـــل الناس بحقك أيها الأخ الصـــالح التقى ، ليس هذا هو النسب ، انما النسب حقيقة الاسلام ، لأن نسيبك فى الحقيقة من شـــاكلك حقيقة وخلقا وشـــيمة وعملا ، ولو كان أعجميا وكنت شريفا هاشميا ، وحسبنا حجة فى ذلك : قوله ﷺ (ادخل الاسلام بلال فى نســـبى واخرج الكفر أبا جهـــل من نسبى) ... وقوله ﷺ (ســـلمان منـــا آل البيت) (٢) ، فالقرابة يا أخى هى المشاكلة ، ولا مشـــاكلة الا فى مبدأ ينتج الســـعادة ، وفى معنى يحبه الله تعالى ورسوله ﷺ ، ولا يتحقق ذلك الا فى الاسلام ، وليس ابن أمك وأبيك بقريبك ان خالفك شكلا واعتقادا وشمائلا وميولا ، ولبســـت القرابة تصـــح حقيقة فى الدنيـــا للمعاونة وفى الآخـــرة بالسعادة الا بأخوة الاســـلام ، وكل قريب وصديق وحبيب ولو من أب وأم لم تكن قرابته للاسلام ، فهى خسران فى الدنيا وهلاك فى الآخرة ، سر قوله تعالى (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين) ... (٣) .

ثالثا — الاســـلام وطن :

فيعيب رضى الله عنه على من يتمسك بتراب نشأ على أرضه ، ويجعله هو الوطن فيقول له (الوطن هو الاسلام وليس هو أرضا خضراء أو أفقـــا من سماء زرقاء ، بل ذلك الوطن هو الاسلام ، نعم لأن العمل بروح الاسلام يجعل المسلمين رجلا واحدا ، كل فرد منهم عضو لذلك الجسد) ... (١).

---

(١) رواه الطبرانى فى الكبير .

(٣) الآية (٦٧) الزخرف .

(١) الاســـلام وطن ص ١٠ .

ثم يذكر المسلم بالمجد الاسلامى عندما كان الاسلام وطن للجميع فيقول (تذكر أيها الأخ المسلم هذا المجد الذى كنت فيه مذ كان وطنك الاســلام ، كان الصــينى يلتى المراكشى ، فاذا قال الســلام عليكم بش فى وجهه فرحا بسماع الكلمة الاسلامية وضمه الى صدره ، وأسرع به الى بيته ، وفتح له عن خزائن المســلمين التى فى بيته ، كانت كلمة الســلام عليكم توجب على سامعها بذل المال والنفس فى النصرة والتأييد ، مــا ذلك الا لأن الوطن كان الاسلام) .. (٢) .

وبعد أن بين ما ناله المسلم من ود بينه وبين اخيه المسلم بسبب الاسلام بين العزة التى اضفاها الاســلام على ابنائه فقال رضى الله عنه (أنت أيها المسلم وحقك كنت أسعد الخلق طرا ، مذ كان الاسلام وطنك ، كانت تنحنى لك الرؤوس التى عليها التيجان رهبة مذ كان الاسلام وطنك ، لم يكن ذلك لخصوص الأمير من المسلمين ، بل كان والله أيضــا لتاجر حقير فى بــلاد غير اسلامية ، كنت أيها المســلم اذا انتقلت الى بــلاد غير اسلامية ، نبه على العامة والخاصة أن يمسكوا ألسنتهم ، وأن يغضــوا عنك أبصارهم ، وأن يحتفلوا بك لتنشر عنهم الخير فى بلادك ، لم يكن ذلك الا لأن وطنك الاسلام ، وأنك تمثل جمال الاسلام وكماله بالوجه الاكمل ، فكنت وأنت منفرد كجيش خميس تهتز له رؤوس أهل التيجان) ... (١) .

وهكذا ، فصل الامام أبو العزائم هذه الحقائق الثلاث : الدين والوطن والنســب ، ووضع لكل حقيقة من تلك الحقائق كتابا خاصا بها ، يبين روح الشريعة فيها ، حتى يتحقق كل مسلم أن الدين هو الاســلام ، وأن الوطن هو الاســلام وأن النسب هو الاســلام ، وأن يسارع الى الخير الحقيقى الذى سارع اليه أصحاب رسول الله ﷺ وتابعوهم باحسان ، طمعا فى نيل العزة لله ، والسعادة فى الدنيا والتمكين فى الأرض بالحق والفوز برضــوان الله الأكبر والنعيم المقيم فى جوار رسول الله ﷺ .

---

(٢) الاســلام وطن ص ١٣ .

(١) الاســلام وطن ص ١٢ .

الفصل السادس

الشيخ المربى

- تمهيد
- التأدب بآداب الشريعة
- الزهد والورع
- البصيره النافذة
- الرحمة بالخلق

تمهيـــــد

نشأ الامام أبو العزائم رضى الله عنه وارضـــاه وقـــد اندرست أحوال الصوفية الصادقين ، وظهرت أحوال البطالين والمنتفعين ممن جعلوا الطريق وسيلة للحصول على شـــهواتهم واغراضهم ، ولم يبق الا نذر قليل حفظوا روح التصوف وأحواله ومواجيده واخلاقه ، أما الاغلبية العظمى منهم فقـــد جعلوه رسوما وزيا واكلا وشربا ،ونسوا الغرض الذى من اجله أسس، وهو السلوك الى ملك الملوك عـــز وجـــل ، فحاول رضى الله عنه أن يجدد هذه الأحوال التى اندرست ، ويبين هذه المكـــارم التى توارت ، ويوضـــح هذه الأخلاق التى أميتت ، وقد طبق رضى الله عنه هذه المناهج والاتجاهات على ثلاث مراحل عملا بحديث سيدنا رسول الله ﷺ الذى يقول : (ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ثم الأقرب فالأقرب) .. (١) ، وسنوضح هذه المراحل على قدر ضعفنا وتقصيرنا ، لا على قدر كماله رضى الله عنه وارضاه . يرى رضى الله عنه أن الشيخ المربى لكى يؤثر فيمن حوله لابد أن يأخذ نفسه بعزائم الأمور، ولا ينزل الى الرخص ، وان كان يفتى بها لغيره ، وان عليه أن يعمل أولا بما يعتقد أنه الصـــواب ، حتى اذا قال وقع القول منه موقع الاجابة وأحـــدث الانفعال الســـلوكى المطلوب فى نفوس السامعين ، وصفات الشـــيخ عنده كثيرة نثرها فى كتبه الصوفية : ككتاب مذكرة المرشدين والمسترشدين وكتاب شراب الأرواح وكتـــاب معارج المقربين وكتـــاب الطهور المدار على قلوب الأبرار وغيرها ونبرز أبرز هذه الصـــفات ملمحين الى تحليه رضى الله تعالى عنه بها كما يلى :

التـــادب بآداب الشـــريعة

اخذ نفسه رضى الله تعالى عنه بالمجاهدات الفادحة ، والعزائم الماضية، حتى يكون أسوة حسنة لمن حوله ، فما كان يضيع نفسا من أنفاسه فى غير طاعة الله عز وجل ، اما بذكر أو شـــكر أو درس أو تفقد لأحـــوال اخوانه

---

(١) رواه الشيخان عن أبى هريرة والطبرانى عن حكيم بن حزام .

او لأحوال المسلمين اجمعين ، او عبادة قلبية خاصة بينه وبين الله عز وجل، حتى أنه رضى الله تعالى عنه ، كان لا ينام الا اذا جلست بنته بجواره أو احد ابنائه أو محبيه يتلون القرآن على مسامعه ، ويأمرهم الا يكفوا عن ذلك حتى اذا استغرق فى النوم ، ومن العجب أن بعضهم كان يلحن احيانا فى قراءته ، فينتبه رضى الله تعالى عنه من نومه ويصحح له القراءة ، بل انه رضى الله تعالى عنه لشدة تعلقه بذكر الله عز وجل ، كان اذا نام يسمع لتردد أنفاسه نغمة شجية ، يسمعها من حوله تقول : الله ... الله فاذا كان وقت السحر ، استيقظ من نومه وتوضأ وصلى ما شاء حتى يطلع الفجر ، فينادى على أهله ومريديه ويقول : الصلاة الصلاة يا غراس الجنة ، ثم يصلى بهم ، وبعد انتهاء الصلاة يقول للمتكاسلين الذين فاتتهم الجماعة الأولى ، موقظا وموبخا : الصلاة الصلاة يا غراس النار ، ثم يجلس فى مصلاه يقرأ مع اخوانه ورد ختم صلاة الصبح ، الذى جمعه من الاحاديث الواردة عن سيدنا رسول الله ﷺ ، وادعية الأنبياء والمرسلين التى تحققت واجيبت فى كتاب الله عز وجل ، وبعدها يقرأون صيغ الصلوات التى امده بها سيدنا رسول الله ﷺ ، ثم يشرح لهم ما يتسر من آيات كتاب الله ، حتى اذا بزغت الشمس وارتفعت قدر رمح أو يزيد ، تناول معهم طعام الفطور واذن للجميع بالتوجه الى العمل ، وهو فى جميع أحواله لا يخرج عن الشريعة طرفة عين ، بل كل حركة وسكنة من حركاته وسكناته كانت مضبوطة بأحكام الشرع الشريف ، حتى انه رضى الله تعالى عنه فى أواخر أيامه ، وكان قد مرض وشلت رجلاه ، فأرادوا أن يدخلوه دورة المياه ، ولم ينتبهوا اذ ادخلوه من الجهة اليمنى فانتفض رضى الله تعالى عنه ، انتفاضة شديدة وقال وهو يتألم : خالفت رسول الله ﷺ ، العفو يا سيدى يا رسول الله ، وقد حضر لديه جماعة من العلماء ، فأراد أن يبين لهم الأدب العالى الذى ربى عليه أبناءه ومريديه ، فأحضر رجلا أميا ، وقال له ماذا تصنع اذا وجدت أن أبا العزائم يخالف رسول الله ﷺ ؟ فقال التلميذ الذى تأدب بآداب شيخه : لو خالف أبو العزائم رسول الله ﷺ لقرعناه بنعالنا ، فاحتضنه رضى الله تعالى عنه والتزمه وقال له : أنت ولدى حقا ، ويقول لهم آمرا باتباع السنة (حافظ على السنة ولو بشرت بالجنة) ويقول أيضا :

لسنته فاخضع وكن متأدبا
وحاذر فحصن الشرع باب السلامة
على الجمر قف ان أو قفتك تواضعا
يكن لك بردا بل سلاما برحمة

بل انه رضى الله تعالى عنه يجعل الحكم على المريد ، متوقفا على مدى استجابته لأوامر الشريعة المطهره ، فيقول مبينا علامة المريد الصادق من الدعى الذى يندس فى صفوف الصادقين :

من فارق الشرع الشريف فليس من
آل العزائم فافهمن برهانى

ولا عجب فى ذلك ، حيث أنه رضى الله تعالى عنه ، كان يحدث عن جده الصالح أبو العزائم ماضى هذه الواقعة التى دارت بينه وبين ولد شيخه أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه فقال :

كان للشيخ ولد اسمه على ، فلقيته بالاسكندرية سكرانا بالخمر ، فأتيت به الى الدار ، وضربته ضربا وجيعا حتى تعلق بأمه ، فجذبته حتى خرج بخيوط رأسها فى يده ، فصاحت وبكت فدخل عليها الشيخ فقال لها : ما يبكيك ؟ فأخبرته بالقصة ولم تخبره بسكره ، فتغير الشيخ لذلك ، فلما دخل الزاوية قال لى : يا ماضى لما فعلت كذا وكذا ؟ قلت لأنى وجدته سكرانا بالخمر . والله لو تعلق بك لجلدته الحد . قال لى هكذا هو . وتغير وجهه ، ودخل الخلوة ساعة ، واستدعانى فدخلت عليه فوجدته فرحا مستبشرا ، فقال لى دخلت الى هذا المكان وهممت أن أدعو على ولدى ، فقيل لى : يا على مالك ولولى دعه حتى ينفذ ما قدرته عليه ... فلم تمض الا مدة يسيرة ، حتى خرج فى سياحة ، وظهر فى أرض المغرب وظهرت ولايته .... (١) .

---

(١) درة الاسرار لابن الصباغ ص ٤٩ .

ولهذا كان رضى الله عنه اول ما يأتى اليه المريد يوجهه الى تعلم الشريعة المطهرة والعمل بها ويقول :

طريقنا هذا أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة ، ويحدد مآخذ طريقته فى أكثر من موضع فى كتبه ويقول : (طريق آل العزائم هو ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم باحسان رضى الله عنهم جميعا ، وأساسه مقام الاحسان بعد مقام الاسلام والايمان ، والسالك فى هذا الطريق يجب أن يكون محصلا ما لابد له منه من العقيدة الحقة والعلم بأحكام العبادات والمعاملات والأخلاق كما هى سنة المرشدين ، فكذلك السير فى كل المساجد والزوايا المعدة لتربية الطريق ، فان خديم الفقراء يبتدىء بتعليم الأحكام الشرعية والآداب النبوية ، وتعليم المعاملات والأخلاق بجميع أنواعها) .... (٢) .

ويقول محذرا لمن يخالف هذا المنهج : (وكل خديم فى بلد خالف منهج المرشد افسد على الفقراء احوالهم) ... (١) .

ويحدد رضى الله تعالى عنه الأسس التى بنى عليها طريقته فيقول : (مآخذ هذه الطريقة : كتاب الله تعالى بعد علم محكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخة عملا بالمحكم وايمانا بالمتشابه بقدر الاستطاعة وتركا للمنهى عنه جملة واحدة الا لضرورة شرعية . أقوال رسول الله ﷺ بعد العلم بصحة السند فيما يؤدى الى علم اليقين والأخذ بأقواله بدون ملاحظة الى السند فيما يؤدى الى فضيلة أو مكرمة .

وأعماله ﷺ التى تثبت من طرقها الصحيحة وأحواله ﷺ المبينه فى كتب السيرة الصحيحة التى يستنير بها المرشد عند مقتضيات ذلك .

هدى الخلفاء الراشدين وائمه الصحابة المأخوذ من تراجمهم رضى الله عنهم اجمعين والأخذ بالعزائم فى كل ذلك

---

(٢) نيل الخيرات الطبعة الحادية عشرة ص ٣٦ .

(١) نيل الخيرات الطبعة الحادية عشرة ص ٣٧ .

أعمال السلف الصالح وائمة المسلمين ومواجيدهم الصادرة عن عين الرائين وصدق التمكن وصفاء الضمير والاخلاص فى المعاملة لرب العالمين .

طمأنينة القلب بعد العلم بكل ذلك حال الدخول فى العمل أو القول أو الحال لأن كل ذلك خالص لوجه الله تعالى بحيث أن السالك فى هذه الطريقة اذا لم يستبن له الأمر فى كتاب الله ولا فى سنة رسول الله ﷺ أو فى هدى السلف الصالح يلزم أن يتوقف عنه حتى يطمئن قلبه انه خير وانه خالص لله تعالى) .... (١) .

الزهد والورع

الزهد : ويؤكد هنا رضى الله عنه على أن من يقوم لدعوة لخلق الى الله لابد أن يكون مستغنيا بالخالق عن الخلق ، ومتأسيا فى أحواله بالسادة الأنبياء حيث يحكى عنهم الله قولهم لأممهم (يا قوم لا أسألكم عليه أجرا ان ان أجرى الا على الذى فطرنى) (٢) ويقول معرفا بالشيخ المربى : شيخك من يعطيك لا من يأخذ منك . وقال لمن سألوه عن العلامة التى يعرفون بها صدق الداعى الى الله عز وجل فى دعوته : (اتبعوا من لا يسألكم أجرا) (٣) وضرب بنفسه رضى الله عنه أروع الأمثال فى ذلك ، فحينما استقر فى القاهرة وقد فصله الانجليز من عمله ، وداره غاصة بالمريدين والأحباب الذين يحتاجون الى نفقات كبيرة وكثيرة ، حتى أن أبرز محبيه وهو محمد محمود سليمان باشا ، وكان يسمى فى عصره ملك الصعيد لثرائه الواسع ، سجل حجة ووثقها فى الشهر العقارى بمائة فدان باسم الامام أبى العزائم رضى الله عنه . وذهب اليه وعرضها عليه وقال : يا سيدى هذا شىء يسير تستعينون به على أمور الدعوة ، وحاجات الفقراء ، فغضب أبو العزائم رضى الله عنه غضبا شديدا ، حتى أن الشرر كاد أن يتطاير من عينيه ،

---

(١) نيل الخيرات الطبعة الحادية عشرة ص (١٠) .

(٢) الآية (٥١) سورة هود .

(٣) الآية (٢١) سورة يس .

وقال له فى حــده : من الذى قال لك ان أبا العزائم يحب الدنيــا ؟ أنظر ، واشار الى خلفه فنظر فرأى عجبا ، فرأى أكواما من الذهب لا حصر لها ، فعلم أن تلك عناية الله بأحباب الله وأصفيائه ، حتى انه لشدة زهده رضى الله تعالى عنه ، ســجل البيت الذى كان يقطن فيه باسم (آل العزائم) فى كل أقطار الأرض ، حتى يتأسى بســيدنا رسول الله ﷺ ، ويخرج من الدنيــا ولم يصــب منها شــيئا ، هذا مع أن الضرورات الكثيرة كانت تنتابه المرة تلو المرة ، لكنه كان بما فى يــد الله أوثق منه بما فى يــد نفســه ، ونذكر منها على سبيل المثال أمرين :

الأمر الأول :

عندما أخبره خاصة اخوانه ذات صــباح أن المنزل ليس به شىء على الاطلاق لطعام الاخوان فضــلا عن أهله ، وليس معهم نقود يشترون بها ، فأرسل خادمه الخاص الشــيخ مفتاح زيدان الى العطــار ، وطلب منه أن يشــترى له بعض أصــناف حددها ، وعندما أتى بها ، أخذها وذهب الى المرحاض وتبول عليهــا ، فتحولت الى ذهب خالص ، فأعطــاها له وأمره ببيعها والانفاق منهــا على الدار هنــا يظهر أثر تربيته العالية رضى الله عنه لأولاده ومريديه ، فقد علم ابنه الســيد محمد الحسن بهذا الأمر ، فأعطى الشيخ مفتاح بعض النقود ، وطلب منه أن يشترى الأصناف التى اشتراها للامام ، ظنا منه أن هذه صنعة ، ودخل الامام عليه فجأة وقد تبول عليهــا ولم تتغير ، فصــفعه على وجهه وقال له : ماذا تفعل ؟ ان أباك صنع هذا لأنه كان فى ضرورة ... والله عــز وجــل يقول : (أمن يجيب المضــطر اذا دعاه) (١) وأنت ما ضرورتك ؟ اياك أن أراك تفعل هذا مرة أخرى .

وهكذا يجدد الامام أبو العزائم أحوال الســلف الصــالح فى زهدهم فى الدنيا واقبالهم على الله عــز وجل ، ويعرفهم بأن الزهد لا يتم الا بعد وجود الشىء فى ذات اليد ، فتكون الدنيا فى يــد الانسان ولكنها خارجة من قلبه ،

---

(١) الآية (٦٢) سورة النحل .

بمعنى انه لا يفرح بها عند الوجد ولا يحـــزن عليها عند الفقد ، أما الذهد فى غير الوجد أى أن الانسان يزهد لأنه لا يملك شيئا فهذا ليس بزهد العارفين، وانما ذهد العوام من المسلمين ، لانه اذا حصل عليها ربما يتغير حاله .

الأمر الثانى :

انه كان رضى الله عنه يسير بسيارته الخاصة متنقلا لنشر دعوته وقد حدث مرارا ان تقف الســيارة لفراغ البنزين منها ، فكان يشير على السائق الخاص به وهو صهيب الرومى أن يملأها من الترعة المجاورة ، ثم يأمره أن يحركها ، فتسير بأمر الله عز وجل .

ولم يكتف رضى الله تعالى عنه بهذا الأمر فى نفسه ، بل ربى عليه بنيه واحبابه ، فها هو فى رحلة الحج الأخيرة له يأمر مريديه أن يجمعوا ما معهم من أموال فى مكان واحد ، فنفذوا ذلك ، واذا باللصوص يسرقونها ، ونظرت العيون الى أبى العــزائم وكأنها تقول ماذا نفعل ؟ فوجههم الى فضـــل الله وأمرهم بحسن التوكل على الله ، وشرح لهم حديث سيدنا رســـول الله ﷺ (لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطـــير ، تغدو اخماصـــا وتروح بطانا) .. (١) وقد كان ذلك وهم فى المســفينة متجهين الى جدة ، وعندما رست بهم السفينة فى جدة اذا بهم يجدون مندوبا عن الملك عبد العزيز آل سعود جاء لاستقبال الامام أبى العزائم رضى الله عنه ، واخبره أن الملك أمر بأن يكون هو ومن معه فى ضـــيافته مدة اقامتهم فى بلاد الحجاز ، وحتى عودتهم الى الأراضى المصرية ، فكان درسا للاخوان فى الوثوق بفضـــل الله والاعتماد عليه (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) (٢) .

الـــــورع :

وهو عنده رضى الله تعالى عنه للسالكين فى ترك الشبهات وللواصلين فى ترك كثير من المباحات وللمتمكنين فى ترك ما سوى الله عز وجل بالكلية .

---

(١) رواه احمد والترمذى وابن ماجه عن عمر رضى الله عنه .
(٢) الآية (٣) الطلاق .

فقد كان له رضى الله تعالى عنه فيه الباع الاعظم والقدر الآجل ، وليس ادل على ذلك من هذه الحادثة الفريدة من نوعها : فقد دعاه صــالح ســلم باشا فى بور سعيد لتناول الغذاء عنده هو واخوانه ، فما كان منه رضى الله تعالى عنه ، بعد محاولاته الاعتذار واصرار الباشا ورجاؤه وتوسلاته على التلبية الا أن أمر ابنه المبارك السيد أحمــد ماضى أن يأخذ معه رغيفين من الخبز وقطعة من الجبن ، ولما اســتقروا على المائدة ، وقد غصت بأصناف الاطعمة الشهية وأذن الباشــا للحاضرين بتنــاول الطعام بعد استئذانه رضى الله تعالى عنه فى ذلك ، طلب من السيد أحمد اخراج ما معه من الخبز والجبن ووضعه أمامه ، فأسرع الباشــا اليه هلعا وســأله لماذا يأكل هذا الطعام مع أن المائدة حافلة ، وفى امكانه ووسعه أن يأتى بما يريد استجلابا لرضــاء الشــيخ رضى الله عنه ، فقال له رضى الله عنه بحكمته المعهودة : (ان هذا الطعــام أمرنى به الطبيب — ويقصــد الطبيب الأعظم ﷺ —) أما يكفيك أن يأكل ابنى السيد أحمد نيابة عنى ؟ فسكت الباشا ورضى ، وبعد انتهاء الطعام ، ذهب ليغسل يديه فى دورة المياه ، واســتدعى ابنه الســيد أحمــد وطلب منه أن يتقيأ مــا أكله . فقال له يــا أبت : انت الذى امرتنى بالأكل ، وليس لى حاجة الى اخراج الطعــام ، فضربه على ظهــره ضربة انزلت كل ما فى معدته وقال له : يا بنى أما علمت أن ابن نوح عليه الســلام كان عقوقه وجحوده بسبب اكلة فيها شبهة ؟

ولم يكتف رضى الله عنه بالتخلق بهذا الخلق الكــريم والحــال العظم فى نفسه وانما كان يدرب ويمرن أولاده ومحبيه على هذا الورع . ويبــاعد بينهم وبين الشبهات والمحرمات قدر ما يستطيع ، فهذا رجل فلاح من أتباعه، وكان يسكن فى منطقة بولاق ، وكانت قبل عمرانها الحــالى منطقة زراعية ، وكان أهلها يبيعون اللبن كل صباح لسكان القاهرة ، فشــكا له الرجل أن زوجته تخرج مع جاراتها باللبن ، فيرجعن مسرعات وتتأخر هى حتى ضحوة النهار ، مما جعله يشك فى أمرها ، ويتهمها فى سلوكها ، وعرض الأمر على الشيخ ليجلى له الحقيقة ، فقال له الشيخ رضى الله عنه ، ضع غدا قدرا من الماء على اللبن من غير أن تعلمها ، فنظر الرجل اليه بدهشة ولكنه رضى الله

عنه قال له : افعل ما أمرتك به ، فعلم أن هذا لحكمة عالية يعلمها الشيخ ، وكانت دهشته أعظم عندما نفذ أمر الشيخ ، ووجد زوجته ترجع مع صويحباتها ، فأسرع الى الشيخ وعليه أمارات الدهشة ، فقرأ رضى الله عنه ما يدور بخلده وقال له : يا بنى ان جاراتك تغش اللبن بالماء ، فيقبض الله لهن مالا حراما ثمنا له ، والمال الحرام كثير فى هذه الأيام ، ولذا يرجعن بسرعة أما زوجتك فلأنها تراعى حق الله وتتأدب بآداب سيدنا رسول الله فانها تتعب حتى يهىء الله لها مالا حلالا ثمنا للبنها ، وذكره بالحديث الشريف « اذا غضب الله على عبد رزقه من حرام ، فاذا اشتد غضبه عليه بارك له فيه » والورع هو مقام الصديقين عنده لأنه أفضل من كل العبادات على الاطلاق سر قوله ﷺ « اتق المحارم تكن أعبد الناس » (١) .

البصيرة النافذة

كان رضى الله عنه يرى أن أهم صفة يجب أن تتوافر فى الشيخ المربى هى البصيرة النافذة ، التى تنفذ بشعاعها النورانى وراء الحواجز والمسافات ، لتسهل للسالك قطع العقبات والمفازات والوصول الى أعلى الدرجات والمقامات ، ويستشف ذلك من قول الله عز وجل لحبيبه ﷺ (قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى) (٢) وهذا هو نهج الصوفيين الحقيقيين قديما وحديثا ، فهذا سيدنا الجنيد رضى الله عنه عندما تلقى الاذن من شيخه السرى بالارشاد وجلس فى المسجد الجامع وتجمع حوله الخلائق ، اندس فى وسطهم نصرانى ، وقد تزيا بزى رجل عربى ، وبادره قبل أن يتكلم بالسؤال قائلا : ما معنى حديث : (اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله) (٣) ؟ فنظر اليه ودقق النظر وأطرق برأسه الى الأرض ثم رفعها بعد برهة وقال له : معناه انه قد آن الآن أوان اسلامك يا نصرانى . فانطق بالشهادتين .

---

(١) رواه أحمد والترمذى عن أبى هريرة .

(٢) الآية (١٠٨) سورة يوسف .

(٣) رواه الطبرانى والترمذى من حديث أبى أمامة .

وفى ذلك يقول رضى الله عنه :

اذا رمت ان ترای بعين البصـــيرة
فسـلم لنــا الأحوال فى كل حضرة

ومن راحنـــا الصافى تنــاول مدامة
يناولها المختــار من غــير راحــة

فقــد خصـــنى طــه بفيض وداده
واعلى بمحض الفضل شأنى ورتبتى

انا الباب فرد الوقت من غير ريبـــة
انا ســاقى الندمان راح الشـــهادة

ويقول ايضا رضى الله تعالى عنه :

انا الخبــير فســلنى عنـــه أنبيك
وسـلمن لــى الى العليــا أرقيك

واخلع ســواه وكن صـبابة مغرم
وبعــه نفســك والأمــوال يعطيك

وكان رضى الله عنه المثـل الأعلى فى عصره فى الشـفافية النورانيـة والبصيرة الروحانية ، بل ان كل حركاته وسكناته تشف عن هذه البصـيرة الوضـاءة ، وخاصة أمام المعارضـين والمعاندين ، فعندما أوعز الانجليز لعلماء الأزهر ان يتهموه فى عقيدته زورا وبهتانا ، ليتسنى لهم محاكمته بعد الصاق التهم المزعومة به ، تريث عقلاؤهم وآثروا أن يرسـلوا عشرة منهم لاختباره ، وحضروا الأسئلة التى تكشـف لهم حقيقة أمره ، وتخيروا لذلك الأمر ليلة الاسراء والمعراج ، حتى ينكشـف أمره حسـب زعمهم لمريديه وأحبابه ، وكان يوضع له كرسى خاص فى وسط السرادق الذى يقام لأجل احياء هذه المناسـبة ، فطلب رضى الله تعالى عنه من أبنائه المشرفين على الحفل أن يجهزوا خمسة كراسى عن يمينه وخمسـة عن يسـاره ولا يدعوا احدا يجلس عليهم الا باذن منه شـخصيا ، وعندما بدأ الاحتفال ، وسـط دهشـة الحاضرين من هذه الكراسى الفارغة من الجالسين ، اذا بالعشرة

علماء يحضرون ، فأمر باجلاسهم على الكراسى المعدة لهم ، وبعد ترحيبه بهم ، أخذ يجاذبهم اطراف الحديث قائلا :

عندما كنت بالسودان ، جاء عشرة من العلماء كهيئتكم ليمتحنونى فسألنى الأول الذى عن يمينى واشار الى الذى عن يمينه ، من كذا ؟ — وعين السؤال الذى احضره وجهزه هذا الشخص — ثم ذكر الثانى بسؤاله واجاب عليه ، وهكذا حتى اجاب العشرة عن اسئلتهم التى جهزوها بدون ان يطلع عليها او يتفوهوا بها . . .

بصيرة من الله ونورانية ، وشفافية وامدادا من سيدنا رسول الله ﷺ . بل انه رضى الله تعالى عنه كان يفحم المستشرقين حين يستشف ببصيرته النافذة اغراضهم الخبيثة التى تكمن فى اسئلتهم ، فهذا احدهم يتوجه اليه بالسؤال قائلا : الحى افضل أم الميت ؟ فأجابه على الفور بدون تريث مريم افضل أم ابليس ؟ فبهت الذى كفر . . وتعجب الحاضرون لوجومه . . فكشف لهم حقيقة الأمر وقال : ان هذا يريد ان اقول له : الحى فيصل عن طريق الجدال الى ان عيسى وهو فى نظرنا حى افضل من سيدنا محمد فأجبته بأن ابليس حى ومريم قد ماتت .

أما عن بصيرته رضى الله عنه فى تربية مريديه واحبابه فحدث عنها ولا حرج ، والأمر فيها اكثر من أن تحويه هذه الصفحات ، وحسبنا منها هذا المثال الذى تسبب فى توبة أخص كتابه كامل افندى واسلام زوجته الفرنسية، والتى سمت نفسها فاطمة .

فقد كانت أم كامل من الصالحات القانتات ، اللاتى تهذبن وتربين على يد الامام أبى العزائم ، وكانت تذكر لابنها فى رسائلها اليه كثيرا من النوادر والأحاديث التى تسمعها من الامام أبى العزائم ، فظن ابنها لعدم معرفته بالامام انه رجل عادى ، وأن هناك علاقة بينه وبين أمه ، فصمم وهو فى دراسته للحقوق بفرنسا أن يقتل الامام أبا العزائم بعد عودته الى مصر ، وعند مجيئه أظهر لأمه اعجابه بأبى العزائم ، وطلب منها أن تصحبه هو

وزوجته لرسلما عليه ، واخفى المسدس فى ثيابه ، وجهزه لضرب نورا ، وعندما رآه الامام قال له على البديهة : مرحبا يا كامل أفندى ، جئت تقتل أبا العزائم : وتخفى المسدس فى ثيابك ؟ أخرج مسدسك فان الله حائل بينك وبين ذلك .

فذعر الرجل وأخرج مسدسه وسلمه له وترجم لزوجته الفرنسية ما دار فارتمت على الأرض ، واغمى عليها ، وفى تلك اللحظات ، رأت أن القيامة قد قامت ، والملائكة يأخذونها ليتذفونها فى جهنم ، وهى تستجير فلا تجد من يدفع عنها ، وبينما هى على باب النار ، اذا بها تجد الامام أبى العزائم يقول لهم : خلوا عنها .. فأمسكت به ثم أفاقت من سباتها وهى تصيح يا أبا العزائم .. فأسلمت وحسن اسلامها وصارت تكتب بابا ثابتا فى مجلة المدينة المنورة الأسبوعية تحت عنوان « أوربية أسلمت » والامام هنا يحدد مهمة الشيخ فى تصفية قلوب المريدين ، وتهذيب نفوسهم وصفاء احوالهم ، فاذا كان هو لم يتمكن من تلك الأحوال ولم يستطع أن يهذب نفسه فكيف يعطى ذلك لغيره ؟ وفاقد الشىء لا يعطيه .

وهذه البصيرة هى سلاح العارفين عند ورود الشبهات وقائدهم للوصول الى مراد الله فى تأويل الآيات القرآنية ، ومعرفة ما يقصده سيدنا رسول الله ﷺ فى الأحاديث النبوية ، وهى التى تحدد الأمراض والحجب والقواطع التى تمنع السالكين وتحجبهم عن الوصول الى درجات الروحانيين ، ويقول فى ذلك : (وانما امام المتقين من وصل الى جناب القدس ثم ورثه الله علوم الرسالة والنبوة ، فقام داعيا للحق بالحق دالا على الحق بالحق ، مجددا للسنة ، مبينا لسيرة السلف الصالح ، هذا هو الامام المقتدى به ، واذا اظهره الله فى عصر من العصور وجب على كل طالب ان يقتدى به أو بمن اقتدى به أو بمن اقتدى بمن اقتدى به ، فان هؤلاء فى الجنة ما داموا محافظين عى تلك الاسرار) .. (١) .

---

(١) مذكرة المرشدين والمسترشدين طبعة سنة ١٩٨٣ ص ٦٤ .

وينعى رضى الله تعالى عنه على كثــير من مدعى الصـــوفية فى عصره فيقول : (هذا وبعض أهل الطريق ، اذا مات المرشد أو مات الشيخ المأذون بالطريق ، يســلمون لأحد أولاده أو اقاربه ، وهذا أمر حســن ، لو ان من سلموا له يكون على شىء من العلم والعمل والحال ، واجتهد فى تحصــيل ما به كمال نفسه ونفع غيره ، وحافظ على الاقتداء بالمرشد محافظة حقيقية فى القول والعمل والحال . أما اذا سلموا لابن المرشــد ، أو لأحد أقاربه ، وكان صبيا لم يبلغ الحلم ، أو كبيرا على غير استقامته ، بعيدا عن معرفة الطريق وأهله ، فانهم بذلك يكونون عرضـــوا من اقتدوا به للهلاك واهلكوا أنفســهم ، لانهم بذلك يجعلوه يغتر بنفســه ، ويتكبر على العلم ، ويحتقر العلماء ، ولا يزيده الاقبــال عليه ، الا غرورا وبعدا عن الله ، وكأنهم بذلك أساءوا الى مرشدهم فانه جملهم بالعلم والعمل والحال ، وهم لم يحســنوا اليه فى أولاده وأهله ، وكان الواجب عليهم ، أن يجتهدوا فى تربية ابن الاستاذ أو من يكون من أهله ، تربية حقيقية ، علما وتهذيبا وعملا حتى يكون لســان صدق لوالده ، ووارثا لعلومه وأحواله .

وانى لأعجب من رجل لا يرضى أن يجعل الحصرم من العنب زبيبا ويرضى ان يجعل الطفل الصغير المؤهل للتربية والتهذيب والتعليم ، مرشدا عظيما ، وظن أنه يحسن صنعا) .. (١) .

ويأتى رضى الله عنه بالقول الفصل فى هذا الأمر الذى طــال فيه الجدل والكلام بين ابناء الطرق الصوفية وغيرهم فى شــأن من يقوم بتربية المريدين بعد شيخهم فيقول :

« ان الله سبحانه وتعالى حكم فى كتابه العزيز فى ميراث الأرض خاصا لمخصوصــين ، وحكم فى ميراث السماء أنه فضــله يؤتيه لمن يشاء ، فحكم سبحانه وتعالى فى خــير الدنيا بما هو واضــح ، وحكم فى ميراث الأنبيــاء

(١) مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ٦٥ .

والمرسلين بالفضل العظيم بأنه لمن يشاء (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) (١) .. » (٢) .

الرحمة بالخلق

خلق سيدنا رسول الله ﷺ من عين الرحمة الالهية فكان رحمة مفاضة لجميع الكائنات العلوية والسفلية سر قول الله سبحانه وتعالى : (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) (٣) ومن قلبه ﷺ تفاض الرحمة على قلوب وارثيه فيغمرون الكون بضروب الرحمة المحمدية من الشفقة والعطف والحنان والكرم والبر والاحسان والعفو والصفح والغفران وغيرها من أبواب الرحمة التى لا حصر لها ، وقد كان عين اعيان الرحمة الايمانية الاسلامية فى هذا العصر ،مولانا الامام ابو العزائم رضى الله تعالى عنه فقد وسعت رحمته الصغير والكبير فكان رضى الله تعالى عنه يقضى جل وقته يؤنس ابناء المريدين والمحبين حتى تعلقوا به من نعومة اظفارهم ، وشعاره الدائم فى ذلك : (عاشروا الناس معاشرة ، أن عشتم حنوا اليكم وأن متم بكوا عليكم) حتى انه فى سبيل ذلك ، كان ينسى ابناءه الصلب نظرا لانشغاله بأبناء الفقراء ، وعندما اقامه الله لدلالة الخلق على الله ، اختار نفرا من خاصة اصحابه يعاونونه فى اداء هذه الرسالة وأتى بأسرهم ، وأسكنهم فى داره وتكفل برعايتهم وتربية أبنائهم والاشراف على جميع شئونهم ، ليتفرغوا لدعوة الله عز وجل ، لأنه رضى الله عنه ، كان يرى أن سريان القيم الاسلامية وانتشار المكارم الايمانية فى المجتمع هما العامل الأكبر لحفظه من الضياع والتفكك ، وصونه من الخلاف والشقاق والفساد ، وحفظه من الأمراض القلبية كالحقد والحسد والشح والطمع والحرص والأثرة وغيرهما وهذه المهمة لا يقوم بها الا الدعاة الى الله المخلصين الذين اخلصوا لله قلبا وقالبا ، والذين يقول فيهم :

---

(١) الآية (٢١) من سورة الحديد .
(٢) مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ٦٥ .
(٣) الآية (١٠٧) الأنبياء .

عبيـــد اخلصـــوا لله ذاتـــا
وقاموا صـــادقين بحسن نيـــة
فـلم يشـــغلهم حـــظ ووهـــم
عن الاخـــلاص للذات العليـــة
ومن يـــد سيد الرسل التهـــامى
ســـقو خمر البشـــائر احمـــدية

وكان رضى الله تعالى عنه من شدة حدبه وحرصه على مريديه ، يدخل غرفته الخاصة موهما خاصة أصحابه انه سينام ، فاذا تأكد من نوم الجميع، خرج من غرفته ماشيا على اطراف أصابعه ، يتفقد المريدين ، فيغطى من كشف الغطاء عن نفسه ويصلح من نام على غير هيئة النوم الطبيعية ، حتى اذا اطمئن على الجميع ، دخل فاستراح فى حجرته ، وبلغ به رضى الله تعالى عنه فرط احساسه باخوانه ، انه كان يأمر من يدعوه الى منزله الا يحضر الطعام حتى يراه بنفسه ، ويمسك المغرفة ويحركها فيه بضع مرات ، ذاكرا لله ملتمسا منه عز وجل البركة ، فيكثر الخير ويفيض ، واذا تفرس فى فقير انه يود دعوته الى بيته ، ولكن يمنعه من ذلك ضيق ذات اليد ، يخبره أنه سيزوره فى ميعاد ويحدده ، ويرسل قبل الميعـــاد نفرا من خاصـــة أحبابه ويعطيهم المـــال ، ويكلفهم أن يشتروا أصـــنافا من المـــأكولات والفـــواكه والحلويات تليق بالوجهاء والأغنياء ، ولا يخبرون أحدا بهذا الصـــنيع ، ثم يذهب هو ورفاقه ، فينبهرون من ضروب الخير وأصناف البر ، التى يجدونها عند أخيهم الفقير ، ويسر الفقير وأهل بيته سرورا ما بعده سرور .

ويقول رضى الله عنه معلما لأحبابه ومريديه قول رســـول الله ﷺ : (ما عبد الله بشىء افضل من جبر الخاطر) (١) وكمثل السادة الصـــوفية المحققين والذين يعبر عنهم سيدى أبى العباس المرسى رضى الله عنه فيقول : (لا تمنعوا أحدا من الدخول علينا بليل أو بنهار ، فان المريد يأتى والشـــوق

---

(١) ذكره السخاوى فى المقاصد الحسنة

يملأ فؤاده ، فاذا منع فسد حاله ونغير) ويمتثل بقول القائل : « قلوب الأحرار لا تحتمل الانتظار » ، وهكذا أيضا كان الامام أبو العزائم رضى الله تعالى عنه .

فقد حكى الاخ الصادق الشيخ عبد الحميد سرى وكان كاتبا بمحكمة السويس ، انه وجد سيارة متجهة الى القاهرة لقضاء مصلحة ضرورية وترجع فى نفس اليوم ، فاستأذن فى الذهاب معهم ليبل شوقه بملاقاة مولانا الامام ، وعند حضوره الى دار ابى العزائم ، كان وقت القيلولة ، وكان الشيخ مفتاح زيدان الخادم الخاص للامام ، يجلس على باب الغرفة حتى لا يترك احدا يقلق راحة الامام أثناء قيلولته ، فأستأذنه الشيخ عبد الحميد سرى أن ينظر الى وجه الامام وهو نائم حتى يمتع نظره بالنظر فى وجهه ، لأن النظر فى وجه العالم عبادة ، فامتنع الشيخ مفتاح ، وبينما هم كذلك اذا بالشيخ يصفق بيديه ويستدعى الشيخ مفتاح ويقول له : من بالباب ؟ فيقول له : عبد الحميد سرى . فيقول له : ادخله ، فأدخله فصافحه ثم سأله عن أحواله وعن احوال رفاقه فى السويس ثم قال له مبشرا ومشجعا على هذه الهمة : (يا بنى نظرة فى الوجه خير من الف شهر) . وهذه الرحمة التى امتلأت بها جوانح هذا القلب الكبير وسعت جميع خلق الله حتى قال رضى الله عنه : (آل العزائم لهم حال مع الله يجذب الكافر والنافر فما بالك بالمؤمن المطيع ؟) هذه الرحمة التى كان يفتح بها أبواب التوبة والاقبال على الله للعصاة والمذنبين ويدعوهم الى الله مشجعا وحاثا قائلا : (رب معصية أورثت ذلا وانكسارا خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا) .

ويقول أيضا :

اسمعوا فالذنب سر الاقتراب
من هو المعلوم فى حل غياب
يكسر الذنب القلوب بولتعه
كسره قرب الى نور الكتاب

هذه الرحمة وسعت حتى الكافرين لتظهر لهم جمال هذا الدين ، فيقبلوا على الله خاشعين مخبتين ، فقد كان يسكن فوقه امراة يهودية وأولادها ،

ورفضـت أن تخـرج من السـكن ، وبالغت فى ايذائه رضى الله عنه أشـد الايذاء ، حتى أنهـا كانت تمسـك الهون وتدق عليه فى الحجرة التى ينـام فيها ، فى أوقات راحته حتى لا ينام ، ومن كثرة تكرارها لهذا العمل ، حـدث خرق فى السـقف ، فكانت تنتظر حتى يلبس ملابسـه ويتهيأ للخروج فتلقى عليه من الخرق ، القاذورات التى تنجس ثيـابه ، ويتضايق المريدون ويثور بعضـهم ، فيقول لهم رضى الله تعالى عنه ملاطفا : قال ﷺ : (لم يكن مؤمن ولا يكون الى يوم القيامة الا وله جار يؤذيه) (١) ثم يأمرهم ان يبدأوا بهـا دائما بعد طهى الطعـام ، فيعطوها ما يكفيهـا وأولادها ، ويطلب منهم أن يشتروا لها ولأولادها كسـوة من الملابس كل عـام ، حتى انها لما رأت أن صنيعها لا يغير شيئا ، بحثت عن سـكن آخر وتركت المنزل ، وبعد هنيهة من الزمن ، فوجئت بأبى العزائم يدق عليها البـاب ويسـتأذن فى زيارتها ، ويعتذر اليها ان كان قد بدا منه أو من أحد من أولاده شيئا أساءها فاضطرت الى مغادرة المنزل — واذاء هذه الأخلاق العاليه ، لم تتمالك اليهودية الا أن تعلن اسلامها عجابا بهذا الخلق النبيل ، ويلقن الامام أبناءه فى هذا الأمـر درسـا عمليا عندما قال له أحدهم مرددا قول القائل : (اتق شر من أحسنت اليه) فقال رضى الله عنه : هذه العبارة غير كاملة ، اكملها بما يأتى :

(اتق شر من أحسنت اليه بدوام الاحسان اليه) وصدق رضى الله عنه اذ يقول :

ليس الـرقى الى العليـا بأعمـال
ولا الوصـول بأقـوال وأحـوال

ولا بعـلم بـه تغـوى ولا أمـل
ولا جهـاد بأبـدان وأمـوال

لكنـه منـة مـن فضـل واهبـه
بـه تعـد جميـلا بـين أبـدال

---

(١) رواه أبو سعيد النقاش والاصبهانى وابن النجار عن على كرم الله وجهـه .

خلق عظيم وايقان ومعرفة
بالله ذى الفضل والاحسان والوالى
اذا عرفت مقام الله خفت
وفى خوف المقام تنال القرب بوصال
هذا الوصال وهذا القرب اجمعه
سعادة أبدا فضلا بغير زوال

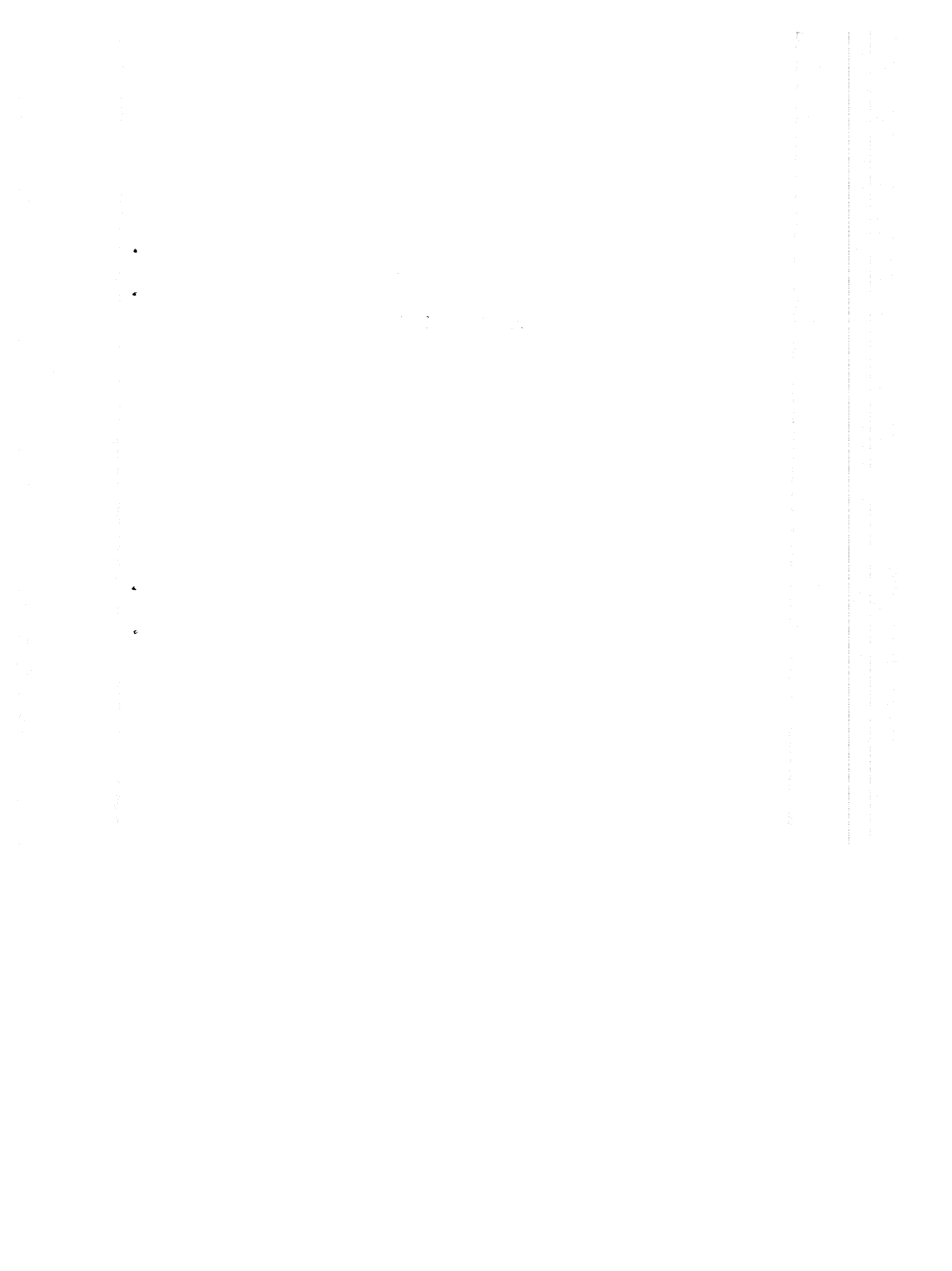
وبالجملة : فان صفات الدعاة الى الله والعلماء أهل الخشية والحكمة قد أفاض فيها الامام أبى العزائم رضى الله عنه فى كثير من كتبه واهمها : معارج المقربين ومذكرة المرشدين والمسترشدين والطهور المدار على قلوب الأبرار ودستور السالكين على طريق رب العالمين وآداب السلوك الى ملك الملوك وشراب الأرواح عن فضل الكريم الفتاح وغيرها من الكتب ونكتفى بهذا القدر رغبة فى الايجاز ، ومن اراد المزيد فعليه بهذه الكتب .

والله الموفق والهادى الى اقوم السبيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

الفصل السابع

الجهـــاد الأكبر

- تمهيـــــد
- أولا : العـــلم
- ثانيا : العمل بالعلم
- ثالثا : تزكية النفس



تمهيـــــد

على أن أروع ما قدمه الامام أبو العزائم من تجديد فى العصر الحديث ، هو تربية جيل من الصوفية العظــام ، الذين عرفوا الله حق معرفته ، وقاموا فى لجة هذا البحر العميق (الدنيا) منارات يهتدى بها الحائرون ويقتدى بهـــا الســـالكون ، فكأنهم المعنيون بقول رســـول الله ﷺ « العلماء سرج الدنيـــا ومصابيح الآخرة » (١) .

فقد كان رضى الله عنه وهو فرد ، مدرســـة كاملة يترقى فيها المريد من أوائل مقامات السلوك ، حتى يصل الى منتهى الدرجات قربا من ملك الملوك عز وجل ، وهو فى ذلك كله أســـبقهم عملا بما يقول ، وأنهضهم عزيمة لمـــا يطلب ، وأقواهم حالا فيما يأمر وفى ذلك يقول :

بعض حـــالى يدك شـــم الجبـــال

وبقـــولى يلـــوح نـــور الجمـــال

وقد أفاض رضى الله تعالى عنه فى الحديث على مراتب تهذيب السالكين ومراحل مجـــاهداتهم ، وبين المقامات والأحوال التى يمرون بها فى ســـيرهم وسلوكهم ، وذلك فى معظم كتبه واهمها فى ذلك الأمر : كتاب شراب الأرواح من فضل الفتاح وكتـــاب مذكرة المرشـــدين والمسترشدين ، وكتاب الطهور المدار على قلوب الأبرار ، وكتاب دستور السالكين طريق رب العالمين وكتاب آداب السلوك الى ملك الملوك ، وغيرها من الكتب التى لا يتســـع المجـــال لذكرها الآن .

والحديث عن كيفية تربيته رضى الله عنه للسالكين وارشاده للواصلين ، ويحتاج الى مجلدات كثيرة لما يتصف به من تحليل نفسى وسمو روحى ولاتساع جوانبه ، حيث أن السالكين تختلف مشاربهم واذواقهم ، ولكل مشرب ذوقه ومواجيده ومقاماته وأحواله ومنازلاته ومؤانساته وملاطفاته ، ولكننا سنجمل ما لابد منه ، حتى لا يخـــلو هـــذا المختصر من اشـــارة الى مراقى الرجال ومجاهداتهم فى المدرســـة العزمية .

وهى بحسب المراحل الاجمالية التى يمر بها السالكون كما يلى :

---

(١) رواه ابن عدى وأبو يعلى عن على كرم الله وجهه .

أولا : العــلم

فيوجه رضى الله عنه السالك فى بدايته الى تحصيل ما لابد منه من العلوم الشرعية التى تصحح عمله ويقول فى ذلك :

« عمل بلا علم ضلال وعلم بلا عمل وبــال » ويطلب من المريد أن يجد فى تحصيل تلك البدايات — وقد لخصها فى مقدمة كتابه « اصول الوصول » ويقول فى ذلك منبها ومشجعا :

حصـــــل العــلم بعـــزم صــادق
لا تــكن فى العــلم كســلانا ملول
حصـــــل العــلم بالقــدر الــذى
يقتضــيه الــوقت لا قــال يقــول

ومن لم يستطع أن يحصل هذا العلم بنفسه ، كان يوجهه الى تحصـيله عن طريق السماع من العلماء أهل الخشية ، ويوضح له أمثل الطرق لتحصيل العلم من هؤلاء العلماء فيقول له فى الحكمة « زك نفسك قبل السماع تشرق عليك انوار العلوم » .

ويقول أيضا :

خذ ما صفا لك من نور الاشارة كن
حــال السماع قــوى العزم والدين

ويطلب من المريد أن يجالس العلماء أهل الخشية ويقول له : كل كــلام يخرج من الفم وعليه كسوة من نور القلب الذى خرج منه » بل يوضح أن تأثير هؤلاء العلماء بحالهم وانوار قلوبهم ، ابلغ من تأثير أقوالهم فى نفوس السامعين فيقول : « تسبق أنوارهم اقوالهم فتجذب القلوب وتطهرها لسـماع العــلم الموهوب » فاذا انتهى المريد من تحصيل مــا لابد له منه من علوم الشريعة ، نهــاه عن البحث فى المطــولات والمــراجع ، الا اذا كان مــؤهلا للدعــوة الى الله ، فان تحصـــيل العــلم بالنســـبة للـــداعى الى الله عبـــادة خاصة يتقرب بها الى الله عــز وجــل ، ويحصل له بها من القرب والأجــر والثواب ما لا يحصل لغيره من العباد والزهاد .

ثانيا : العمل بالعـلم

وهذا هو الركن الأعظم عند الصوفية قديما وحديثا ، حتى انه رضى الله عنه يقول « لا يكون المريد عندنا مريدا حتى يعمل بمـا عـلم » وينوه الى أن العمـل هو الباب الذى يفتح منـه للمريد الهبات الالهيـة والعلوم اللدنية والألطاف الخفية ، فيكرر دائما على اسماع المريدين ، قول سيدنا رســول الله ﷺ « من عمل بما علم ورثه الله علم مـا لم يكن يعلم » (١) وحتى يدفع المريد الى العمل يقول له :

العـلم يهتف بالعمـل

فاعمـل تنـل كـل الأمـل

ثم يبين له شيء من هذا الأمـل وهى العلوم التى لا تنال الا بالمجاهدات والمكابدات فيقول :

عـلم يقـين بعـده

عـين اليقين لمن وصل

من بعـد ذا حـق جلى

كبرى الولاية فاتصـل

فيبين له انه بعد أن انتهى من عـلوم الدراسة ، فأمامه علوم الوراثة — وتعريف هذه العلوم باختصار شديد كما يلى :

— أما علم اليقين : فهو الخبر الذى يتلقاه المرء عن صـادق .

— وأما عين اليقين : فهو الخبر الذى يشاهده بعينيـه ويراه من مسـافة قريبـة .

— وأما حق اليقين : فهو ما كان عن مجانسة ومخالطة وقرب هـو قـرب القـرابة .

---

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث انس .

ونضرب لذلك مثلا ببيت الله الحرام ، فالناس فى شأنه وشأن العلم به على ثلاثة اقسام .

اما الذى سمع عنه ممن سبق له الذهاب اليه وهو عنده صادق فتيقن من صدق الخبر لصدق المخبر فهو فى علم اليقين .

واما من سافر الى البيت ورآه من مشارف مكة ولم يصل اليه بعد فذلك يعلمه ويراه عن عين اليقين .

واما الذى وصل اليه وتحققه وطاف به فذلك ما يسمى بحق اليقين .

حتى يتشوق الى نيل تلك العلوم ، فيجاهد نفسه على عمل الطاعات والقربات ويفطمها عن الشهوات والمخالفات ، ويوضح فى نفس الوقت للدعاة والمرشدين السر الثمين فى تثبيت ما حصلوه من علوم ، فى عقولهم وافئدتهم فيقول : (العلم يهتف بالعمل اعمل والا ارتحل) وحتى ينال السالك رضاء الله فى علمه وعمله ، يكشف النقاب عن الباعث الحثيث الذى بسببه يتجمل الأحباب بمواهب الكريم التواب ، وهو انهم يطلبون العلم الذى به يزدادون خشية لله عز وجل ، لا العلم الذى يورث الجدال ويفتح أبواب النزاع والخلافات بين المسلم وغيره أو بين المسلم واخوانه المسلمين ، فيقول رضى الله عنه :

العلم يجعلنى اخشى من الرب
أراقب الله بالأعضاء والقلب

ان لم اكن أخشى من ربى فمن جهلى
وان علمت علوم الكشف والغيب

وان تحصلت من علم ومن فقه
مثل الجبال الرواس لم يزل حجبى

العلم معراج أهل الحب والحسنى
مهواة أهل الجفا والبعد والريب

تصحيح الوجهـــة :

وللقصد والنية عنـــد ابى العزائم شأن عظيـــم كغيره من الصـــوفية الصادقين ، فهم يوجهون أحبابهم أن يكون عملهم خالصا لله عز وجل ، طاهرا من شوائب الرياء والعجب والعلة والغرض ، وأصل الأصول فى ذلك كله عندهم أن يكون العمل ابتغاء رضـــوان الله الأكبر أو طلبا لوجهـــه الكريم عملا بقول الله عز وجل « يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه » (١) وفى ذلك يذكر أحبابه بأن الجنة كون كما أن الدنيا كون ، ومن وراء ذلك مكون الاكوان عز وجل فيقول : (قال الله عز وجل «عجبا لمن رآنى دون مكوناتى» قال العارف : سبحانك تنزهت قال « من اتخذنى وسيلة الى جناتى فقـــد رآنى دون مكوناتى » ويبين رضى الله عنه حاله فى هذا المقـــام ليتـــأس به السالكون ويقتدى به الواصـــلون :

غـــيرى يميـــل الى الجنـــان ويـــرغب
وانـــا الـــذى منهـــا افـــر واهـــرب

الـــكل طمعـــــا فى الجنـــان تعبـــدوا
صلوا وصـــاموا عن رضـــاك تحجبوا

نـــار الجحيـــم مع الرضـــا هى جنتى
امـــا النعيـــم بغـــيره لا ارغـــب

ثم يكشف الستار عن حال الواصلين ، وبمنزلة المتمكنين ليشوق الى هذه المنازل اهل السلوك والتلوين فيقول عنهم :

وجنـــة الخـــلد لو ظهـــرت بطلعتهـــا
لفـــارقت حســـنها بالزهـــد همتهـــم

فمطلب القـــوم مولاهـــم وســـيدهم
أحـــد تنـــزه تعـــلمه سريرتهـــم

---

(١) الآية (٢٨) الكهف

ويظهر رضى الله عنه حقيقة الخوف الذى يؤرق بل ويشغل أصحاب هذا المقام فيقول :

انا لا أخاف وحقه من ناره
كلا ولا ابغى الجنان لطيبها

فالقرب منه جنتى ومحاسنى
والبعد عنه ناره ولهيبها

وعلى هذا المنهج يسوق الامام أبو العزائم رضى الله تعالى عنه أبناءه فى أعمالهم التى يتوجهون بها الى الله عز وجل ، فيبرنهم على تفريد الله عز وجل بالعبادة وافراده سبحانه بالقصد ، ثم يكشف لهم عن معونات الحق عز وجل فى العمل لهم حتى يتحققوا بالعجز والمسكنة والاضطرار ويعلمون حقيقة أنه لولا معونة الله وتوفيق الله ما صح لهم عمل واحد فى هذه الحياة فيقول :

(لا تفرح بالعمل الا اذا تحققت بالاخلاص فيه ، ولا تفرح بالاخلاص الا اذا تحققت باصابة الحق فيه ، ولا تفرح باصابة الحق الا اذا تحققت بتوفيق الله فيه ومعونته ، ولا تفرح بالتوفيق الا اذا فرحت بالله الذى أقامك مقام العامل لذاته ، حتى صرت من عمال الله) (١) وهكذا فان السالك عند أبى العزائم لا يبدأ السير الى الله عز وجل الا اذا صحح الوجهه فجعل عمله وقوله ونيته وماله وكله لله عز وجل « قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا أول المسلمين » (٢) .

وهاكم مثالا واحدا من آلاف الأمثلة فى توجيه الأستاذ رضى الله عنه لطلابه ومريديه فى تصحيح الوجهة لله عز وجل :

فقد كان رضى الله عنه يزور الشندويلى باشا بجزيرة شندويل بالقرب من سوهاج ، ومعه احبابه ومريديه ، وراى واحدا منهم على غرة بنت

---

(١) شراب الأرواح
(٢) الآيتان (١٦٢ ، ١٦٣) الأنعام

الشندويلى باشا ، فهام بها عشقا حتى ملكت عليه كل جوانحه ، فتغير حاله واضطرب باله ، وبدت عليه علامات الذبول والنحافة ، فلما رآه رضى الله عنه على هذه الهيئة — وكان يختفى منه ليقينه باطلاعه على حالته — سأله عن سبب تغير حاله فأجابه ولم يدس عنه شيئا ، وطلب منه أن يطلب من الباشا أن يزوجه بابنته ، ولما كان الشندويلى باشا لا يؤخر لامامه طلبا ، فقد استجاب بسرعة ، بل انه هيأ مكانا للزواج واقام العرس فورا بعد عقد القرآن ، ودخل الرجل بزوجته ، وفى الصباح اذا به يأتى الى ابى العزائم مذعورا فسأله ما بك ؟

قال : لقد ماتت زوجتى ، فقال له : أمكث معها فى حجرتها حتى نأتيك فأظهر الخوف كطبيعة النفس البشرية تخاف أن تمكث مع الميت بمفردها فى مكان ، فذهب معه الامام رضى الله عنه ، وقال له : بعد أن رأى حالتها : أليست هذه محبوبتك ؟ التى من أجلها ذبلت ونحلت وتغير حالك ؟ أليست هذه التى كانت شغلك الشاغل وهمك الملازم وفكرك الدائب ؟ ثم قال له : يا بنى « فتش عن محبوبك » وكأن الانسان ليس له الا محبوب واحد لذاته وجمالاته وكمالاته وهو الله عز وجل . وكل محبوب آخر يحبه الانسان فانما هو لظهور بعض صفات المحبوب الأول عز وجل على هذا المحبوب أو نسبته له سبحانه .

قال ﷺ «احبوا الله لما يغذوكم به من النعم والآلاء وأحبونى لحب الله وأحبوا آل بيتى لحبى » (١) .

وكى لا تقف همة المريد عند حد ما فى طلب العلم ، كان دائما رضى الله عنه يوجههم الى طلب المزيد ويقول لهم : اذا كان الله عز وجل قد أمر حبيبه ومصطفاه وهو الذى أفاض عليه علوم الأولين والآخرين أن يقول : « ربى زدنى علما » (٢) فما بالنا نحن ؟ واذا كان سيدنا موسى نبى الله وكليمه

---

(١) رواه الترمذى والحاكم والطبرانى عن ابن عباس .
(٢) الآية (١١٤) طه

عندما سئل من أعلم الناس يا موسى ؟ فقال أنا . أمره الله عز وجل أن يتوجه الى سيدنا الخضر عليه السلام لطلب المزيد من العلوم التى قال له فيهـا الخضر : « يا موسى انت على علم علمكه الله لا أعلمه انا وأنا على عـلم علمنيه الله لا تعلمه أنت وما علمى وعلمك فى علم الله الا كما يأخذ العصفور من هذا اليم » وأشار الى عصفور كان يشرب من البحر .

ولذا يقول رضى الله عنه : السالك فى طريقنا لا يشبع من طلب العلم أبدا ، بل هو دائما عالم ومتعلم ، فهو يتعلم ممن فوقه فى المكانة والعلم ، ويعلم من دونه ، ومن قال أنى علمت فقد جهل .

وقد روى أن رجلا من الاخوان أرسل ابنه لطلب العلم فى الأزهر وكانت اقامته فى دار أبى العزائم ، فكان يصافح الشيخ قبل خروجه كل صـباح ، فيسأله رضى الله عنه عن اسمه ؟ ثم يسأله عن عمله ؟ فيقول : طالب علم ، وبعد أن انتهى من دراسته وتخرج ، صافح الشـيخ كعادته وسأله رضى الله عنه كحالته فأجاب : أشتغل عالم .

فقال رضى الله عنه : الآن قد جهلت .

وهكذا فالسالك على معارج الكمالات الالهية لا يصل الى مقام الا بعد أن يكاشف بعلم هذا المقام ، ولما كان لا نهاية لكمالات الله عز وجل ، كان لا نهاية لعلوم الله سبحانه وتعالى ، بل ان الانسان كلما ازداد علما أحس بأن ما يجهله أكثر مما علمه ملايين المرات ، هذا اذا كان سالكا على يـد عارف ربانى وحكيم روحانى يكاشفه بحقيقة نفسه كالامام أبى العزائـم رضى الله عنه .

ثالثا : تزكيـة النفس

فاذا لمعت على المريد بوادر الصفاء ، وظهرت عليه الرغبة الملحة فى نوال الكمالات ، والعزيمة الصلدة فى الوصول الى المشاهدات ، وتعلقت روحه بالمنازل العالية ، والمقامات السامية والأخـلاق الراقية ، انتقل به رضى الله عنه الى مرحلة جهاد النفس فيقول له :

هـــذب النفس ان رمـــت الوصـــــول
غـــير هـــذا عنـــدنا عـــين الفضـــول

هـــــذب النفس بتوحيـــــد العـــــلى
عـــن بيـــان الآى مـــن فـــرد تئـــول

ســـــلمن للمرشــــــد الفـــرد الـــذى
يجــــــذب الارواح عنـــه لا تحـــــول

ومراتب النفس التى ينزل فيها المريد عند الامام أبى العزائم هى كمـــا يقول رضى الله عنه : (وتزكية النفس هى تطهيرها من كثـــافة الجمـــادية ووثوف النباتية ورعونات الحيوانية وسعير الابليسية وتشبيه الملكية ، فان الانسان الكامل وسط كما قال تعالى :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس » (١) ، (٢)
فالنفوس عنده رضى الله عنه تنقسم الى سبعة أنواع :

١ — النفس الجمادية
٢ — النفس النباتية
٣ — النفس الحيوانية
٤ — النفس الابليســـية
٥ — النفس الســـبعية
٦ — النفس الملكوتية
٧ — النفس القدســـية

ولكل نفس من هذه النفوس نوازعها وفطرها وشهواتها فاذا عـــلم السالك هذه الحقائق ، استطاع مجاهداتها ، ويشرح الامام رضى الله عنه باجمال تلك الحقائق لمن دخل فى مقام المجاهدة فيقول :

---

(١) الآية (١٤٣) البقرة
(٢) الطهور المدار ص ١١١

جاهد نفوسا فيك بالشرع الأمين
واحذر قوى الشيطان فى القلب كمين
غل وكيد من حسود ماكر
ظلم العباد بنية فى كل حين
هذا اللعين به الهلاك فخله
اسرع الى القرآن فى الركن المتين
والنفس شهوة مطعم او مشرب
أو ملبس فاحذر بها الداء الدفين
الا الضرورة فالاباحة ان دعت
فيها الضرورة فاطلبنها من معين
والنفس ان تدعو مساسا فاحذرن
الا الحلال فانه الماء المعين
جع أضعفنها واحذرن من غيها
غض الجفون وحاذرا فتك الكمين
والنفس داعية الرياسة فاحذرن
فرعونها تنجو من الداء الدفين
وادخل حصون الشرع قلبا قالبا
تحيا سعيدا فى شهود المتقين
تلك النفوس قوية فى فعلها
قد تحجب الأفراد كم أردت سجين
الشرع عصمة سالك يهدى الى
دار الصفا رضوان رب العالمين
فى الشيب جاهد كالشباب وحافظا
فالنفس شيطان يبيد السالكين
والجأ الى مولاك معتصما به
مستشفعا بالأنبيا والمرسلين

مـولاى انـى عاجـز عـن كبحهـا
هب لى اعتصـاما منـك بالشرع الأمين

هب لى اتبـاع محمـد واجـذب الى
روض الشـهود العبد بالعـزم المكين

والجبل متاب العبـد وامنحنى الرضـا
والفضل والغفـران من فضـل المتين

ويحذر المريد من الركون الى النفس فيقول :

« النفس كاكرة ملساء وضعت على قمة جبل عال منحـدر املس كيف يكون حال نزولها ؟ » ليبين لنا أن السالك اذا غفل عن النفس نفسا ربما يغتر بحاله أو يطمئن الى مقامه ، فيكون فى ذلك هلاكه ، فالمريد الصـادق ، بل والعارف الواصل بل والفرد المتمكن لا يغفلون جميعهم عن جهاد أنفسهم لحظة طالما فيهـم نفس يتردد فى هذه الحياة ، والى ذلك يشـير بقوله : (كمل الأولياء لا يرتاحون من جهاد النفس الا مع خروج النفس الأخير من روحهم فى حياتهم الدنيا) وموجز تعريف النفس عنده هى : جملة الأوصاف التى تشير اليها الحقيقة التى تسمت بها اى : النفس الجمادية هى التى تعمل على جمود الانسان وتراخيه وكسله وقعوده عن العمـل ، والنفس النباتية : « والله أنبتكم من الأرض نباتا » (١) هى القوى الغازية التى تعمل على تغذية اجزاء جسم الانسان والمحافظة على نموه ، والنفس الحيوانية : يجملها فى قوله :

وابتهـاج الحيـوان أكـل وشرب
ونكـاح وذاك قصـد القصى

والنفس الابليسية :والتى تهتم بالنوازع الشريرة فى الانسان وتغذيهـا من مكر وخداع وحيل ووقيعة وغيرها ، يشير اليها فى قوله :

---

(١) الآية (١٧) نوح

وابتهـــاج الشــــيطان حســـد وكبـــر
بفســــــاد وفـــرقة وبغـــــى

أما النفس السبعية : فهى القوة الغضبية فى الانســان من حميــة وشجاعة وتهور وغيرها ، والنفس الملكية : هى النوازع الطيبة فى الانسان من حياء وبذل وايثار وصدق ووفاء وهلم جرا .

ويلمع اليها فى قوله رضى الله عنه

وابتهــاج النفـــوس بعـــد زكـــاهــا
رغبـــة الفـــوز بالمقـــام العـــلى
هـــى نفس ان طهـــرت وتـــزكـــت
تتهنى فى حظـــوة بالـــوالـــــى

أما النفس القدسية : فهى من اسرار الحق العلية ، وهى نفحته البهية التى جلت الهياكل الايمانية بالحقائق النورانية وجعلتها تشتاق الى المقامات العلية وتحن الى الجمالات والكمالات الوهبية ، وهى خاصة بالأفراد أولى العطية الذين يقول فى شأنهم : رب البرية : (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاقى) (١) والطـــريق الذى به يســـتطيع السالك مجاهدة تلك النفوس بعد حصون الشريعة المطهرة والعمل بأحكامها لأنها اكمل حصون الأمن التى يتحصن بها الانسان فى مقامات الجهـــاد . يلخصها الامام رضى الله عنه فى هذه المنظومة والتى سماها :

منظومة السير والسلوك وضوابطهما

الســـير ســـير الســـالك الأواب
فـــوق الصراط بصـــحة الآداب
فى الروض حصن الشرع يســلك ناظرا
للحـــق لا لظـــواهر الأســـباب
حتى يشـــاهد مشهد التوحيـــد فى
عـــين اليقـــين بصـــحبة الأحبـــاب

---

(١) الآية (١٥ غافر .

بـــدء الطـــريق رعـــاية للغيب فى ..
حـــل وترحـــال حضـــــور غيـــــاب

يســـقى مدامـــة غيب قـــرآن الهـــدى
يعطـــى الولاية بعـــد رشـــف شراب

يفنـــى فيشـــــــهد آيـــة فى خـــلقه
فـــيرى جمـــال الوجـــه فى المحـــراب

من بعـــد ذاك يـــراقب الغيب العـــلى
بالنفس والاعضـــــــاء والالبـــــــاب

وتجـــــرد مـــن فطـــــرة من فتنـــــة
مـــن غفـــوة ســـهو وظـــل حجـــاب

ان الطـــريق مراحـــل هـــى شـــــهوة
حـــــظ وآمـــــال بنصـــ كتـــــــاب

فـــوق الرواحـــل همـــــة عـــلم بـــه
ينجـــو مـــن الشـــــيطان من مـــرتاب

ســـير واقبـــــال بصـــدق عزيمـــــة
احيـــاء ليـــل فـــوق ســـطح تـــراب

تفـــريد ربـــك بالعبـــــادة مخلصـــــا
ترجـــوه غفـــــرانا وخـــــير مـــــآب

والصـــمت معـــراج وجوعـــك طهـــرة
والصـــمت رفـــرف حضرة التـــواب

والذكـــر منشـــــور الـــولاية حجـــــة
والخـــوف حصـــن الأمن خـــير جـــواب

امـــا الرجـــا فهـــو المـــزاج لواصـــل
فامزجهمـــــا تـــرقى الى الأصـــــحاب

هذا الطـــريق به الوصـــــول لربنـــا
والقـــلب طهـــــره مـــن الأســـــباب

اشـــــهد يـــد المعطى تفـــز بالاجتبـــــا
تعطـــى مقـــام الحـــب فى الترحـــــاب

عمـــر بذكـــــر الله قلبـــك تشـــــــهدا
نـــور الولى تـــرى ضـــيا الوهـــاب

ادخل حصــون الشرع معتصــما بهــا
أعضـــاءك احفظهـــا مـــع الآداب
لا تصـــطفى الا الحبيــب محمـــدا
تابعـــه تعطـــى ثــم خـــير متـــاب
بالاتبـــاع يحبـــك الله العـــــلى
وتفـــوز بالحســـنى بنص كتـــاب

وهكذا يوجز الامام رضى الله عنه فى هذه المنظومة الرياضات الروحيــة التى يدخلها السالك ولا يزال يجتازها واحدة بعد واحدة وابرزها مراقبــة الله فى الغيب والشهادة ثم التجرد من الشــهوات والحظوظ الكاســدة ثم تحصيل العلم النافع ثم العزيمة الصادقة والصمت والجوع والسهر والذكر وهم أركان الولاية كما قال القائل :

بيــت الولايــة قســـمت أركـــانه
ســـاداتنا فيـــه مـــن الأبـــدال
مـــا بين صـــمت وســـهر دائـــم
والذكـــر والجـــوع العـــزيز الغـــالى

ويوضح للسالك الجناحين اللذين يطير بهما فى سماء التفريد وهمــا الخوف والرجاء حتى يصل الى معرفة نفسه فيعرف ربه بجوده وعطفــه وكرمه فيقول كما قال الامام أبو العزائم :

عـــرفت نفسى أنـــى كنـــت لا شىء
فصـــرت لا شىء فى نفسى وفى كـــلى
بـــه تنـــزه صـــرت الآن موجـــودا
بـه وجـــودى وامـــدادى به حـــولى
ومـــن أنـــا عـــدم الله جـــلنى
فصرت صـــورته العليـــا بـــلا نيـــل

وهكذا يحدد الامام أبو العزائم رضى الله عنه جهاد النفس والغاية فيه فى كلمة واحدة جمعت فأوعت فيقول :

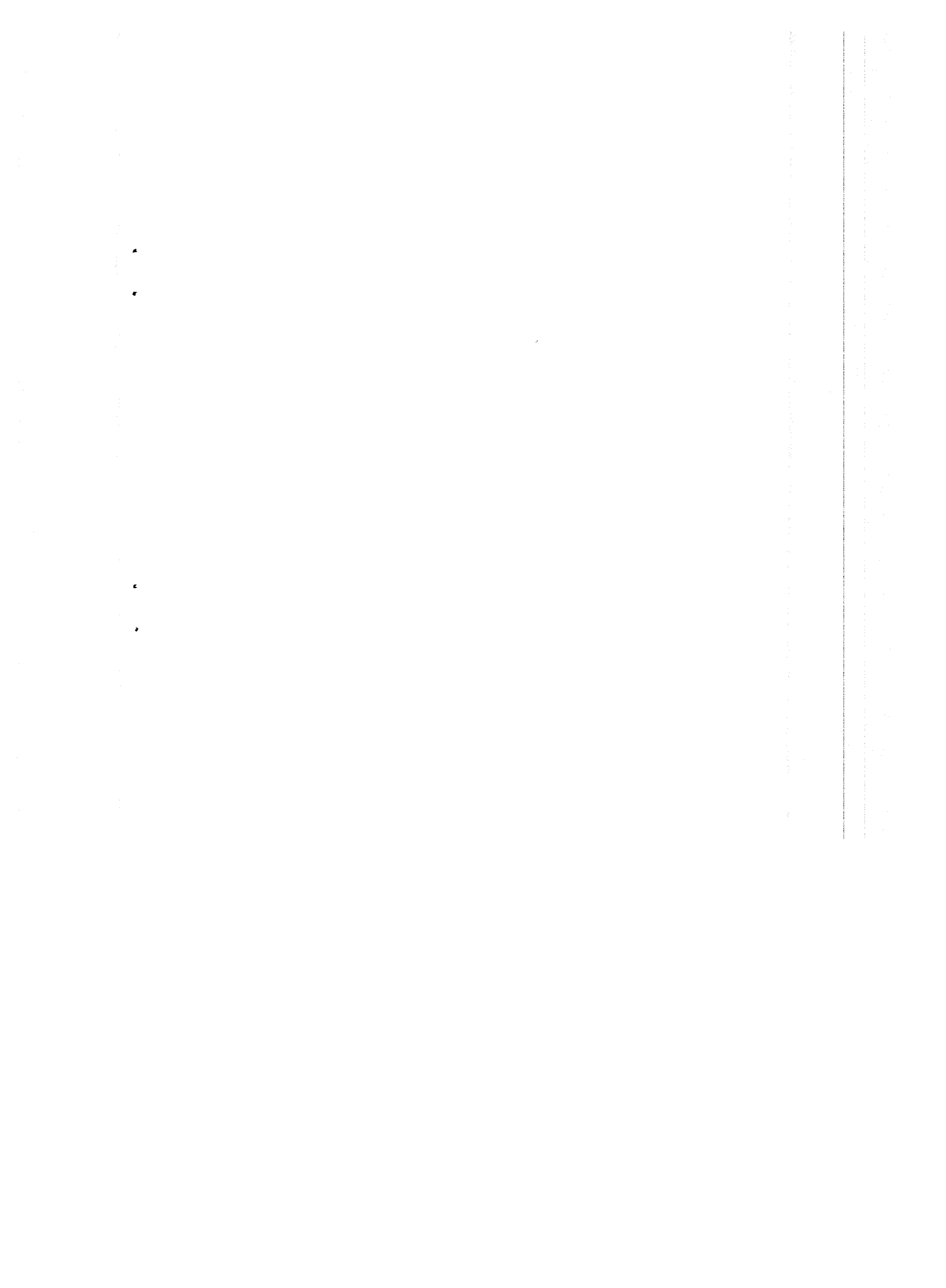
« المجاهـــدة للمشـــاهدة »

الفصل الثامن

الرياضة الروحية

- تمهيد
- اولا : القرآن الكريم
- ثانيا : الفكر – نتائج الفكر
- ثالثا : الذكر – مراتب الذكر – انواع الذكر

الخلوة



تمهيـــــد

فاذا اراد السالك الوصول الى الأحـــوال العالية والتجمل بها ، من فراسة صادقة والهام بأنواعه وفتح وكشف ومشاهدات وتجليات ومؤانسات وملاطفـــات وغيرها مما لا يبـــاح لأهلها التصريح به بعبارة أو الرمز اليه باشارة ، بل يقولون كما يقول الامام الغزالى رضى الله عنه :

فـــكان مـــا كان مـــا لســـت اذكـــره
فظـــن خـــيرا ولا تســـأل عن الخبـــر

وكما يقول الامـــام أبو العزائم :

احفظـــن سرى فســـــرى لا يبـــــاح
من يبـــح بالسر بعـــد العـــلم طـــــاح
علمنـــا فـــــوق العقـــــول مـــكانه
كيف لا وهـــو الضـــيا الغيب الصراح
خصـــــنا بالفضـــــل فيـــه ربنـــــا
ذاك ســــــر غـــامض كيـــف يبـــــاح
والفتـــى المجـــذوب بالحب لـــه آيـــة
ان ذاق خمـــــر الحـــــب صـــــاح
وهـــو مجـــذوب العنـــاية ان يبـــح
بالحقـــائق ما عـــلى الفـــانى جنـــاح

اذا اراد ذلك فلابد له بعد جهاد نفسه من تصفية قلبه من الشـــواغل والصوارف الكونية حتى يتأهل لنزول الفيوضات والتجليات الرهبية ، وهى الجنة العاجلة التى يعجلها الله لاوليائه التى يقول فيها الامام أبو العـــزائم رضى الله عنه : (ان لله جنة عاجلة من دخلها لا يحتاج الى جنـــة آجلة الا وهى المعرفة بالله تعالى) .

والطريق الى ذلك هو ضروب الرياضات الروحية التى ينزل فيها المرشد السالك بحسب ما تأهل له من مقامات وما يناسبه من رياضات ، وقد كانت

الرياضـــات الروحية عند الصـــوفية قبل الامام أبى العزائم رضى الله عنه ، تكاد ترتكز على التقشـــف والزهد والبعد عن التنعم ، وممارسة العبادات والاعمال الشاقة حتى تنطوى النفس على الطاعة ، وتنجلى مرآة القلب من صدأ الغفلة ، لكنه رضى الله عنه جدد وغير كل هذه الأحوال فى نفســـه أولا وفى أحبابه ومريديه ثانيا ، ففى نفســـه : كان رضى الله عنه يلبس أفخـــر الملابس ويضع منظارا على عينيه فى وقت كان لا يملك مثل هذا المنظار الا نفر قليل من وجهاء مصر ، واقتنى سيارة خاصة يســـتخدمها فى تنقلاته فى زمن لم يكن يمتلك فيه السيارة الا كبـــار الباشوات ، وكان يحرص فى أكله أن يكون جامعا لكل القيم الغذائية المفروض توافرها فى وجبة الغذاء او الفطور او العشاء صحيا وعلميا ، وفى تلاميذه كان يوجههم فيقول : (يا بنى لا عليك أن تلبس الثوب البهى وتشرب المشرب الروى وتتغذى بالمطعم الشهى وتجلس وتتنعم بالفراش الوطى ، وتنكح أجمل النســـاء ، ما دمت تحصلهم من الحلال ثم تعرف فضل الله عليك فى كل ذلك ، وتشكره ســـبحانه على ما أولاك) .
ومن هنـــا نجد أن الرياضـــات الروحية عند الامام أبى العزائم تختلف كلا وبعضا عن كثير من مناهج الصوفية المعاصرة له ، وسنلمح الى بعض منها لنرى كيف كان رضى الله عنه يختصر الطريق لمريديه ، ويسهل لهم الوصول الى المطلوب بأيسر جهاد وأقل عناء .

أولا : القـــرآن الـــكريم

وهو الركن الأعظم

فى الفتوحات الالهية والعلوم الوهبية عند الامام أبى العزائم . وفى هذا يقول رضى الله تعالى عنه :

القرآن المجيد مورد آل العزائم الروى ، وروضهم الجنى ،وحوضهم المورد، وكوثرهم المشهود ، ميزان أحوالهم ومرجع مقاماتهم ، يسألونه قبل العمل ، فان اذن سارعوا ، وان منع تركوا واســـتغفروا ، فهو الامام الناطق وان صمت ، لأنهم يسمعونه عن رسول الله ﷺ ، فتسمعه آذان قلوبهم حضورا ووجودا وان كان التالى له انســـانا آخـــر ، وقفت بهم همتهم العليه على القرآن ، فأحلوا حلاله وحرموا حرامه ، فلو أمرهم بقتل أنفسهم لقتلوها ،

أو بمفارقة أموالهم وأولادهم لفارقوها ، فرحين بالسمع والطاعة ، تجلت لهم حقائق القرآن جلية ، وانبلجت لهم أنواره العلية ظاهرة ، فلم تبق بهم همة الا فى القرآن ولا رغبة الا فيه ، أحبوا القرآن حبا ينبىء عن كمال حبهم للمتكلم سبحانه ، كاشفهم الله تعالى بمراده فى كلامه وبحكمته فى أحكامه ، فكان سبحانه وتعالى أقرب اليهم من أنفسهم ، وتجلى لهم سبحانه فى كلامه العزيز حتى كان الرجل منهم اذا سئل لم تعمل هذا ؟ يقول أمرنى القرآن ، ولم تترك هذا يقول نهانى القرآن ، واذا طلب منه أمر يقول : مه حتى أستشير القرآن ، فيقرأ القرآن المرة والمرتين ، حتى تتضح له حقيقة حاله وسر قصده ، فيسارع الى التنفيذ أو الى الترك ، فالقرآن طهور الحب وحلل القرب ولا يوفق للعمل بالقرآن الا من جذبته العناية ، واقتطعته المشيئة واختطفته محبة الله السابقة له) (١) .

ونهجه رضى الله تعالى عنه لمريديه ، أن يقرأ السالك مالا يقل عن جزء من القرآن كل يوم ، ويقول لهم : ليس الشأن أن تحفظ القرآن ولكن الشأن أن يحفظك القرآن ، فالمهم فى التلاوة عنده أن يلاحظ التالى المعانى الآتية :

البهجة بتلاوة كلام ربه ، والعزم الأكيد على التباعد عما نهى القرآن ، والمسارعة الى عمل ما أمر به ، وان يشهد عظمة وجلال وكبرياء وعزة المتكلم سبحانه ظاهرة جلية لعيون سره ، فيكون تاليا لكتاب الله متلقيا عنه سبحانه متشرفا بمعيته جل جلاله ، وهو بعد ذلك كله ، يرتله مخلصا لوجه الله تعالى لا لغرض آخر الا ابتغاء وجه الله العظيم ، وقد تحدث عن هذه الآداب بالتفصيل فى كتاب : الفرقة الناجية وكتاب شراب الارواح فليرجع اليهما من أراد المزيد .

---

(١) الطهور المدار ص (٩١ — ٩٢) .

ثانيـا : الفكـــر

والفكر عند الامام أبى العزائم رضى الله تعـالى عنه مذاق خاص فهو عمدة السالكين ، وشراب الواصلين ورحيق المتمكنين ، ولا يتحقق للمراد هذا القرب والوداد الا بسلوك الطريق الذى يوضحه رضى الله تعالى عنه للمرادين والأفراد ، فعندما يصفو القلب بالمجاهدات من الشهوات والحظوظ والغفلات ، تظهر له أنوار رب العباد عز وجل منبثة فى الكائنات ، فيشرب من رحيق (الله نور السموات والأرض) (١) وينزل فى مقام (فأينما تولوا فثم وجه الله) (٢) فيشهد أسرار الكائنات ، ويعلم حكم الموجودات ، وهذا هو المقام الأول فى ذكر العارفين ، وفى ذلك يقول رضى الله تعالى عنه :

(الذكر هو حضور القلب ويقظته ، وحركة الفكر فى تزكية النفس أو الاعتبار بالحوادث أو التأمل فى مصنوعات الله تعالى فى السموات والأرض ، من أسرار القدرة وغوامض الحكمة وما فيهم من القدرة وما فى مراتب الوجود من النسب والارتباطات مما سخر له وقام لأجله فسبحان البديع المبدع ، الذى أبدع كل شىء خلقه ، وبدأ خلق الانسان من طين ، هذا هو الروض الزاهر اليانع الذى يطيب فيه ذكر الذاكر وفكر الفاكر ، أما الذكر باللسان عندهم فهو النطق بالاسم المتجلى فى الآثار المشهودة التى كوشفوا بها بنور المعرفة ، فينطق اللسان بهذا الاسم عن وجد وذوق لمعانى تجلياته ، ولهم فى كل مشهد اسم يذكر عند حضور القلب ، وقد ينطقون الاسم المحيط الجامع اسم الجلالة (الله) عند الاستغراق فى شهود معانى جميع الأسماء فى انفسهم وفى الملك والملكوت ، فتطيب النفس وتزكو وتتجمل بجمال الأحوال ، وتترقى الى أعلى المقامات من القرب والحب والشوق والوله ، والتأله والخشية والرهبة ، وغير ذلك من مقامات اليقين ، وهذا كله هو ذكر المجاهدين) (٣) .

---

(١) الآية (٣٥) النور .
(٢) الآية (١١٥) البقرة .
(٣) معارج المقربين ص (١٨٧ — ١٨٨) .

وهذا الذكر الذى اشار اليه الامام ابو العزائم هو ما يســـمى بالفكر ، وهو عبادة كمل الأولياء أهل اليقين والتحقيق ، وقد بذ جميع العبادات بنص حديث سيدنا رســـول الله ﷺ الذى يقول فيه : (لا عبادة كالتفكر) (١) ، ويقول فيه الامام أبو العزائم ايضا (لحظة فكر بيقين خير من عبادة سنين) وان كان هذا الفكر لا يتجاوز — مهما بلغ من صفاء الانسان ولطافته — الحد الذى حده له سيدنا رســـول الله ﷺ فى قوله (تفكروا فى آلاء الله ولا تفكروا فى ذات الله) (٢) فالفكر فى آلاء الله موصل الى السعادة الأبدية ، لأن الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشـــية ، وما جليت القلوب بمثل الأحـــزان ولا استنارت بمثل الفكر ، وقد عبر رضى الله تعالى عنه عن ذلك نظما فقال :

زج بالفكر فى شئون المعـــانى	بيقـــين محصـــن بالأمـــان
تتجلى من الشـــئون شموس	مشرقات بنـــورها الـــربانى
لا تجاوز تلك الشئون بفكر	فالمعـــانى جلت عن الامكان
ورياض التفكير تلك المرائى	وهو كنـــز طلسم بالمبـــانى
ودع القلب للمقلب يجلـــى	فيه مـــا شاء من شهود بيان

الى أن يقول رضى الله عنه :

عـــد عن فكرك المقيد وارحل	عن موازين عاتلك الانســـان
وبنور اليقين فاسكن الى الله	بصدق تفز بالروح والريحان

---

(١) رواه أبو الشيخ عن أبى ذر .
(٢) رواه ابن ماجه والطبرانى عن أبى ذر .

ما توهمته بميزان كدعب

فهو مهواه حاطب حيران

نزه الذات والمعانى عن الفكر

وجل فى سائر الاركان

جلت الذات والمعانى تعالت

هى غيب والكون اى البيان

فاذا صفت حضرة الفكر بالرياضة بالذكر ، والذكر هنا بحسب ما يلوح للفرد الذاكر ، فعندما ينظر الانسان الى السماء يشهد سر الرافع فيذكره ، وحينما يقع بصره على الأرض يرى سر الباسط فيستحضره ، ولما ينظر الى الماء يجد فيه سر الحى فيتذكره وعندما يلتفت الى الجبال يتحقق سر القوى المتين فيستعظم قدرته ، وأينما ولى وجهه الى انسان ، لاحظ بعين فكرته ، ورأى بنور بصيرته نور البصير فى بصره وسر السميع فى أذنه وجمال المتكلم فى لسانه ، وغيب المدبر فى عقله ، وقدرة القادر فى قوته ، فيكون كما قال الامام أبو العزائم :

وان نظرت عينى الى أى كائن

تغيب المبانى والمعانى سواطع

لأن المعانى الشمس والكل انجم

اذا أشرقت فالنجم بالشمس طالع

وفى هذا المقام ينمو الشوق ويلذ الغرام وتتأجج لواعج المحبة للمليك العلام عز وجل ، فتتنور البصيرة ، وتتجول فى أفق السريرة ، فترى من غيوب الرحمن فى حيطة الانسان ما يعجز اللسان عن البيان ، فيمتثل قول الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه :

أتزعم أنك جرم صغير

وفيك انطوى العالم الأكبر

دواؤك فيك وما تبصر

وداؤك منك ولا تشعر

فيتحقق بحق اليقين بقول سيد الأولين والآخرين ﷺ (خلق الله آدم على صورة الرحمن) (١) اى خلق الله كل مظهر من مظاهر آدم عليه السلام ، اى كل انسان على صورة الرحمن ، يعنى سميعا بصيرا متكلما مع التنزيه الكامل بين العبدية وحضرة الربوبية ، فالرب رب وان تنزل والعبد عبد وان علا ، وهنا يخاطب حقيقته بهذا الخطاب النبيل الذى قال فيه الامام ابو العزائم :

يا صورة الرحمن والنور العلى
يا سدرة الأوصاف والغيب الجلى

فيك العوالم كلها طويت فهل
ادركت سرا فيك من معنى الولى ؟

خفيت بذاتك من معانى القدس ما
لا يشهدن الا لذى قلب خلى

انست بالأكوان بعد شهوده
وسجود املاك العلى بتنزل

اولا سمعت الست عند شهوده
تومى بأن القدس اول منزل

فاهجر سكونك للكيان وبادرن
بالعزم كى تسكن بوطن اول

فيك المعانى مشرقات بالذى
يرقى به اهل الصفا بتأهل

فاذا احس الانسان فى قرارة نفسه تلك المعانى ، تذكر ادواره الأولى عندما كان عدما ، وعندما صار ماء مهينا ، وعندما صار نطفة فى قرار مكين ، ويشهد عناية الله به فى تلك الادوار ورحمة الله به فى تلكم الأطوار ، ثم يتذكر مفارقته لهذا الجسد الفانى ، واقباله على الله ، وما له فى الدار الآخرة حيث

---

(١) رواه الشيخان واحمد عن ابى هريرة رضى الله عنه .

القيامة والحشر والحساب والميزان والصراط والنعيم والجحيم ، فيتبل على الله بكله ، وينشغل بذكره سبحانه فى كل وقت وآن ، والى ذلك يشير الامام أبو العزائم فيقول :

أيا أيها الانسان من طين فخار
تكونت كى ترى مظاهر اسرار
ومن نطفة انشأت ايا جلية
وصرت بمحض الفضل حصن قرار
تدبر فأنت الطين والماء فاشهدن
جمالى واحسانى وسرى وأنوار
اكنت سميعا أو بصيرا وعالما
ولكننى انعمت بالمدرار
نسيت جمال الله فيك تيانظا
فمن ينسه يلقى سعير النار
أيا طينة الصلصال من بجماله
تحليت بالأنوار بعد فخار
اتنسى مفيض الفضل والجود والعطا
وتهجر أورادى وتترك اذكارى
وللدون والدنيا تميل وترتجى
نوال الرضا والعفو احسان غفار
تذكر جميلى من (ألست) وبعدها
وتابع سبيلى مخلصا يا سار
ولا تنسى احسانى اليك ورحمتى
وكن مخلصا فى خفية وجهار
ولا تشتغل بسواى ترفع للعلا
وتحظى بفضلى صحبة الأخيار
فلا ينس احسان الجميل وفضله
سوى مبعد أو جاهل ومسار

ويشرح رضى الله تعالى عنه للسالك كيف يتحقق بقول الله عز وجل (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) (١) ، ويامح الى شىء مما يدركه السالك عند نظره الى الآفاق سواء فى الأجرام السماوية من كواكب ونجوم وسيارات ، أو فى العوالم الأرضية من بحار وأنهار وحيوانات وحشرات وجمادات ومعادن ونباتات ، والى شىء مما يراه فى حقائقه الظاهرة كالعينين والأذنين واليدين والرجلين واللسان أو حقائقه الباطنة كالعقل والروح والقلب والفؤاد والنفس والسر ، حتى يشتد وجده الى خالق هذه الأنواع ، ويتحقق بقول الله عز وجل : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق) (٢) ، وذلك فى كتاب النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين وكتاب معارج المقربين ، فمن أراد المزيد فى هذا الباب فعليه بهما.

نتائج الفكر

فاذا دخل السالك فى رياض الفكر وانبلجت له أنوار الذكر ظهرت حقيقة نفسه ، فعلم وتيقن ذله وضعفه وعجزه وانكساره وغربته ، وتلك اكمل جمالات العبيد ، التى ينظر اليهم بها وفيها الحميد المجيد ، فعندما سأله سبحانه وتعالى سيدنا أبو يزيد البسطامى رضى الله عنه : بم يتقرب اليك المتقربون ؟ قال عز وجل : بما ليس فى . قال وما الذى ليس فيك ؟ قال : الذل والتواضع والمسكنة ، وعندما سأله سيدنا موسى عليه السلام قائلا : يا رب اين اجدك ؟ قال : يا موسى تجدنى عند المنكسرة قلوبهم من أجلى .

وفى ذلك يقول الامام أبو العزائم رضى الله تعالى عنه :

باضداد الصفات أنال قربى
واحظى من الهى بالوصال

وقال سيدى احمد الرفاعى رضى الله تعالى عنه : (طرقت سبعين بابا للوصول الى الله عز وجل فلم ادخل الا من باب الذل) ويوضح ذلك الامام ابو العزائم فيقول :

---

(١) الآية (١٠١) يونس .
(٢) الآية (٥٣) فصلت .

ذلى له عز وجهاى علمه

وهو الولى بنوره حلانى

ويقول سيدى ابن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه على لسان الحضرة العلية :

فحدق أعين الايمان وانظر

ترى الأكوان تؤذن بالنفاد

فمن عدم الى عدم مصير

وأنت الى الفنا لا شك غاد

وها خلعى عليك فلا تزلها

وصن وجه الرجاء عن العباد

ببابى أوقف الآمال طرا

ولا تأتى لحضرتنا بزاد

ووصفك فالزمنه وكن ذليلا

ترى منى المنى طوع القياد

وكن عبدا لنا والعبد يرضى

بما تقض الموالى من مراد

استر وصفك الادنى بوصفى

فتجزى ذاك جهلا بالعناد

وهل شاركتنى بالملك حتى

غدوت منازعى والرشد باد ؟

فان رمت الوصول الى جنابى

فهذى النفس فاحذرها وعاد

وخض بحر الفناء عس ترانا

واعددنا الى يوم الميعاد

وكن مستمطرا منا لتلقى

جميل الصنع من مولى جواد

ولا تستهدى يوما من سوانا

فما احد سوانا اليوم هاد

فهذا هو الجمال الذى يجمل الله اهله بحلل الكمال الالهى فاذا وقف امام مولاه جاهلا ، جمله بعلمه ، واذا تأدب بين يدى سيده وأظهر ضعفه ، تفضل عليه بقوته ، واذا ناداه مضطرا لباه ، واذا خضع بين يديه وقد ماتت نفسه عن شهواتها وحظوظها واغراضها ، احياه الحياة الايمانية التى يقول فيها عز وجل : (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس) (١) .

وفى ذلك يقول الامام ابو العزائم رضى الله تعالى عنه :

من يمت يحيا بالذيا بحياة

وبقاء منعم بالعيان

يحيا بالله سامعا وبصيرا

ويبقى بالله فى مقام التدان

ذاك سر عن دركه كل عقل

مبعد بالحدود والامكان

فالفكر هو الذى يجمل المراد بحلة العبودية ومرتبة العبدية وهما ارقى المراتب التى يتفضل الله عز وجل بها على أهل الخصوصية حتى أنه سبحانه وتعالى خص بهذا المقام الكريم حبيبه ومصطفاه فى أكثر من موضع فى كتابه عز وجل ، فتارة يثنى عليه فيقول : (الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب) (٢) ومرة يذكر فضله سبحانه وتعالى عليه فيقول (سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير) (٣) وآونة يبين اختصاصه

---

(١) الآية (١٢٢) الأنعام .

(٢) الآية الأولى من سورة الكهف .

(٣) الآية الأولى من سورة الاسراء .

واصطفائه عنده لنزول كلامه فيقول (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) (١) فمقام العبدية هو أرقى المقامات الاصطفائية ، والنازلون به هم اكمل الناس شبها بسيدنا رسول الله ﷺ ، حيث كان يخلو بنفسه فى غار حراء متفكرا شهرا كل عام ، حتى قالت قريش فى شأنه : (لقد عشق محمد ربه) وهذه العبادة كانت قد اختفت من بين كثير من السالكين حتى أحياها واظهرها الامام أبو العزائم رضى الله تعالى عنه وجعلها الركن الأعظم فى الوصول الى الله عز وجل فى نهجه المبارك عندما يعرف بنفسه فيقول : (محمد ماض أبو العزائم : الخوف قوامه والذل حليته والرهبة باطنة والرغبة ظاهرة والحيرة رداءه والصبر انيسه والرضا رفيقه والشكر زاده والثقة كنزه والفكر طريقه والتسليم مذهبه والتواضع رفعته والفاقه منهجه والصدق ضالته والاخلاص مراده والسيد ﷺ مقصوده والله سبحانه معبوده والشكر ذكره والدعاء عمله ومما يقرب الى النار عدوه وما يقرب الى الجنة الفه وبر الوالدين سروره وصلة الرحم صبوره وادخال السرور على عباد الله وصوله والرحمة بخلق الله تعالى حظوته والقرآن الكريم خلوته والحضور بقلبه مع الحق سبحانه وتعالى جلوته ، يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبه وبلغه مراده ، وهكذا فليكن كل ماض أو من يحب ماض) (٢) . وهذه العبارة الرائعة ، قد تفضل بشرحها فضيلة العارف بالله تعالى الشيخ محمد على سلامة فى كتابه (الامام ابو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين) وبنى عليها هذا الكتاب ، فليرجع اليه من يريد التفصيل .

ثالثا : الذكر

ذكر الأسماء والصفات :

ظهر الامام ابو العزائم رضى الله تعالى عنه فى وقت غلب فيه على الصوفية ذكر الأسماء الحسنى الالهية فى الخلوات باعداد معينة يحددها المشايخ ، وينقلون السالك من اسم الى اسم على حسب قواعد معينة

---

(١) الآية الأولى من سورة الفرقان .
(٢) شراب الأرواح ص (٩) .

واســـماء محددة ، تختلف من طريقة الى اخـــرى ، وربما ينتـــج من هذه الاذكار احوال تجعل السالكين يخرجون عن المألوف ، اما بشدة تأثرهـــم بالواردات التى ترد عليهم ، أو خروجهم عن حد الاعتدال فى العبادة ، وهو الحالة الوسط (وكذلك جعلناكم امة وسطا) (١) فتؤثر هذه الأحـــوال على الأعضاء ، فيخرج الانسان اشعث الرأس حافى القدمين احيانا ، وأحيـــانا اخرى يهيم على وجهه فى القفارى والجبال ، واحيانا يترك الخلق ويميل الى العزلة والبعد عن المجتمع ، وربما يتفوه بعبارات لا تليق أو لا يفهمها العامة من الناس ، وغير ذلك من الأمور التى تبعد كثيرا عن حقيقة التصوف الذى كان عليه سيدنا رسول الله ﷺ . واصحابه الكرام ، فأعلن الامام أبو العزائم صيحته المدوية والتى حددها فى هذا المبدأ الكريم : (انما يسعد آخر هذه الأمة بما سعد به أولها) وغير مفـــاهيم الصـــوفية نحـــو الذكر بالأســـماء الالهية فقسمها الى قســـمين

(أ) أسماء للتعلق .

(ب أسماء للتخلق .

امـــا التعـــلق :

فلا يكون الا بالاسم المفرد الدال على الذات والجامع لجميع الأسماء والصفات والجمالات والكمالات الالهية (الله) وهو الذى أمر الله به حبيبه فى قوله سبحانه (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) (٢) ، وأمر المؤمنين به فى قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) (٣) فهـــذا الاسم هو الذى يكرره السالك فى سيره وســـلوكه الى الله عـــز وجـــل ، مستحضرا معانيه مراقبا لعظمة الله عز وجل عند النطـــق به ، متأكدا من خروج الالفاظ كلها من مخارجها الصحيحة عند التلفظ به ، لأن سلامة النطق

---

(١) الآية (١٤٣) البقرة

(٢) الآية (٩١) الأنعـــام

(٣) الآية (٤١) الأحـــزاب

اصل قبول العمل عند الله عز وجل ، وليس للذكر عند الامام ابى العزائم عددا مخصوصا ، بل يطلقه لانه لا يليق عنده ان نعد على الله عز وجل وهو سبحانه وتعالى لا يعد علينا نعمه السابغة علينا اناء الليل واطراف النهار وأما الأسماء الآلهية التسعة والتسعون فيقسمها رضى الله عنه الى اسماء جمال وعددها سبعون وهى مثل الرزاق والوهاب والغفار وما يشبهها ، واسماء جلال وعددها تسعة عشر وهى القهار والمنتقم والجبار وامثالها ، واسماء كمال وعددها عشرة وهى الفرد — الصمد — الواحد الاحد وهلم جرا . وكل هذه الأسماء عنده رضى الله عنه للتخلق بحسب مقتضياتها اى ان السالك يتخلق بهذه الاسماء فى سلوكه وعمله ومعاملاته للخلائق أجمعين ، ونضرب لذلك مثلا فنقول :

ليس الشأن أن تذكر اسم الله عز وجل العفو مائة ألف مرة او يزيد ثم يسىء اليك أخ مسلم فترفض ان تعفو عنه ، ولكن التحقق بهذا الاسم ان يكون العبد متأسيا بقوله ﷺ « وأن أعفو عمن ظلمنى » (١) وكذا ليس ذكر اسم الله الكريم يجعل الانسان يتحقق به ولو ذكره ملايين المرات وهو لا يفتح بيته للضيفان والمحتاجين ، أما الذى يبرز كرمه ويفتح داره متحققا قول رسول الله ﷺ « يدخل الضيف ورزقه معه ، ويخرج بذنوب أهل الدار فيلقيها فى البحر » (٢) فهذا هو الذى يكاشفه الله عز وجل بأسرار اسمه الكريم ، ويجعل له النصيب الاكبر من فضل الله العظيم المتعلق باسمه سبحانه الكريم ، وهكذا يتخلق السالك بكل اسم من هذه الأسماء عند مقتضياته ، فيتخلق مثلا بالقهار والمنتقم والجبار عند ملاقاته لأعداء الله ، ويتخلق بالرحيم واللطيف باخوانه المؤمنين ، ويتخلق بالباسط والودود لذوى رحمة ، ويتخلق بهذه الاسماء كلها بحسب مقتضياتها حتى يحبه الله عز وجل، فان الله عز وجل يتفضل بمحبته على من تخلق بأسمائه الحسنى سر قوله

---

(١) رواه ابن مردوية من حديث انس وقيس بن سعد بن عبادة

(٢) رواه الديلمى عن انس والدارقطنى عن عائشة

ﷺ « ان الله يحب من خلقه من كان على خلقه » (١) وقـــوله ﷺ « ان الله تسعة وتسعين خلقا ، من تخلق بواحد منها دخـــل الجنـــة » فقال سيدنا أبى بكر رضى الله تعالى عنه : أفى واحد منها يا رسول الله ؟ قال : بل فيك كلها يا أبا بكر .

ويعتبر رضى الله تعالى عنه التخلق بالأسماء الحسنى الآلهية هو اكبر نسب ينتسب به الانســـان ، وبسببه يتفضـــل الله عليه بكل أنواع الكرم والجود والود والعطف الآلهى ، فيقول رضى الله عنه موضحا هذا النســـب الآلهى : « نسب به يقبل عليك ونسب به تقبل عليه ، فاذا تجمل بهمـــا الانسان ، كان مع الله وكان الله معه ، وصار محبوبا لله مرادا لذاته ، وأى شرف أعظم وأكمل من اتصال نسب العبد بالله تعالى » .

النسب الذى يقبل به عليك ، اقبال امداد واحسان ووداد وامتنـــان وشفقة ورحمة ورأفة حتى يمنحك منه ما تشاء أو يكون لك عنده ما تشـــاء ، هو تحققك بحقيقتك وانكشاف معانيك لك حتى لا تنس من أنت نفســـا ولا طرفة فتكون بهذا الانكشـــاف دائم الأضـــطرار والتوكل عليه ، والتفويض لجنابه العلى والفقر لذاته الأحدية ، فاذا تحققت النسب الذى هو حقيقتك ، أقبل عليك بمعانى الربوبية ، وقابلك بواسع الاحسان والعطيـــة ، فكنت ممتعا بالجنة العاجلة التى يعجلها لأوليائه ، لانك باتصالك بنسبه العـــلى استحققت الولاية الخاصة وخصصت بالكرامة والعناية .

والنسب الذى تقبل به عليه سبحانه هو التخلق بأخـــلاقه الآلهية فى المضـــايق التى تدفعـــك بقوة الى التخلق بأخـــلاقك الحيوانية أو الأخلاق الابليسية ، عند ذلك تجاهد نفسك فى ذات الله وتتخلق بخلقه الكريم عنـــد مقتضى ذلك مقبلا عليه سبحانه لأنه سبحانة يحب صـــفاته ويحب أخلاقه خصوصا اذا ظهرت فى شخص يمكنه أن ينفذ مراده السىء وموجب خـــلقه

---

(١) رواه الطبرانى عن اسامة بن شريك الذبيانى .

التبيح بدون أن يحصل له من ذلك مضرة ، فيكون تخلقه بخلق ربه فى هذا الموطن رفرف أعلى للدخول على حضرته العلية بدون حاجب ولا مانع ولم يترق مقرب على سلم اقرب من هذا النسب ، فان نفسا واحدا يتنفسه الرجل متخلقا بخلق من اخلاقه سبحانه وتعالى بمقتضاه يكشف عنه جميع الحجب حتى يتشرف بالمواجهة والشهود » .. (١)

ويشير الى هذا الامام فى بعض مواجيدة النظمية فيقول :

نسبان نسب حقيقتى ومقامى
ثم انتسابى للمقام السامى
فالأول التوفيق للعمل الذى
هو شكر نعمة موجب اكرام
حال بها انا عبده متحقق
بالذل والتكليف بالاسلام
لأقوم بالطاعات مفتقرا الى
نيل القبول بصحة الأحرام
نسب العبادة للقريب تقربى
لحظيرة الرضوان والانعام
وبها أكون انا العبيد لخالقى
عند الصلاة لذاته وصيام
أما انتسابى للمقام تخلقى
بجماله السامى بنص كلام
نسب به كشف الغيوب لواصل
وتحقق بالكشف لا الأوهام

وكان رضى الله عنه يحث مريديه على التخلق بهذه الأخلاق العلية فى كل

---

(١) شراب الأرواح ص (٦٠ ، ٦١)

فرصة تسنح له ، بل ويتابعهم فى ذلك من وراء حجاب ، وهو الذى يقــول فى حكمته البالغة الجامعة : (ليس بشيخ من لم يمدك من وراء حجاب) فهذا رجل من خاصة أصحابه يريد أن يصافحه وكان قد حدث بينه وبين أمه خلاف ولا يعلم احد بذلك ، فيرفض رضى الله تعالى عنه مصافحته ويقول له زاجرا ومؤدبا : هذه يد عاتة ولا اسلم على يد عاقــة ، يا بنى اذهب فاستعطف أمك واكسب ودها فهو خير لك من ملء السماء والأرض والبحر عبادة لله عز وجل .

وهذه واحدة من النساء الفضليات حرمت من نعمة الولد ، فتذهب اليه رضى الله عنه تسأله أن يدعو الله عز وجل لها لتنجب ، فيستشــف بروحه النورانية أن أم زوجها غير راضية عنها ، فيسألها عن ذلك فتجيبه بالايجاب، فيقول لها : اذهبى وارضى حماتك يهب الله لك الولد ، فتفعل ويكرمها الله عز وجل بالولد ببركة هديه وارشــاده .

وهذا رجل من أخص أخوانه حرم أيضا من نعمة بقاء الولد ، فــكان كلما ولدت زوجته طفلا مات ، وكان يوجد بينه وبين اخ صادق آخر خلاف ، فيقول له رضى الله تعالى عنه : اذا اردت أن يعش لك ولد فسميه باســم اخيك فلان ، لينبهه بأن ترضية النفوس هى التى تستجلب الخير من حضرة القدوس . وهذا سائقه الخاص وكان مسيحيا فأكرمه الله بالاسلام على يديه وسماه صهيب الرومى تيمنا بسيدنا صــهيب رضى الله عنه ، يكشــف له ببصيرته النورانية وشفافيته الروحانية عن سر اســلامه فيقول له : يا بنى زر أمك التى أرضعتك لبن الاسلام ، فيتعجب لأن أمه مسيحية ! ومتمسكة بدينها ، ثم يستقصى الأمر فاذا به يعلم أن أمه مرضت وهو طفــل صغير ، وكانت تسكن بمدينة الأسماعيلية فأخذته جارة لها مسلمة وارضعته فــكان لبنها سر اسلامه ، فذهب اليها وودها وبرها لأنها أمه فى الرضاعة .

وهكذا لا يترك رضى الله تعالى عنه مريدا سالكا تحقق صدقه عنــده الا ويراقب سلوكه وأخلاقه ببصيرته النافذة ، ويوجهه الى تصحيح حــاله

وتحسين خلقه واخلاص قصده ، تارة فى الدروس العامة ان كان لا يتحمل المواجهة لصغره فى مقام التربية ، واخرى فيما بينه وبينه ان كان قد تأهل لهذا المقام العالى ، ويلوح للجميع بأسرار الوصول الى رضى حضرة البديع فيقول :

هى الأخلاق اسرار المعالى
تفاض على أولو الهمم العوالى
ترى الانسان انسانا عيانا
وتشهده بها نور المثال
يلوح عليه نور الوصف يجلى
كما يجلى على الملك الموال
بأخلاق المهيمن قد تحلى
فحل مقام اعلى بالجمال
فذل للعلى به فخارى
وفاقتر للغنى به نوال
بأضداد الصفات أنال قربى
وأحظى من الهى بالوصال
بأخلاق المراد وقد أضاءت
بأفق القلب شمس الاتصال
على الخلق العظيم به رقى
لأفق شروق أنوار المجال

مـراتب الذكـر

ويقسم رضى الله عنه الذكر الى قسمين :

١ ـ ذكر اللســان ٢ ـ ذكر القلب

ويشير اليهما فى قوله :

الذكـر ذكران ذكر القلب ولســان
هما مقاما شهودى دار رضــوان

فذكر فؤادى رؤية الوجه ظــاهرا
وباسم الذى أهــواه ذكر لســان

ويقول أيضا : « لا يصل أحد الى الله تعالى الا بدوام الذكر والذكـر يكون باللسان ويكون بالقلب ، فذكر اللسان به يصل العبد الى استدامة ذكر القلب ، وذكر القلب عليه المعول فاذا كان العبد ذاكرا بلســانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه حال ســلوكه » (١) .

ذكـر اللســان :

فيبدأ المريد عنده بذكر الورد التولى لليوم والليلة ويشتمل على :

١ ـ الاستغفار مائة مرة بالنهار ومائة مرة بالليل .

٢ ـ قول « لا اله الا الله وحــده لا شريك له الملك وله الحمـد يحى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير » مائة مرة بالنهار ومائة مرة بالليل .

٣ ـ الصلاة على النبى ﷺ بهذه الصيغة :

« اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة تحل بها العقد وتفرج بها الكرب وتزيل بها الضرر وتهون بهــا

---

(١) مذكرة الرشدين والمسترشدين صفحة (٢٣)

الأمور الصعاب ، صلاة ترضيك وترضيه وترضى بها عنا يا رب العالمين » مائة مرة بالنهار ومائة مرة بالليل .

فاذا انجلى القلب وحضر مع ربه كاشفه بذكر القلب وبين له مراتبه ، والتى يجملها رضى الله عنه بقوله : (اذا ذكر اللسان سكنت النفس واذا ذكرت النفس سكن القلب واذا ذكر القلب سكنت الروح واذا ذكرت الروح سكن السر واذا ذكر السر سكنت نفخة القدس واذا ذكرت نفخة القدس ذكر الله تعالى » ... (١)

ذكر القلب :

وذكر القلب عنده له منازل عدة بحسب ما يلوح للسالك من الانوار وما تحمله حقائقه من المواجهات والأسرار ، واجمال هذه المنازل هو :

١ — ذكر القلب :

وهو استحضار عظمة الله استحضارا يجعله سبحانه وتعالى يسيطر على غاشية القلب فلا يتنفس الانسان نفسا ولا يتحرك حركة الا وهو يراقب الله عز وجل وهو مقام المراقبة .

٢ — ذكر السر :

وهو انكشاف الستار عن حقائق الأسرار الخافية فى المظاهر والآثار . فأينما تقع عين رأسه على أثر من آثار قدرة الله تشهد عين بصيرته ما فيه من أسرار وحكم وخواص أودعها فيه الله .

غض عين الحس واشهد بالضمير
تشهدا يا صب انوار القدير

٣ — ذكر الروح :

وهو شهود تجليات الأسماء الالهية منفعلة فى جميع المظاهر الكونية حيث أن الكون كله يدور ويتحرك بسر انفعال هذه الأسماء .

---

(١) جوامع الكلم ص ١٤

٤ ــ ذكــر اللطائف البرزخيــة :

وهذه اللطائف هى الحقائق النورانية غير المرئيــة والكامنة فى الهياكل الانسانية ، فاذا فنى الانسان عن عوالم الأكوان واتصــلت روحه بحضرة الرحمن ، ذكرت اللطائف وذكرها فى المواجهــات بحســب ما يلوح لها من الكشف والعيان وتلك المراتب وهذى المنازل لا يستطيع السالك أن ينزلهــا بمفرده ولكن لابد له من مرشد يوجهه ويلاحظه ويحفظه من الحظوظ الخفية، والقواطع والحجب النفسانية ، حتى تستوى حقائقه النورانية على جــودى الايمان فى لجة الالوهيــة .

٥ ــ الخــــلوة :

والخلوة عند الامام أبى العزائم رضى الله عنه تغاير مفهومها عند السادة الصوفية ، فالخلوة عند الصوفية : بناء محاط بالجدران يسع انسانا واحدا واقفا أو جالسا أو نائمــا ، يدخل فيها السالك باذن شيخه ، ليتحقق لــه الصفاء ، ويحدث له الفتح ، وهذه الخلوة عند الامام رضى الله عنه لا يجب ان يدخلها المريد الا بعد أن يتحقق الشيخ أن قلبه قد خلا من الصور الكونية، وأن سره قد صــفا من الهواجس النفســية ، والا كان كما يقول رضى الله عنــه :

كــم عابــد فى ظــلمة لا يشــهدا
الا وســاوس نفســه بخيـــال

هذا بالاضافة الى أن هذه الخلوة الموصوفة سابقا تجعل المريد قاصرا نفعه على نفســه ولا يتعــداه الى غيره ، بل ربما قصر فى حق من كلفه الله بأمرهم ، ولكن الخلوة الحقيقية كما بينها الامام أبو العزائم هى خلوة القلب وطهارته بالكلية من جميع الشواغل الكونية ، والخلجات والخواطر النفسية وتوجهه وانشغاله بالله عز شأنه ، ومن كان هذا حاله لايهمه أن يكون فى عمله بين زملائه أو فى بيته مع أولاده أو حتى فى السوق يقضى حوائجه لأنه لايشغله شاغل عن الله عز وجل ، وحاله تعبر عنه السيدة رابعة العدوية فتقول :

ولقد جعلتك فى الفؤاد محدثى
وأبحت جسمى من أراد جلوسى
فالجسم منى للخليل مؤانس
وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى

ويقول فى ذلك أيضا الامام ابو العزائم رضى الله عنه :

انا حاضر وحبيب قلبى لم يغب نفسا
فما هذا الغرام الباد ؟
يا ذكر لم أك غافلا عن بغيتى
فلم الهيام وفى الفؤاد مراد ؟
فأجابنى لم تنس نفسا انما
ذكر الحبيب مدامة الأفراد

أنواع الذكر

وحتى لا يمل السالك ، نوع رضى الله تعالى عنه الأذكار والأوراد ليدخل من ورد الى ورد ومن طاعة الى قربة ، فيكون لسانه ابدا رطبا بذكر الله وقلبه دائما يستحضر عظمته كأنه يراه ، ومن تلك الأنواع على سبيل المثال ، غير ما ذكرناه سابقا من الفكر وتلاوة القرآن والورد التولى ما يلى :

١ — الاحزاب :

والحزب يعنى دعاء مخصوص يتوجه به العبد الى الله عز وجل اذا حزبه أى أهمه أو شغله أمر فيكشف عنه الله ما نزل به بسر هذا الدعاء ، وقد ترك رضى الله تعالى عنه ما يزيد على الخمسمائة حزب ، وان كان اغلبها ما زال مخطوطا ولم يطبع حتى الآن الا انها تمثل قمة النثر الصوفى ، من حيث الصياغة والعبارات الى جانب ترقيقها للقلوب واخمادها للنفوس ، بما تحويه من تضرع وابتهالات ، وسنذكر منها حزبا واحدا كبيان عملى لتوضيح ما سبق أن ذكرناه ، وهو الحزب الذى اختاره رضى الله عنه ليردده أحبابه مع الفتوحات الربانية فى الصلاة على خير البرية عند جلوس الاخوان واجتماعهم مع بعضهم البعض .

حــزب الحصــن الحصــين

بســم الله الرحمن الرحيم

« فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملــك كريــم » ياجبــار يا قهــار يا منتقــم يا شــديد البطش يا حى ياقيوم ياعلى ياعظيم ،ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ، قال لاتخافا اننى معكما أسمع وأرى انى وجهت وجهى للذى فطر الســموات والأرض حنيفــا وما انا من المشركين ان ولى الله الذى نــزل الكتاب وهــو يتــولى الصــالحين ، الله اكبر (٥ مرات) كلما أوقدوا نــارا للحــرب أطفأها الله (٥ مــرات) يــا ســلام ياحــافظ يــا قــريب يــا مجيــب يــارؤوف يا حفيظ احفظنا من اهل الشر كلهم ومن شرهم واربط على قلوبهم والســنتهم وأبصارهم وأسماعهم ، واجعلهم خاضعين لنا يا عزيز (٣ مرات) لا الــه الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين ، فاستجبنا له ونجينــاه من الغــم وكذلك ننجى المؤمنين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصــحبه وسلم . وهذا الحزب اذا كرره الانسان صباحا ومساء يحفظه من الآفــات ويقيه من الحسد والسحر ويلبسه تاج الهيبة وحلة العــزة .

٢ — الفتوحات الربانية فى الصلاة على خير البرية :

وللصلاة على النبى ﷺ شأن عظيم فى تهذيب نفوس السالكين وترقيق حالهم عند الامام أبى العزائم ، وقد أفاض الله عــز وجل عليه ما يزيد على الخمسمائة فتح فى الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ بعبارات تكشف عن صريح مقامه ﷺ ، وتبين مقداره العظيم عند الله عز وجل وتوضــح خفى كمالاته التى تجعل القلوب تتعلق بهذا الحبيب المحبوب تعلقا صوريا أو معنويا حتى يكاشفها الله عز وجل ببعض مقاماته العلية ، وقد طبع منها خمســون فتحا واختار الامام رضى الله عنه أربعة منها يتلوها المريدون فى جمــاعة فى مجالسهم التى يعقدونها لذلك وهى موجودة بكتاب نيل الخيرات ، ويكفى أن نشير الى صيغة واحدة من تلك الصيغ لنعلم قدر ما ناله الامام أبو العزائم من حنان وعطف ووداد سيدنا رسول الله ﷺ وهو الذى يخاطبه فيقول :

عشـــقت ولكن بعد رأى عيـــونى
فصـــح غرامى ثم طـــاب جنـــونى

تلك الصيغة هى نهاية الفتح الثانى ويقول فيها :

« اللهم صـــلى وسلم وبارك على الرحـــة العظمى لجميـــع العالم ، اللهم صلى وسلم وبارك عليه ، ومتعنا باتباعه صلى الله عليه وسلم واحمنا بحمايته ﷺ واجعلنا من أهل شفاعته ﷺ ، واحبنا بمحبته ﷺ ، واوصلنا اليه على براق سنته ونجائب محبته وابعثنا محفوفين بأنواره ملحوظين بعين رأفته وحنانته ، فائزين بجواره فى مقام يغبطنا عليه الملائكة والمقربون انـــك واسع المغفرة والفضل مجيب الدعاء ، انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ، لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين فاســـتجبنا لـــه ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين ، وصلى الله على سيدنا محمد أجـــود الأجودين وعلى آله وصحبه الكرام والتابعين لهم على الدوام آمين »

وقد تحيرت مرة فى مبلغ هذه الرحمة فرأيت مناما كتابا ضخما مكتوب عليه بخط كبير « الرحمة العظمى لجميع العالم » ثم تصفحته فاذا فيه شرح وافى لكيفية ايصال الرحمة المحمدية لكل العوالم العلوية والسفلية مبوبة لكل صنف على حده ، فكان شيئا يبهر العقول ويحير الألباب ، فعلمت أن الامام أبا العزائم ما عبر فى هذه الصيغ الكريمة من الصلوات الا عن ما شـــاهده من مقامات الحقيقة المحمدية ، فهو يميط اللثام عن أسرارها ويكشف الحجب عن أنوارها ويظهر أسرار كمالاتها فى هذه الصيغ المباركة التى نرجـــو الله عز وجل ان يقيض لها من يقوم باخراجها وطبعها لينتفع بها المسلمون أجمعين

وليس أدل على رفعة مقامه رضى الله تعالى عنه عند سيدنا رسول الله ﷺ من تقسيمه للصلوات التى تلقاها العارفون من ســـيدنا رسول الله ﷺ الى ثلاث أصناف :

١ — صلوات عددية :

وهى الصلوات التى يهتم فيها صاحبها باعداد ما حوله من الكائنات ويذكرها فى صلواته ، ظانا انه يعطى من الأجر على قدر ما يذكر وان كان فى الحقيقة لا يأخذ الا اجرا واحدا على كل صيغة لأنها صيغة واحدة ، وذلك مثل (اللهم صلى على سيدنا محمد عدد ذرات الرمال وعدد قطرات البحار وعدد أوراق الأشجار وعدد بذور الثمار ... الخ)

٢ — صلوات مددية :

وهى التى يمد بها سيدنا رسول الله ﷺ احبابه من الصالحين عن طريق الالهام — كالصلوات المنسوبة لسيدى عبد السلام بن بشيش وسيدى أحمد البدوى وسيدى ابراهيم الدسوقى وغيرهم من الأقطاب والأنجاب وقد جمع كل هذه الصيغ الشيخ يوسف النبهانى فى كتابه (سعادة الدارين فى الصلاة على سيد الكونين) .

٣ — صلوات شهودية او (عينية) :

وهذه تكون فى مقام المواجهات الشديدة لسيدنا رسول الله ﷺ وأصحابه يتملون به ﷺ ويشاهدون جمالاته وكمالاته ويفاض عليهم فى تلك الحضرة من عيون هباته ومن ميزاب تفضلاته ، فيعبرون عما يشاهدون ، ليشوقوا السالكين والمحبين ، وهذا الحال يعبر عنه الامام فيقول :

من خمر نور جمالك
ومن رحيق وصالك
شربت صرفا فهمت
وهام اهل كمالك
ومبشرى قال هيا
قم فالجمال سمالك

فسرت وهو أمامي
حتى وصلت هنالك

واصبح القلب نورا
والتاب قد كان حالك

ناديت يا ليت قومي
قد يعلمون بذلك

ويقول ايضا :

ونادانى الامام هيا
اتاك الوصل بالبشر

فقم للروض يا ماض
فانى قد صدر أمرى

تملى بى وشاهدنى
ومل عندى عن الغير

وأنبأ من يرد قربى
بحسنى حيث لا يدرى

ومن ذلك نعلم ان الصلوات المنوحة للامام ابى العزائم رضى الله تعالى عنه ، انما هى عبارات تكشف عن أسرار ومشاهدات وتبين جمالات وكمالات الحقيقة المحمدية والأنوار الأحمدية التى خص بها سيدنا رسول الله ﷺ خاصة المحبين والمهيمين والعاشقين لذاته المحمدية ﷺ .

الفصل التاسع

أدب الدعـوة الى الله

- تجدد الدعوة الى الله
- تهذيب الدعاة الى الله
- احوال الدعاة الروحانية
- آداب واوصاف الدعاة الى الله
- انواع الدعاة الى الله

تجـــدد الدعـــوة الى الله

يرى رضى الله عنه أن الدعوة الى الله عـــز وجـــل تتجدد فى كل زمان ومكان لأنه مـــا من زمان الا وتتجدد فيه أحداث لم تكن على عهد الســـلف وتظهر فيه شئون تقتضيها سعة العمران ، ولما كانت تلك الاحداث والشئون لابد وأن ينظر اليها بعين الشريعة ليثبت حكمهـــا من حيث الحـــل والحرام والندب والكراهة والوجوب والمنع ، وكان لابد لكل زمان من افراد يصطفيهم الله بنفســـه فيفقههم فى دينه ويلهمهم الصـــواب فى القول والعمل ، ويقيمهم مقام رسله صلوات الله وسلامه عليهم ، فتنطوى النبوة فى صـدورهم ، الا أنه لا يوحى اليهم ، ولذلك نظائر فى الأمور المحســـوسة فاننا لو عرضـــنا أمراض هذا العصر على ابن سينا وابن بختيشوع وغيرهما من كبار الأطباء ، لجهل هذا المرض ولما علم له دواء ، فكما أن الله سبحانه يحدث فى كل زمان أطباء للأشباح لطفـــا بالخلق ورحمة بهم ، فهو ســـبحانه ارحم الراحمين بعباده ، فيجدد لهم رجالا يستنبطون الحكم على كل حدث حدث ، أو شـــأن تجـــدد ، وهم ورثـــة رســـول الله ﷺ سر قوله ﷺ « العلمـــاء ورثـــة الأنبياء » .. (١) .

ومعلوم أن الانبيـــاء لم يورثوا درهما ولا دينـــار ، وانما ورثوا نورا وهدى ، والله يختص برحمتـــه من يشـــاء والله ذو الفضـــل العظيم) (٢) واننا نرى دون تحيز أو عصبية ، وانما احقاقا للحق ، أن الامام السيد محمد ماضى أبو العزائم هو المجدد لهذا العصر ، لانه جدد احوال الســـلف الصالح فى أخلاقهم وعقيدتهم وعباداتهم ومعاملاتهم ، واحيـــا ما اندرس من احوال الأئمة السابقين ســـواء فى جهاد الأعداء أو فى محاربة الظالمين او فى تهذيب الســـالكين ، أو فى التبشـــير بالاســـلام بين غـــير المســـلمين او محاجة ومعارضة المستشرقين ، وقد كان رضى الله تعالى عنه مدرسة كاملة تتشعب من جوانبها جميع العلوم الاســـلامية النظرية والعملية الى جانب ما افاضه

---

(١) رواه ابن النجار عن أنس .

(٢) الطهور المدار ص (١١ ، ١٢) .

الله عليه من العلوم الوهبية والاحوال السنية ، فرضى الله تعالى عنه وجزاه الله عنا وعن المسلمين اجمعين خير الجزاء ، هذا ولا تزال دعوته رضى الله تعالى عنه موصولة فى صدور الدعاة الصادقين من خاصة اتباعه الذين اشار اليهم فقال : « من اراد الوصول فعليه بعبد موصول ، وعليه بحفظ الاصول ، واول اصل من الاصول (فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون) » (١) .

تهذيب الدعاة الى الله

وفى سبيل ذلك كان جهاد الامام أبو العزائم رضى الله عنه فى اعداد الدعاة الى الله بالصفة والكيفية التى وضحها فيما ذكرناه ، فبعد أن ينزلهم فى منازل الجهاد والرياضات الروحية ، يكشف لهم بين الآونة والأخرى الحجب والقواطع التى تعوقهم عن بلوغ المراد وهى كما بينها رضى الله تعالى عنه عقبات للسالكين لخصها رضى الله تعالى عنه فيما يلى :

١ — الحرص على الدنيا والجاه والرياسة ونظره الى خصوصيته .

٢ — غرور المريد بعمله وعلمه وبثناء الخلق عليه .

٣ — ميله الى حب الكرامات وشهرتها بين الناس .

٤ — الانشغال باقبال الخلق عليه فيرغب فيما فى أيديهم .

٥ — الاشتغال بالجدل مع الخلق ومعاداتهم .

٦ — أن يصرف المريد وقته ملتفتا عن المرشد مشغولا بما يبعده عن منازل القرب ومشاهد الحب .

٧ — تمكن العدو من المريد وايهامه بأنه يدافع عن الحق وعن السنة ، فيرى أن عمله هذا هو الحق ، فيعتقد فى نفسه أنه خدم المرشد ونفعه ، ولولاه لم يكن له طريق وينسى نفسه) (١) .

— اما حجب الواصلين وقواطع المنتهين ، فقد فصلها رضى الله تعالى

---

(١) الآية (٧) الأنبياء .

(١) معارج المقربين ص (١٤٤) .

عنه فى كتـــابيه شراب الارواح ومذكرة المرشـــدين والمسترشدين فمن أراد المزيد فعليه بهما .

ونشير هنا الى شيء من طريقته رضى الله تعالى عنه فى تربية الدعاة الى الله عز وجل فقد كان رضى الله تعالى عنه اذا صـــحبه السالك واخلص فى صحبته وصدق فى ارادته ، يمن الله عز وجل عليه ببركته ، فيفتح الله له بابا من الالهام يجعله يعجز العلماء بل ويدهش الحكمـــاء عندما ينطق بالحكمة العالية التى أفيضت على قلبه من الله عـــز وجـــل سر قوله سبحانه (آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما) (٢) .

وأخطر ما يحيق بالسالك فى هذا الوقت ، ان يرى نفسه صاحب هذا العطـــاء ، أو يتيه على غـــيره بالفضـــل الذى حظى به من ربه ، أو ينس حقيقته الطينية ويطلب من الخلق عطـــاءا أو ينتظر منهم التعظيم له ، فكان رضى الله عنه يلاحظ أولاده ليخرجهم من هذه العقبـــات ويجعلهم لا يلتفتون الى دنيا أو آخرة أو كرامة أو منزلة فيقول لهم :

(من كان الله مراده فمقعد صدق وراءه) :

ويحذرهم فيقول : (اذا كان لك غير الله مراد ، فكيف تبلغ منه منـــازل القرب والوداد ؟) .

فاذا نسى السالك أو قد تناس لانشـــغاله بنفسه هذه القواطع والحجب اخرجه بطريقة أو بأخرى ، فمرة يؤدب العلماء الذين رأوا لأنفسهم شـــأنا نتيجة علمهم واقبال الخلق عليهم مع انه حذرهم من ذلك فقال :

فاذا دعـــاهم أن يـــدلوا غـــيرهم
قامـــوا بحـــول منـــه لايفخـــار
يدعـــون والرهبوت مـــلء قلوبهم
بالهدى هـــدى المصطفى المختـــار

---

(٢) الآية (٦٥) الكهف .

واذا رايت الخــلق مقبــلة فــلا
تركن ركــون مقــرب من نـــار
فالخلق فتنـــة من أردت صــدوره
وشـــهود اهــل البعد فى الأدوار

وقد كان ذلك فى مدينة منفلوط ، وهى بلدة تشـــتهر بالعلم والعلماء ، فأتى برجل صـــياد من بلدة برج البرلس ، وهو الشـــيخ عرفات الجمال ، وأمره أن يلقى الدرس بالمســـجد الجامع ، ووجه الاخوان جميعهم ، بمـــا فيهم الدعاة والعلماء لاستماعه ، فأتى بالعجب العجاب حتى أبهر الحاضرين، واضمحلت انفس العلمـــاء والدعاة فى أعينهم ، عندما راوا هذا الأمى الذى كان لا يقرأ ولا يكتب ، وقد افاض الله عليه من العلوم ما لم يقرأوه فى كتاب، او يسمعوه من عالم ، فذهبوا واثنوا عليه عند الشيخ ، واحس رضى الله عنه بشـــفافيته النورانية بأن هذا اثناء حرك نفســـه نحو العجب (أى اعجاب المرء بنفســـه) وهو من اخطر الأمراض والعقبات على الســـالكين ، بـــل انه اكبر قاطع عن اللحاق بمنـــازل المقربين ، فخرجه رضى الله عنه من هذا العائق فى الحـــال بقوله : (عرفات، لقد كان يشرب الجوزة ويعلق فيها حلق ذهب) وهذا أمر لم يكن يدريه الا عرفات ، فلقد كان قبل ان يتوب الله عليه على يـــد الامام رضى الله عنه ، يشرب المســـكرات مع صديق له ويتناوبون الجلوس فى منازلهم ، وذات مـــرة ، تنافس مع زميله على أيهما يبقى مـــدة اطول مع الشرب المتواصل لا يؤثر فيه الشراب ولا يســـكر ، وكانا بمنزل صديقه فشرب وعب حتى ثمل صـــديقه وبقى هو على حالته ، ولكى يثبت لصديقه صحوه ، قام فخلع الحلق من اذن زوجة صـــديقه وهى نائمة وعلقه فى الجوزة .

وذكره رضى الله عنه بهذا الأمـــر الذى يدل على قوة بصـــيرته ، حتى يتذكر بـــدء حقيقته فيعلم فضـــل الله عليه فلا يفتر ولا يعجب بنفسه وهذا الأمر أيضا كشف لنا شـــدة ملاحظة العارفين لمريدهم ، وأن هذه الملاحظة ليست من بـــدء سلوكهم معهم ، بل انها من بداية ظهورهم ووجودهم ، وفى ذلك يقول سيدى ســـهل التسترى رضى الله عنه : « انى أعرف أبنائى من

يوم الست بربكم ، واريهم وهم فى اصلاب آبائهم منذ ذلك اليوم » وقد كان يقول الامام ابو العـــزائم رضى الله عنه مطابقا لهذا الحقيقة : (ابنـــائى فى أصلاب آبائهم لما يأتوا بعد) .

واحيانا كان يتدخل تدخلا مباشرا على بعد ، ليخرج السالك من غفوته ، تارة فى اليقظة واحيانا فى النوم .

ونضرب مثالين على ذلك من آلاف الأمثلة التى يرويها احبابه ومريديه .

فأما فى اليقظة فتدل عليه هذه الحادثه :

فقد طلب أهل ههيا بمحافظة الشرقية منه رضى الله عنه فى بيته بالقاهرة وهم يزورنه أن يرسل معهم واعظا يذكرهم ، فأمر ابنه المبارك السيد احمد رضى الله عنه أن يبحث فى ثنـــايا الاخـــوان الحاضرين عن واعظ يكلفه بهذا الأمر ، وبعد جهد قال : يا ســـيدى لا يوجد أحد على الاطلاق لا من الدعاة ولا من الاخـــوان الواعظين ، فقال له : من عندك من الاخـــوان ؟ فقال : لا يوجد الا الشيخ عبد العليم . (وهو تاجر بصـــل أمى من منطقة بولاق) فقال : أحضره . فأتى به وخلع عليه جبـــة كانت له وعمامة يحتفظ بهـــا فى دولابه الخاص ، وذوده بالنفقات وأمـــره أن يتوجه مـــع اخوانه الى ههيا ليذكرهم ، فأفاض الله عز وجل عليه من العلوم الوهبية والأسرار العلية ، حتى أنه وكان يتحدث فى الجـــامع الكبير بههيا ، وكان بالمســـجد اسرتين تتربص كـــل منهما بالأخرى لعداوة قديمة بينهـا ، لكنهما تأثرا بما ســـمعا ، فما كان منهم الا أن قاموا يعانق بعضـهم بعضا ، ويصافح بعضهم بعضـــا ، وهم نادمين على ما فرطوا فى أنفسهم ، واســـتمر هذا الحـــال المبهر مع الشيخ عبد العليم تاجر البصل الأمى ثلاثة أيام ، وفى اليوم الثالث ، وكان جالســـا فى غرفته التى خصصـــها له الاخوان ، تحركت نفســـه فأعجب بنفسه ، فوضع العمامة بناحية على راسه من شدة اعجابه بحاله وشأنه ، واذا به يرى ويتحقق أن ما عنده وما فى صدره قد ذهب ، ولكنه كان حصيف الرأى ، فعندما علم أن أمره سينكشف ، طلب الأخوان واخبرهم بأن الشيخ طلبه ولابد أن يسافر فى الحال ، وسافر ليجد الشيخ مستعدا للقائه ، واخبره

بما وقع فى نفسه واعطاه درســا فى هذا الأمر حتى لا يتبع رعونات نفسه ، ولا يركن الى عجبه طرفة عين ولا أقل من ذلك ولا اكثر . وأما مناما :

فكما حدث فى مدينة المنيا عندما دعت جمعية الشبان المسلمين الامام ابا العزائم رضى الله تعالى عنه لالقــاء محاضرة بهــا ، ولشــدة اعجابهم بحضرته ، طلبوا منه أن يحدد لهم ميعاد لقاء آخــر ، فأشار عليهم أنه لن يتمكن فى ذلك الوقت ، ولكنه ينيب عنه الشيخ محمد ابو شريف (وهو ترزى عربى بمدينة المنيا ، ولا يزال حيــا يرزق الى يومنا هذا) وذهب الشــيخ ابو شريف ، والقى محاضرة فى بيت الوالدين أذهلت الســامعين ، حتى أنهم لشدة اعجابهم به طلبوا منه تحديد موعد آخر لمحاضرة أخرى ، فضرب لهم موعدا دون أن يستأذن من الشــيخ ، وشــعر فى نفســه بأنه صار عالما جهبذا لايحتاج اذن ، واذا به يرى الشيخ رضى الله عنه فى المنام يؤنبه ويزجره ويقول له : كيف تحدد ميعادا بدون اذن من الشــيخ والله ســبحانه وتعالى يقول « واذا كانوا معه على أمــر جامع لم يذهبــوا حتى يســتأذنوه فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فائذن لمن شــئت منهم واســتغفر لهم الله ان الله غفور رحيم » (١) ثم لطمه على خده ، فقام من نومه وقد أصاب وجهه ورقبته شلل ، حتى أنه لا يســتطيع أن يحرك رقبته أو يلفت وجهه ، فأحس بجرمه وعرض نفسه على الأطباء لاستحيائه من الذهاب الى الشيخ ، ولكنهم عجزوا جميعا عن تحقيق الشــفاء ، وبعد خمســة عشر يوما ، اخذه الاخوان الى الشــيخ وكان بمنزله فى المطاهرة فى ذلك اليوم ، فوبخه وعنفه ليســتيقظ ويتوب من هفوته ، ثم صفح عنه ولطمه على الجهة الأخرى لطمة عادت بها رقبته الى حالتها الطبيعية .

وهكذا كان لا يغفل رضى الله تعالى عنه عن ملاحظة الدعاة والمرشدين حتى فى اخص شئونهم ، تهذيبا لنفوسهم وتخليصا لهم من عثراتهم حتى كان يخبرهم بخلجات نفوسهم وأحاديثهم مع غيرهم ، فقد كان فى دسوق نائما ، واذا به يســتيقظ فجاة ويقول لخادمه ائتونى بعبد الحى ، فقالوا انه يزور

---

(١) الآية (٦٢) النــور .

سيدى ابراهيم الدســـوقى قال : اعلم فلما احضروه وامتثل واقفا بين يديه قال له : لم تشـــكونى الى ســـيدى ابراهيم الدســـوقى ؟ قال يا ســـيدى لى شهران لم ازر أولادى فى الاسكندرية واشتقت اليهم ، قال : وهل منعتك من ذلك ؟ أو قد طلبت ذلك ورفضت انا ؟ قم الساعة واذهب لترى أولادك ، وذوده بالزاد والنفقة اللازمين لذلك .

أحـــوال الدعـــاة الروحانيـــة

فاذا وصـــل الداعى الى مقامات الحقيقة ، وفتحت لعين بصيرته أنوار الطريقة ، وجهـــه الى المحافظة بشـــدة على آداب الشريعة ، لأن اكبـــر ما يقطع الســـالك عن الله عز وجل فى هذا المقام هو الحـــال أو الاعتقاد أو القول الذى يخالف أحكام الشريعة ، فيقول لهم : (اذا تعارض كشفك مع القرآن والســـنة ، فاضرب به عرض الحائط ، وقل لنفسك ان الله عز وجل ضمن لى العصمه فى اتباع القرآن والسنة ولم يضمنها لى فى الكشف) .

ويحذر من تحدثه نفســـه فى هذا المقام بالكرامات والرغبة فى ظهورها على يديه لشهوة فى نفسه ، ولكنها شهوة خفية لا يطلع عليها ، بل ولا يتنبه اليها الا كمل الواصلين يقول لهم : (ليست الكرامة أن تطير فى الهواء ، لأن الطير يفعل ذلك وليست الكرامة ان تمشى على الماء ، لأن السمك يفعل ذلك وليست الكرامة ان تطوى لك الأرض لأن ابليس وهو عدو الله عز وجل يفعل معه ذلك ، وانما الكرامة : أن يكرمك الله عز وجل بالاستقامة ، فالاستقامة خير من الف كرامة) .

أما من تحدثه نفسه بأنه وصـــل واتصل ، ومادام قد وصل واتصـــل فلا عليه من ترك العبادات الشرعية لأنها فى نظره ، وسائل للوصـــول الى الحقيقة وهو يعتقد انه قد وصل اليها يقول له : (من ترك الصلاة وقال انى قد وصلت فقل له : قد وصلت ولكن الى ســـقر ، لأنه لو كان أحد يرفع عنه التكليف ، لكان الأولى بذلك سيدنا رسول الله ﷺ أو الخلفاء الراشدين أو العشرة المبشرين بالجنة ، وهؤلاء كانوا اكمل الناس قياما بالأحكام الشرعية والعبادات الاسلامية ويوجه الى ذلك نظما فيقول :

لســـنته فاخضـــع وكــن متـــأدبا
وحائز فحصن الشرع باب السلامة
على الجمر تف ان أوقفتك تواضعا
يكن لك بردا بـــل ســـلاما برحمة

وهكذا يوضح أن العصـــمة والحفظ في المنـــازل والمقـــامات لا يكون الا بالمحافظة على أحكام وأوامر الشريعة المطهرة .

الشرع عصـــمة سالك يهدى الى
رضـــوان رب العـــــالمين

ويبين لهم ان الاحوال تنقسم الى ثلاثة :

١ — احوال ربانية وهى المحفوظة بالآداب والتعاليم الالهية .

٢ — احوال طبيعية أو (نفسانية) : وهى التى توسوس بها النفس الأمارة أو تصورها للانسان أو هامه وخيالاته الفاسدة من أشـــياء يراها فى نفسه وليس لها وجود فى عالم الحقيقة .

٣ — أحوال شيطانية : وهى أحوال الأدعيـــاء التى يخدعون بهـــا الناس ليصلوا بها الى اغراضهم وأهدافهم الخبيثة .

ويبين رضى الله تعالى عنه المقامات والمنـــازل التى يمر بها الواصـــل ويشرح لكل منزلة آدابها ، ويبين عقباتها حتى يكون الســـالك على علم بما يعرض عليه ، وذلك فى كتاب شراب الأرواح وكتاب الصوفية والتصـــوف وكتاب مصطلحات الرجال ، وان كان الأخيرين لم يطبعا بعد .

آداب وأوصـــاف الدعـــاة الى الله

وضع رضى الله تعالى عنه أوصافا وآدابا للدعاة الى الله عـــز وجـــل ينبغى أن يكونوا عليها حتى يستطيعوا أن يؤثروا فى الناس ، فمن جملة هذه الآداب التى يتجملون بها مع الناس :

١ — (أن يكون الداعى الى الله تعالى حكيما رحيما حريصا على النفوس ، معتقدا عند الناس ، مشهورا باتباع السـنة والكتاب والعمل بهما ، متباعدا عما ينفر القلوب من كل الأعمـال والأخلاق والأحوال ، وأن يكون متمكنا من اصـول التوحيد ، طبيبـا حاذقا بأمراض النفوس ودوائها ، خبيرا بمداراه الناس ، فاهما منزلة كل انسان ، له معرفة بسـيما الناس التى تـدل على خفى طبـاعهم وغرائزهم ومكنون أخلاقهم) (١) .

٢ — أن يألف الناس ويتحمل اذاهم حتى يألفوه ويرغبهم فى الأخلاق الكريمة .

٣ — أن يجاهد نفسه ليعمل أولا بعلمه ثم يدعو الناس الى ذلك .

٤ — الا يفرق بين الناس بسـبب الفقر أو الغنى أو الجاه أو النسب فى الاقبال عليهم والبشاشة لهم .

٥ — لا يستحى اذا كان لا يعلم أن يقول لا اعلم ، كما لا يستحى أن يطلب العلم ممن فوقه دون التعصب لشيخه .

٦ — أن يتحصن بالحصون الشرعية عند دواعيها ، وفى ذلك امـور كثيرة فصلها الامام رضى الله عنه فى وصـيته الجامعة حيث يقول لاخوانه وأحبـابه :

(الواجب علينا أن نتباعد عما يريبنا أو يوقعنا فى الريبة عند الناس ، بأن نتحصـن بالحصـون الشرعية ، فـلا نتكلم امام الناس بخصوصياتنا ولا بخصوصيات المرشد ، ولا نفضل طريقتنا أو أستاذنا على الطرق الاخرى وعلى الرجال ، لأن ذلك يوقع المسلمين فى فتنة وشغل فى غير الحق ، وأن نحافظ على اخواننا المسلمين من الوقوع فى غيبتنا وظن السـوء بنا ، بترك الأعمال التى او عملناها لا تضرنا ولكنها تلفت المسـلمين الى ذمنا مثل : أن

---

(١) مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ١٠٢ .

نترك الصلاة فى المســاجد بالتلذذ بها فى الخلوة ، ومثل أن نترك الكلام مع الناس اشتغالا بالأنس بالله ، ومثل أن نترك العمل فى الدنيا توكلا على الله ، ومثل الخلوة بالأجنبيات تحصنا بمراقبة الله تعالى واعتقاد أنه لن يضره ولن يضرها ذلك ، لعلمه بنفسه ومعرفته بالكبائر المحرمة شرعا ، فان ذلك موجب لوقوع الناس فى الشر وفســاد اعتقــادهم فى الطريق وأهله ، ومثل ترك الملابس أو تكلف لبس المرقعات ، مما يجعــل الناس يتعون فيه ، فان ذلك مخالف لطريقتنا ومبدأنا لأننا نحب اقبال الخلق على الله ، ودعوتهم جميعــا الى الحق ، ومن كان هذا طريقه وحــاله ، فالواجب عليه أن يؤلف الخلق أجمعين ، لا فرق بين المسلم وغيره من المجوسى واليهودى والنصرانى ، وانما تأليفهم يكون بالمحافظة على وصايا القرآن الشريف ، وكمال الاقتداء لسيدنا ومولانا محمد ﷺ فى السر والعلن ، وبأن يخفى مواجيده وأحواله وأسراره عن العامة حتى يكون مع الخاصة) (١) .

٧ — بذل ما فى اليد للناس تألفا لهم وعدم التطلع الى ما فى أيديهم .

٨ — ترك الجدل مرة واحدة الا مــا كان لبيــان حكم من الأحكام الشرعية مختلف فيه ويكون بالتى هى أحسن .

أما أخلاقهم التى يتحلون بها فى ذواتهم وأنفسهم ، فقد أجملها رضى الله تعالى عنه فى قوله واصفا الدعاة الصادقين الى الله :

(الصــبر مطيتهم ، وجمال الأخلاق رائدهم ، والحلم سفيرهم ، والحياء وزيرهم ، والخشية من الله قوامهم ، ووجهه الكريم قبلتهم ، وفضله ورضوانه مبتغاهم ، سرورهم التبــال الخلق على الله فهى تجارتهم التى يبذلون لآجلها النفس والنفيس ، وهم كما وصف الله تعالى « وعبــاد الرحمن .... الى قوله أولئك يجزون الغرفة بما صــبروا ويلقون فيها تحية وســلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما » (٢) ، وقد اشــتاق اليهم رســول الله ﷺ

---

(١) مذكرة المرشدين والمسترشدين ص ٣٤ .

(٢) الآيات سورة الفرقان من (٦٣ — ٧٦) .

ووصفهم باخوانه ﷺ ، فهم أبداله ﷺ وخلفائه ﷺ وخلفاء ربنا سبحانه وتعالى ، قاموا مقام الرسل عليهم الصلاة والسلام بالرحمة والعاطفة والرأفة والحرص على المؤمنين والزهد فيما سوى الحق ، يحببون عباد الله فى الله ورسوله ﷺ ، ويرغبونهم فيما عنده سبحانه وتعالى بين خوف لا يبلغ درجة اليأس وطمع لا يؤدى الى أمن من مكر الله ، أخلصوا لله سرائرهم ، فجمل الله ظواهرهم وبواطنهم وأخلصوا له المعاملة فأكرمهم سبحانه بالمواجهه والمنازله ، نظروا الدنيا بعين شهدت الحق فأحتقروها ، وسكنوا فيها بأبدان قلوبها فى الملأ الأعلى فاستوحشوها ، وأقاموا فيها بآمال غايتها الأنس بالله فهجروها ، فهم فى الدنيا وليسوا فيها ، ظهر الحق لهم جليا فاتخذوا الله وليا ، وعلموا مرتبتهم فتولوا خالقهم ، علموا الناس بأعمالهم قبل أقوالهم وبأحوالهم قبل أعمالهم ، فالرجل منهم واحد فى الخلق وهو أمة عند الله تعالى ، هذه هى صفات الدعاة الى الله تعالى وأحوالهم ، فمن ظفر بواحد منهم فانه فقد وصل الى الله تعالى وعرفه سبحانه) (١) .

أنـــواع الدعـــاة الى الله

وقد قسم رضى الله تعالى عنه الدعاة الى الله عـــز وجـــل الى أربعة أصـــناف هم :

١ — العلماء بالله : وهم الذين عرفوا حقيقة أنفسهم فكاشفهم الله عز وجل بذاته وأسمائه وصفاته .

٢ — العامـــاء بأيام الله : وهم الذين فاتهوا قول الله عز وجل : (وذكرهم بأيام الله) فعلموا الأيام التى لها شـــأن وقدر عند الله ، فذكروا بهـــا أنفسهم حتى لانت جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله والى طاعة الله ، ثم قاموا يذكرون بها غيرهم حتى يخرجونهم من ظلمات الشكوك والأوهام الى نور الطـــاعة والقرب من الملك العلام ، وقد فصـــل تلك الأيام

---

(١) نيل الخيرات الطبعة (١١) ص (١٢ — ١٣) .

تلميذه النجيب الشيخ محمد على سلامة فى كتابه (أيام الله) فليراجعه من يريد الاحاطة بتفصيل ذلك .

٣ — العلماء بأحكام الله : وهم حملة الشريعة الأمناء الذين يحفظون أحكام الله فى العبادات والمعاملات ويفصلونها للناس بحسب الوقائع والمناسبات .

٤ — العلماء بحكمة احكام الله : وهم الذين عللوا بالأحكام ليصلوا بها الى معرفة الحاكم عز وجل ، فكاشفهم سبحانه وتعالى بالحكمة التى من أجلها أوجد وفرض هذه الأحكام على عباده .

وقد اشار رضى الله عنه الى الحكم المختلفة للصلاة والزكاة والمعاملات فى كتابه (أسرار القرآن) واشار الى حكمة احكام الصيام فى كتابه (صيام اهل المدينة المنورة) واشار الى حكمة أحكام الحج فى كتابه (هداية السالك الى علم المناسك) .

الفصل العاشر

جهوده فى اصلاح المجتمع الصوفى

- الحاجة الى الطريق
- حالة اهل الطريق فى عصره
- جهوده لاصلاح اهل الطريق

المرحلة الأولى : بيان احوال السلف الصالح

المرحلة الثانية : بيان اوصاف اهل الطريق واهدافهم

المرحلة الثالثة : دعوة الى توحيد اهل الطريق

المرحلة الرابعة : المرشد الدال على الله

- شبهات فى ائمة الطريق :

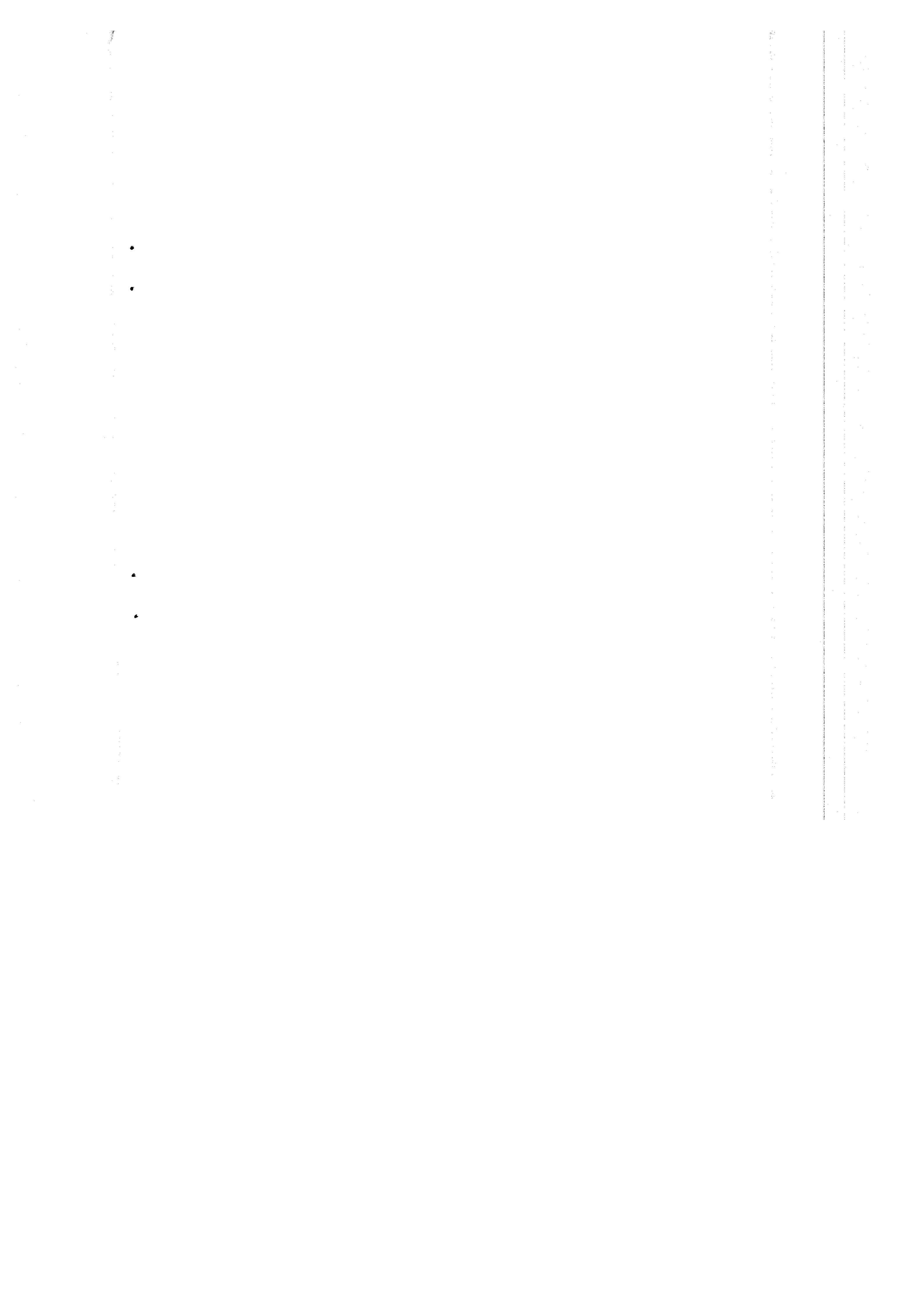
الشبهة الاولى : الولى المجذوب

الشبهة الثانية : ابناء الصالحين

الشبهة الثالثة : النسب الشريف

الشبهة الرابعة : ادعياء الحال

المرحلة الخامسة : آداب اهل الطريق



الحـــاجة الى الطـــريق

يرى رضى الله عنـــه ان الناس جميعا لا يحتاجون الى ســـلوك طريق القوم ، وانما يحتاج الى ذلك أصحاب الهمم العالية من المؤمنين ، وأصحاب العزيمة الصادقة من المخلصين ، والذين تنبعث من نفوسهم الرغبة الصادقة فى الوصول الى ما كان عليه السلف الصالح من أحوال ومقامات عند الله عز وجل ، وفى ذلك يقول رضى الله تعالى عنه :

وليس الـــكل مطـــلوبا لهـــذا
ولـــكن خص لبعض افـــراد قليلة

فـــدار اهـــل عصرك واجتنبهـــم
وواصـــلهم عـــلى قـــدر الضرورة

فمنكرهـــم يسىء ومـــن يســـــلم
فقـــريه ولا تأمـــن شـــــروره

ومـــن طلبتهـــم عـــين العنـــاية
يـــروك بعـــين انـــــوار السريرة

وهو يقسم مراتب الـــدين الى اربعة هى :

١ — الاسلام ٢ — الايمان ٣ — الاحسان ٤ — الايقان

ويرى ان أهل الطريق هم أهل مقام الاحسان واهل مقام الايقان، اما مقامات الاسلام والايمان فيكفى أهلها العمل بظواهر الشريعـــة والاســـتقامة على الطريقة ، لعدم علو همتهم الى هذه الأحوال العالية التى لخصها فى قوله :

الحب مبـــدأنا والوجـــه قبلتنـــا
والمصـــطفى قدوتى فاعلم مراقينا

ولمـــا كان الانسان لا يستطيع ان يلج هذه المقامات ، وأن يدخل هـــذه المنازلات بمفرده ، لعدم علمه بمزلاتها وعقباتها ا لزمه أن يبحث على المرشد الحى القائم الذى خبر هذا الطريق وسلك دروبه ومفازاته واقتحم صعابه

وعقباته ، ورده الحق الى الخلق ليدعوهم الى حضرة ذاته كما قال ابن البنا المرقسطى فى منظومته :

انمـا القـــوم مســـــافرون
لحضــــرة الله وظاعنــــون
فاحتـــاجوا فيــه الى دليـــل
عالـــم بالســير وبالمقيـــل
قـد ســلك الطـريق ثـم عـاد
ليخبـر القـوم بمـا اســتفاد

فيقول رضى الله تعالى عنه مبينا حاجة الســالكين الى الطـريق : (يلزم لمن أراد أن يسلك طريق الله تعالى — لتحصـل له النجاة والفـوز والسعادة والوصول — أن يبدأ أولا بالبحث عن الرجل الحى العالم بكتاب الله وبسنة رسول الله ﷺ ، والعالم بتزكية النفوس وتخليصها من أمراضها ورعوناتها ، والعالم بالأخلاق المحمدية المتجمل بها ، الممنوح الحال الذى به يجرد النفوس من أوحال التوحيد ، العالم بعلوم اليقين ومشـارب الأبرار ومشـاهد المقربين ، العـالم بحقيقـة التوحيد الخالص من الشرك الخفى والأخفى ، فاذا وجد هذا الرجل ، فهو امام أهل عصره جميعا ، والواجب عليهم جميعا أن يتركوا الحظ والهـوى والعلو فى الأرض والتعصب للآباء والأجداد اقبالا على الله تعالى ، وتحقيرا لكل لذة يعقبها العـذاب ، وكل سيادة تنتج الشقاء ، وكل شهرة تؤدى الى حرمان الرحمة والغفران ، وكل وظيفة تبعد عن دار الكرامة والاحسان الأبدى) (١) .

وهذا الرجل هو ما يسمى فى اصطلاح القوم الشيخ أو المربى أو المرشد أو الدليل أو الرفيق فى السفر الى الله عز وجل ، وقد كان السلف الصـالح رضى الله عنهم يسافرون آلاف الأميـال بحثا عن هذا الرجل ، فهذا الامام أبو الحسن الشاذلى رضى الله تعالى عنه يأتى من تونس الى مصر بحثا عنه،

---

(١) مذكرة المرشدين ص (٥٧)

ثم الى بلاد الشام وبلاد العراق ، وهناك اخبره الشيخ ابو الفتح الواسطى ان شيخه فى بلاد المغرب وقال له : (جئت تبحث هنا عن القطب ، والقطب عندكم) .

وهكذا نجد كمل الرجال لا يصلون الى بغيتهم الا بعد البحث عن الرجل الحى الذى اقامه الله لدلالة الخلق على الله والذى يقول فيه الامام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه :

(اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة اما ظاهرا مشهورا واما باطنا مستورا لئلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته) .

حالة أهل الطريق فى عصره

لكنه فى العصر الذى ظهر فيه الامام ابو العزائم رضى الله تعالى عنه ، اندرست كثيرا من معالم الطريق ، وأصبح الناس يشتغلون بأمور لا تمت الى طريق القوم بصلة ، وجعلوها هى أساس الطريق ، فمثلا : جعلوا لكل طريقة زيا خاصا بها ، اذا لبسها المريد صار من اهل هذا الطريق وان كان لم يتحقق باطنا بأحوال اهلها ، ومن ذلك ما يقول رضى الله عنه : (ومن الدعاة الجهلاء من يجلسون فى وسط العامة فيذكرون اسم ولى من أولياء الله ويبثون عنه الأقاصيص المفيدة بأنه ينفع ويضر ، وان من اتبعه يكثر ماله وولده ، وأن من زار قبره تقضى حوائجه ويموت أعدائه ، ويذكرون لهم من الكرامات ، ما هو حق وباطل ، حتى يرغب الناس فيكون الضرر بذلك من جهتين : من جهة أنهم يتبعون طريقه لعاجل فان ، فيكونون ممن يعبدون الله على حرف ، ومن جهة اخرى انهم يتبعونه لينتفعوا به من الجهة التى لا يمكنه ان ينفع نفسه ولا غيره منها ، لأن النافع هو الله ويحرمون النفع من الجهة التى ينتفع منها لأن الله أقامه سببا للنفع فيها ، وهى جهة تلقى العلوم وفهم فقه القرآن الكريم وتزكية النفس وفهم أسرار التوحيد ، وكشف حكم الأحكام أو التجمل بعلوم اليتين مما به السعادة الأبدية ، التى لا تذكر الدنيا بجانبها بشىء الا كما يذكر العدم مع الوجود ، وقد يحصل ضرر ثالث لا يقل

عن هذين الضررين ، وهو أن يكون الرجل الذى يدعون اليه متوفيا وليست له كتب علمية ينفع بها من يقتدى به ، فيحصل الضرر لمن اتبعه بحـــرمانه من طلب الرجل العالم الذى جعـــله الله نورا والانتفـــاع بعلمه والاقتـــداء بعمله) (١) .

فأنكر رضى الله تعالى عنه هذه الأحوال التى ظهرت من هؤلاء المدعين ووضحها وبينها ، احقاقا للحق وازهاقا للباطل ، فقد كان مرة فى مدينـــة دمياط ، وجاءه نفر من الأدعياء ومعهم بعض الثعابين والحيات وقالوا له : نحن نمسك الثعابين والحيات فماذا تفعل أنت ؟

فقال لهم رضى الله تعالى عنه : امساككم للحيات والثعابين هديتـــم به كم رجلا الى الله عز وجل ؟ فســـكتوا . فقال رضى الله تعالى عنه : أما أنا فأخرج حيات الحقد من القلوب وأنزع ثعابين الحســـد من الأفئدة ، وأمسك بعقارب الحظ والشهوة من النفوس وأخرج الناس من هذه الظلمات الى نور الطاعة فى حصون الشريعة وانكر رضى الله عنه على من ينتســـبون للعلم أو الطريق ويجعلون العلم أو الطريق بابا من ابواب جلب الدنيـــا ، وانكر ايضا على من يشغلون انفسهم بالمفاضلة بين فلان وفلان أو التعصب لشخص على آخر لحظ أو هوى مستكن فى نفسه ، فقام رضى الله تعالى عنه بجهود كثيرة لاصلاح الطريق واهله بعد ان نعى عليهم وقال لهم : (اصبح اسم الطريق مرذولا وأهل الطريق محتقرين واقوالهم مردودة ، واحـــوالهم منكرة ، وأعمالهم مقبحة عند أهل الغرة وأهل الدنيا ، لم ذلك ؟ وكيف كان ذلك ؟ لم يكن ذلك الا لأن رجالا اتخذوا الطريق مغنما ومكسبا ، فزينـــوا ظاهرهم للناس لخراب سرائرهم ، وباعوا الدين بالدنيا ، وعملوا أعمـــال الآخرة بالدنيا ، فذهبت أنوار الطريق ، ومحيت أسراره وانطمست معالمه ، وجهلت أحوال اهله ، وحجبت الامدادات السماوية ، والفيوضات الربانية التى كانت تفاض على القلوب العامرة باليقين ، والأبدان العاملة بســـنة

---

(١) مذكرة المرشدين ص (٩٨)

سيد المرسلين ، والعقول الجائلة فى الفكر فى آيات السموات والأراضين ، والأنفس السابحة فى ملكوت السموات والأرض ، والأرواح المواجهة لقدس الجبروت . أما الآن فأصبحت اجسامهم بلا ارواح . كل ذلك للاشـــتغال بالدنيا عن الآخرة وترك البحث عن الرجل المرشد العامل الـــدال على الله بقوله وعمله وحاله ، كثر الحفاظ والمرشدون ، وقل الراغبون والطالبون ، يقرأون القرآن لا يتجاوز حناجرهم ، يجلســـون مجالس الأنبيـــاء والقلوب قلوب الشـــياطين) (١) .

وأنكر أيضا رضى الله تعالى عنه على الذين يستعملون المخـــدرات فى مجالسهم ، ليفسدوا على الناس القوى التى بها ادراك الحكمة العالية ، وكشف خدعهم التى يزخرفونها لأهل التسليم ليستدرجوهم الى أن يتمكنوا من قلوبهم فيتصرفون فى أموالهم ، ويلعبون بعقائدهم ، واشتد انكاره على من يأمر تلاميذه بترك العلم والتعليم وترك الوظائف والرواتب ، بل وترك الأعمال الشرعية موهما أن ذلك يحجب عن الأنوار ، وارجع كل ذلك الى جهل الناس بحالة الطريق وأهله وما كان عليه السلف الصالح من احوال ومجاهدات ومقامات ، فقام يوضح ذلك كله على ما سنبينه فيما يلى :

جهوده لاصـــلاح أهـــل الطريق

وضع رضى الله تعالى عنه خطته لاصلاح احوال اهل الطريق على عدة مراحل :

المرحلة الأولى : بيان احوال السلف الصـــالح

فقد أخذ رضى الله تعالى عنه يذكرهم فى كل واد وفى كل ناد بمـــا كان عليه أهل الطريق من السلف الصالح من احوال علية وأخلاق ربانية وعلوم وهبية ، جعلت لهم المنزلة العظيمة والمكانة الكريمة ، ليس عند العامة فقط بل عند العلماء الأجلاء ، وحتى عند الحكام ، ويضرب لهم الأمثلة الكثيرة على

(١) بذكرة المرشدين ص (٧٦)

ذلك ، نذكر منها على سبيل المثال : (كان الرجل من أهل الطريق يمشى فيجتمع الناس عليه ، فيردهم الناس عنهم بالسياط فلا يرتدون ، ويمر بعده امير المؤمنين والناس يضربون الناس بالسياط ليجتمعوا عليه فلا يجتمعون كان أمير المؤمنين يزور أهل الطريق فى بيوتهم فيسمع منهم النوارص من الوعظ حتى يبكى ، وفى زيارة أمير المؤمنين هارون لفضيل ، وما واجه به أبن جريج ابا جعفر المنصور ، وما كتبه بعض الصحابة لأمير المؤمنين عمر ، كل هذا دليل على أن اهل الطريق كانوا أئمة للأمراء ، وسادة للخلفاء لأنهم خافوا الله فأخاف منهم كل شىء ، وأقبلوا على الله فأقبل بقلوب الخلق عليهم ، وجملوا سرائرهم لله ، فجمل الله علانيتهم لعباده أنت تسمع من اسرارهم وكراماتهم ما دونه اهل التاريخ عنهم ، خصوصا من ترجموا لاهل الطريق ، واعتنوا بآثارهم ، كانوا اذا جلسوا فى مجلس ، لاحت أنوار الحكمة ، وظهرت اسرار المعرفة وامتلأت القلوب ايمانا ، وذكر الله لرؤيتهم، وكره الناس الدنيا بما فيها ، ورغبوا فى الآخرة وما فيها ، وكم أسلم يهودى ونصرانى ومجوسى عند سماع عباراتهم ، وعلم أحوالهم وبيان أخبارهم .

هكذا كان الطريق وكان أهل الطريق ، حتى بلغ من التعظيم فى القلوب أن الناس كانوا اذا أقسموا يقولون : وحياة أهل الطريق) (١) وهذا ما ذكره أيضا الامام الشعرانى رضى الله عنه فى كتابه الأنوار القدسية حيث يقول : « وقد ادركنا بحمد الله جملة من أشياخ الطريق أول هذا القرن ، وكانوا على قدم عظيم فى العبادة والنسك والورع والخشية وكف الجوارح الظاهرة والباطنة عن الآثام حتى لا تجد أحدهم قط يعمل شيئا يكتبه كاتب الشمال ، وكان للطريق حرمة وهيبة ، وكان الأمراء والملوك يتبركون بأهلها ويقبلون بطون اقدامهم ، لما يشهدونه من صفاتهم الحسنة .

وقد رأيت بعينى السلطان الغورى ، وهو يقبل يد سيدى محمد بن عنان ، ورأيت السلطان طومان باى الذى تولى بعده يقبل بطن رجله ،

---

(١) مذكرة المرشدين ص (٦٦ ، ٦٧) .

وطلعت مرة مع سيدى الشيخ ابى الحسن الغمرى للسلطان الغورى فى شفاعه ، فقام للشيخ وعضده من تحت ابطه وقال : يا سيدى عززتنى فى هذا النهار ، فانى ومملكتى كلها لا نفى حق طريقك » (١) .

ولو استقرأنا صفحات التاريخ لوجدنا تصديقا لهذا الكلام العجب العجاب ، فهذا هشام بن عبد الملك الخليفة الأموى يطوف بالبيت الحرام ، فلا يتمكن من الطواف . الا بمشقة بالغة ، ويحاول الجند أن ينحوا الناس عن طريقه فلا يستطيعون ، وبعد انتهائه من الطواف ، جلس بالقرب من البيت يستريح قليلا من التعب ، واذا برجل يريد أن يطوف ، فيخلى له الناس المطاف بأكمله ، بل ويتركون الحجر ليستلمه بمفرده وهم فى ذلك كله يتمسحون به ويتبركون بآثاره . فيسأل أهل الشام هشام بن عبد الملك عن هذا الرجل ،فيتولون من هذا ؟ فيقول : لاأعرفه — مع أنه يعرفه معرفة جيدة — خوفا عليهم ان يتعوا فى حبه ، فلا يسع الفرزدق الشاعر المشهور الا أن يقول على البديهة :

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النقى الطاهر العلم

يكاد يمسكه عرفان راحته
عند الحطيم اذا ما جاء يستلم

اذا رأته قريش قال قائلها
الى مكارم هذا ينتهى الكرم

ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم
او قيل :من خير اهل الأرض قيل :هم

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله
بجده أنبياء الله قد ختموا

---

(١) الأنوار القدسية للشعرانى

وليس قولك : من هـــذا بضـــائره
العرب تعرف من انكرت والعجـــم

يغضى حيـــاء ويغضى من مهـــابته
ولا يـــكلم الا حـــين يبتســــــم

ما قال : (لا) قط الا فى تشـــهده
لولا التشهد كانت (لاؤه) نعـــم

وقد كان هذا الرجل الامام على زين العابدين بن الامام الحسين رضى الله عنهم اجمعين .

وهذه عمة الخليفة المأمون ترى سيدنا موسى الكاظم رضى الله عنـــه يمش فى موكبه ، وحوله ما يزيد عن السبعين الفا ، فاذا فتح فـــاه بكلمة ، اسرع ما يزيد على العشرة آلاف قلم يسجلونها فى حينها ، فانبهرت من هذا الموقف وقالت : هذا هو الملك لا ملك ابن اخى !

عبيـــد ولـــكن المـــلوك عبيـــدهم
وعبـــدهم أ ضحى له الكون خادما

ولعل قائل يقول ان هذا قد كان فى الزمن الفاضل وقد انتضى وقتـــه وذهب أمده ، فنقول له : ان هذا يجدده الله عـــز وجـــل فى كل زمان ومكان مصداقا لقول رسول الله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى قائمة على الحق ، لايضرهم من خالفهم حتى يأتى أمر الله وهم على ذلك » .

واليك مثالا واحدا حدث فى عصرنا الحديث : فقد دخل الخديوى عباس الثانى ساحة الأزهـــر وحوله الجند ، ولكن طلبة العـــلم والعلماء والناس بالأزهر ، لم تأخذهم صولة الحكم ، ولا رهبة السلطان ، فظلوا فى اماكنهـــم لم يتحرك منهم احد ، وفى غضون ذلك ، دخل الشيخ محمد البهى رضى الله

عنه ، فانفضت الحلق ، وتجمع الطلبة والعلماء والناس حول الشـــيخ ، يسعون لتقبيل يده والتماس بركته ، فاغتاظ الخديوى من هذا الأمر ، وطلب من رئيس الديوان أن يدعوه لزيارته فى قصره ، وصمم فى نفسه أن يتخلص منه حقدا وحسدا على مكانته ، فأوعز للخادم ان يدس له السم فى قـــدح التهوة ، ففعل ما أمره به ، وأتى به ووضعه أمام الشيخ ، فنظر اليه الشيخ ثم قال للخديوى أنظر : !! وفتح فاه فذعر الخديوى من هـــول ما رأى ، فقد رأى فم الشيخ وقد تحول الى بحر عظيم هائج الأمواج ، فالتفت اليـــه الشيخ وقال له بلطف : ماذا يصنع فنجانك فى هذا البحر العظيم ؟ وشربه فلم يؤثر فيه !

فتاب على يديه وبنى له مسجده فى طنطا ، وأوقف عليه الأوقاف ، وكان يذهب اليـــه دائما لزيارته والتماس بركته . أما عن احتـــرام العلماء لهم وتبجيلهم لمكانتهم ، فحدث عن ذلك ولا حرج ، ويكفى أن نذكر ما كان يكنه الشافعى واحمد بن حنبل رضى الله عنهما لشيبان الراعى ، وما دار بينهما من مساجلات تسجل بماء الذهب ، ويكفيك أن تعلم أن ما كان يعجز عنه احمد بن حنبل ، كان يرسل به لأبى حمزة الصوفى فيجيبه عنه الهاما من الله عز وجل ، وهذا العز بن عبد السلام سلطان العلماء ، يتحير عندما يسمع كلام الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، ويخرج من الخيمة مندهشا ينادى على الناس ويقول : هلموا فاسمعوا هذا الحديث فانه قريب عهد من الله عز وجل ، والأمثلة فى هذا الباب طويلة وكثيرة ، وفى هذا النذر اليسير ما يكفى صاحب القلب البصير ، والمؤمن يكفيه قليل الحكمة .

المرحلة الثانية : بيان اوصاف اهل الطريق واهدافهم

ثم يبين رضى الله تعالى عنه الأوصاف التى اذا اتصف بها انسان صار من أهل الطريق ، وافاض الله عليه من امدادتهم فيقول : « أهل الطريق : قوم صفت قلوبهم ، فلم يحقد احدهم على الآخر لأن كل واحد منهم عون للآخر على مقصوده ، وقال الله تعالى (وتعاونوا على البر والتقوى) (١) وكل

(١) الآية (٢) المـــائدة

واحد منهم مرآة لأخيه ، يشهد فيها ما من الله به عليه من المنن فيشكره ، أو ما ألم بنفسه من العيوب فيتطهر منها ، أو من الأمراض فيتداوى منها ، فالأخ منهم يحن الى أخيه أكثر من حنينه الى الماء البارد فى اليوم الصائف لأن لقاء أخيه : اما مزيد من المواهب واما تخلص من الأمراض والقطيعة والبعد، لم تقع ابصارهم الا على محاسن اخوانهم وفضائل أصحابهم ، لاشتغال كل واحد منهم بعيوب نفسه عن عيوب أخيه ، اذا أغضبتهم اجتهدوا فى أن يرضوا الله فيك ، وسعوا فى أن يداووك من فساد أخلاقك ، ويرغبوك فى ربك فهم يدرأون السيئة بالحسنة ، وان أرضيتهم اجتهدوا فى أن يرضوا الله فيك، فلا أذيتك لهم تخرجهم عن مراقبة ربهم ، ولا ارضائك لهم يلفتهم عن مواجهة مولاهم سبحانه ، اجتمعت قلوبهم وان تفرقت أبدانهم ، وتآلفت أرواحهم لأنها يألست تعارفت ، قد بلغ بهم الحب فى الله حتى منحهم الله من المواهب ما غبطتهم عليه الملائكة والأنبياء .

هذه علاقتهم ، وتلك صفاتهم ، فأين هم ؟ ومن هم ؟ » (١) ثم يوضح رضى الله تعالى عنه لهم الأعمال التى يجب أن يتنافسوا فيها ويقول : « اعلموا أن المزاحمة والمنافسة ، انما تكون فى الفرار من الدنيا الى الآخرة، وفى التخلى عن الرذائل النفسانية للتجمل بالفضائل الروحانية فى عمل الخير النافع لجميع الأخوان ، وفى السبق فى عمل القربات والمسارعة الى المنافسة فى رفعة الدرجات عند الله لا عند الخلق ، وفى احتقار نفسه ليعظمه الله ، وفى الرضا بالفقر ليغنيه الله وفى التواضع لعباد الله ليرفعه الله ، وفى بغض الشهرة والسمعة والرياسة خوفا من القطيعة عن الله ، وفى اعتقاد أن الدار الدنيا فانية زائلة ، فى ذلك تكون المنافسة والمزاحمة ، يتنافس فى ذلك أهل الله الصالحون وأحباب الله المقربون ! (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) (٢) وليست المنافسة والمزاحمة فى جمع ما يغنى من المال ، وبما لا ينفع من الشهرة والسيادة وما لا يدوم من ملاذ المأكل والمشرب والمنكح

---

(١) مذكرة المرشدين ص (٥٨ — ٥٩)

(٢) الآية (٢٦) المطففين

والملبس والمسكن) (٣) وهكذا يبين الامام رضى الله عنه للصوفية احوالهم ، لتعلوا هممهم ، ويوضح لهم اعمالهم ليتمسكوا بهدى سلفهم ، ويوجههم الى الميادين التى يجب أن ينزلوا فيها انفسهم ليتمتعوا بأحوال الصالحين ويحظوا بصفات المتقين ، ويكونوا من حــزب الله المفلحين الذين قال الله فيهــم : « لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (١)

المرحلة الثالثة : دعوة الى توحيد اهل الطريق :

ففى نظر الامام أبى العزائم رضى الله عنه لا توجد طرق ، وانما هــو طريق واحد يوصل العباد الى رب العباد ، وهذا ما وضحه قول الله عــز وجل : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » (١) وانما التعدد لاختلاف مشارب الرجال وتباين مجاهداتهم ، واختلاف منازلاتهم ، وان كانت الغاية عند الجميع واحدة « وأن الى ربك المنتهى » (٢) ، وقد نوه بهذه الحقيقة الفذة فى معظم كتبه ، نذكر منها على ســبيل المثـــال قــوله : « ان الطــريق المســـتقيم يا اخــوانى واحــد لا يتعدد وان تعددت انواع السير عليه سرعة وبطــأ وتأنيــا واقبــالا ، والسالكون عليه وان تفاوتت هممهم وتنوعت عزائمهم الا أنهم لا خلاف بينهم ، لأنهم كلهم على اعتقاد واحد ورأى واحد ، ومذهب واحد سارعوا الى وجهة واحدة، وتعاونوا على مقصد واحد وتنافسوا فى مراد واحد ،انما الخلاف بينهم أن هذا على الطريق الحق ، الا أنه توسط وعمل بالقلب والجسم بحــالة وسط ، وأخوة معه على الطريق الحق ، الا انه عمل الواجب البدنى ، ووقف عنده وذاد فى عمل القلوب على الواجب القلبى ، والآخر على الطريق الحق ،

---

(٣) مذكرة المرشدين ص (٦٥ — ٦٦)

(١) الآية (١٥٣) الأنعـــام

(٢) الآية (٤٢) النجـــم

الا انه يجاهد نفسه ليتخلى واخوه معه الا انه ينافس ليتحلى ، والكل فى حيطة واحدة ، وهى المدينة التى اشار اليها ﷺ بقوله :

« المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون » (١) ، (٢)

ولم يكتف رضى الله عنه بالدعوة القولية فقط فى هذا المجـال بل خطى خطوات عملية فى هذا المقام أهمها : انه دعا مشايخ الطرق الصوفية جميعاً فى عصره الى بيته على حفل غذاء هيأه لهم ، وبعد تلبيتهم الدعوة وحضورهم جميعا ، باسطهم وآنسهم حتى تناولوا الغذاء ، ثم وجه الحديث اليهم فيما جمعهم من اجله وقال لهم : (يا اخوانى : ليس الطريق لنكون فرقا مختلفين وعصبا متنافرين ، وشيعا متباغضين ، قلوب على الحظ والهوى عقدت ، وبالدنيا وما فيها اطمأنت ، وللشهرة والسمعة طلبت ، حتى أصبح المسلمون — وهم كثيرون — قليلا ، قال الله تعالى :

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » (٣) ، (٤)

وبعد أن افاض رضى الله عنه فى شرح هذه الآية الكريمة ، طلب منهـم أن يختاروا واحد منهم ينصبونه اماما للطريق ويسلم الجميع له ، ويساعدوه على أداء رسالته ، وقال لهم بالحرف الواحد : (الرجل الذى تختارونه ، أنا أول من أحمل حذائـه ، وحتى لا تظنـوا أنى جمعتكم فى بيتى لتختارونى ، فسأتركم لمدة ساعتين تختارون من بينكم من شئتم) ثم تركهم وصعد الى حجرته الخاصة ، وبعد المدة المحددة ، نزل فوجدهم وقد كادوا يقتتلون بل أن بعضهم تعال على بعض بالسب والشتم وخلافه فقال لهم : علام اتفقتم؟ فقالوا اتفقنا على أن نظل على ما نحن فيه . وهنا هاج شجوه وغص حلقه وقال قصيدته التى بدايتها :

---

(١) متفق عليه من حديث سفيان بن أبى زهير
(٢) مذكرة المرشدين ص ٥٨
(٣) الآية (١٠٣) آل عمران
(٤) مذكرة المرشدين ص ٥٩

ما اختلاف الطريق والقصد واحـــد
والصراط الســــوى للمتــواجد

ثم أخذ ينعى عليهم فيقول : (يــا ايها العلماء والمرشدون والخلفاء عن الطريق ، وأبناء الاشراف وورثة أهل العلم بالله والفضل ، أنتم الأنجــم فى أفق العامة ، فاذا هوت تلك الانجم ، كيف تكون حالة الناس ؟ واذا كسفت تلك الكواكب ، فبم يهتدى الناس ؟ هلا اقتديتم بسلفكم الصالح ، فزكيتــم انفسكم وجاهدتموها حتى أطاعتكم فملكتموها قبل أن تملككم ، فكنتم بدور هدى كما كان سلفكم ، وانجم دلالات كما كان آباءكم ومشايخكم ومن سبقكم وائمة للمتقين من أهل عصركم وذريتكم .

يا خلفاء الطريق : أنتم تسيرون مع من معكم الى أين ؟ وتعملون لمن ؟ فان قلتم نحن سائرون الى الله ونعمــل لله ، أقول لكم : يا اخــوانى : الطريق الذى سلك عليه الســائرون الى الله ، معلوم لا يجهــل ، معروف لا ينكر ، فهل عليه سلكتم ؟ وعلى جادته نهجتم ؟ ومن الميل عنه تحصنتم ؟ ان كان ذلك فلم الاختلاف بينكم ؟ ولم الشغل فى المنافسة فيما لا ينفــع ؟ عجبا لكم !! لو أنكم على الطريق المستقيم والنهج القويم سرتم ، وبحصــون أمنه تحصنتم ، لنزع الله ما فى صدوركم من غل ، ولأشهدكم من جمال آياته وعجائب قدرته ، وغرائب حكمته ، ما به تبتهج أنفسكم فتسكن الى الله ، وتطمئن قلوبكم فتحب الله ، وتلين اعضائكم فتعمل لطاعة الله » (١)

وما زال رضى الله تعالى عنه يردد تلك الكلمات وأمثالها ، ولكن كما قال القائل :

لقــد اســمعت لــو ناديت حيــا
ولــكن لا حيــاة لمــن تنــــادى

ولكنه مع ذلك كله لم ييأس من روح الله ، بل ظل يدعوا خلفاء الطريق بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويطمع فى استجابتهم لداعى الحق ، ومن أجل

---

(١) مذكرة المرشدين ص (١٠٨)

ذلك كان يرفض تسجيل دعوته فى مشيخة الطرق الصوفية ويقول : ماذا نصنع اذا ذدنا الطرق الصوفية طريقة ؟ وان كان اضطر الى تسجيلها قبل انتقاله الى الرفيق الاعلى بعامين فقط نظرا لظروف وملابسات حدثت سنوضحها فيما بعد ..

وهكذا كان رضى الله عنه صرخة جريئة بين صفوف الصوفية تدعوا للعودة الى الأحوال الشرعية ونبذ الخلافات والاحن من القلوب المؤمنة التقية ، فرضى الله عنه فى الذاهبين وأعقبه بخير فى خاصة اخوانه الحاضرين آمين .

المرحلة الرابعة : المرشد الدال على الله :

ولما كان الأساس الذى ترتكز عليه الطرق الصوفية قاطبة هو المرشد أو الشيخ ، وهو بمثابة القلب لأهل طريقة ، فاذا صلح صلح جسد الاخوان جميعا ، واذا فسد فسد جسد الاخوان كله ، فركز الامام أبو العزائم على ما هية الشيخ الذى يجب أن يلتف حوله أهل الطريق ، نظرا لكثرة الادعياء والبطالين فى عصره ، فاستنبط صفاته من كتاب الله عز وجل ، وأشار الى أن الشيخ المتجمل بهذه الصفات هو الذى يجب على أهل الطريق متابعته والمسارعة الى التلقى ، وهى كما يأتى ال

اوصاف امام الطريق

جمعت هذه الأوصاف الآية الكريمة « كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » (١) وهى الأوصاف التى تجمل بها سيدنا رسول الله ﷺ والتى دعا له بها سيدنا ابراهيم عليه السلام فى قوله « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » (٢) .

---

(١) الآية (١٥١) البقرة .

(٢) الآية (١٢٩) البقرة .

وزاده الله عز وجل صفة خامسة وهى « ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون » فقد دلت هذه الآية على العلوم التى بعث بها رسول الله ﷺ وأمره الله بتبليغها وهى :

١ — علم الآيات :

ويقصد به العلامات الدالة على قدرة الله عز وجل فى الأكوان وفى الانسان ، وهى المشار اليها بقول الله عز وجل « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق » (١) وفى ذلك يقول سيدنا عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : تركنا رسول الله ﷺ وما فى السماء طائر يطير بجناحيه الا ذكر لنا عنه علما » .

٢ — علم تزكية النفوس :

وهو العلم الذى به تصفو النفس من شوائب الرياء وعلائق الحقد وادران الحسد وبواعث الحظ والهوى ، حتى تنال مقام الاخلاص ، ولا تحقق العبادة الغاية منها الا بعد تزكية النفس وتصفيتها لقول الله عز وجل « قد أفلح من تزكى ، وذكر اسم ربه فصلى » (٢) وهذا هو الطور الهام الذى جاهد فيه رسول الله ﷺ الأصحاب حتى فطرت نفوسهم على الصفاء والوفاء ، وذلك لمدة اثنى عشر سنة ، حتى تأهلت النفوس لعبادة حضرة القدوس ، فبدأ نزول العبادات بالصلاة فى العام الثانى عشر من بعثة رسول الله ﷺ ، ثم توالت بعد ذلك بقية العبادات .

٣ — علم الكتاب :

وهو علم الأحكام الشرعية فى العبادات والمعاملات والأخلاق والأسر والمجتمعات والسلم والحرب ، وهو ما يسمى الآن بعلم « الفقه » .

٤ — علم الحكمة :

وهو العلم الذى يلهمه الله عز وجل للانسان فيكون حكيما فى تصرفاته، بليغا فى أحواله وهيئاته ، مسددا فى أقواله وتحركاته حتى يكاد الناس —

---

(١) الآية (٥٣) فصلت .
(٢) الآيات (١٤ ، ١٥) الأعلى .

غير الحاسدين والحاقدين — لا يرون فيه عيبا فى أحواله وأفعاله ، وهــذا نتيجة التوفيق ، ولأنه عزيز لم يذكر فى القرآن كله الا مــرة واحــدة وعلى لســان نبى من أنبياء الله عز وجل فى قوله تعالى « وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب » (١) ، وقد أخبر الله عــز وجــل أن صاحب الحكمة قد أعطاه الله البر والفضل الكبير فى قوله عز وجل « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » (٢) .

٥ — العــلم اللدنى أو الوهبى :

وهو ما ينتج عن الاخلاص فى تنفيذ الأعمــال ، والصــدق فى المتابعة لسيدنا رسول الله ﷺ ، حيث يفاض على صاحب هذا القلب ، علوم وهبية وأسرار روحانية ، لم ولن تسجل فى كتاب ، وهى من باب قول الله عز وجل « واتقوا الله ويعلمكم الله » (٣) أو من كنز فضل الله عز وجل المرموز اليــه بقوله سـبحانه « وعلمنــاه من لدنا علمــا »(٤) أو فتح وفيض من قول رسول الله ﷺ « من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم » (٥) وهذا العلم الذى يقول فيه ســيدى أبو يزيد البســطامى رضى الله عنه لعلماء الظاهر « أخذتم علمكم ميتا عن ميت ، وناخذ علمنا عن الحى الذى لا يموت ، فنأخذه فى أى وقت شئنا » وهو ما أشار اليه الامام أبو العزائم فى قوله :

هو العلم لا يجلى بغــير الحقائق
وعلم بكشــف فيه قــرب لخالق
ومــا العــلم الا مــا يعلمه العلى
وآى (يعلمكم (٦) دليل لصــادق

---

(١) الآية (٨٨) هــود .
(٢) الآية (٢٦٩) البقرة .
(٣) الآية (٢٨٢) البقرة .
(٤) الآية (٦٥) الكهف .
(٥) رواه أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس .
(٦) أشار الى قول الله تعالى « واتقوا الله ويعلمكم الله » .

وفى أول الـرحمن نـور لمهتـد
بهـا عـلم القرآن جذب الموفق
وما العلم والأعمال من غير خشية
سوى آلة صـماء سـؤل المنافق

وهذا العلم حقائق صـادقة تجيش فى صـدور العـارفين فينقلونها بأفواههم الى خاصة المحبين كما يقول الامام على رضى الله عنه « يحفظونه فى صدورهم حتى يودعوه فى قلوب أشباههم وأمثالهم » ولما كان العلمـاء ورثة الأنبيـاء وأكمل الناس وراثة ، هم أئمة الطريق ، لأنهم الذين يقومون بتربية مريديهم وتهذيب سـلوكهم وتجميل أخلاقهم ، كان لابد لمن يقوم هذا المقام أن يكون متجملا بعلوم الرسـالة التى وضحناها ، حتى يكون صورة أكماية يضىء للسـالكين ويهذب المريدين ، وينير للواصلين ويجمل المتمكنين وهذا هو الامام الذى يقول الله عز وجل فيه « ومن يضـلل الله فلن تجد له وليا مرشـدا » (١) ، ومن نقص علما من هذه العلوم ، عليه أن يسـعى ليتكمل من مرشد ربانى فى هذا العلم ، ولا يتكبر فى ذلك لقول الله عز وجل « وفوق كـل ذى علم عليم » (٢) ، ولما كانت الآية قد وضـحت أن هذا الرسول من انفس أهل زمانه ، فكذلك لابد أن يكون هذا المرشـد العالم العامل حيا يحى به الله النفوس لأهل زمانه ، ومن هنا قال الامام أبو العزائم رضى الله عنه « الله حى قائم ولا يصـل اليه واصـل الا بحى قائم » وليس معنى ذلك انـكار أحوال العارفين السـابقين ، فان من ينكر ذلك فقد بان عن طريق القوم ، ولكن لما كان فضـل الله واسـع ، وعطـاؤه متجدد ، اقتضت ارادته أن يصـطفى فى كل زمان ، من يؤهله للكشف والتبيين عن أمراض النفوس فى عصره ، ويلهمه بتحضير الدواء الناجع لهذه الأمراض من القرآن والسنة ، ومن هنـا قيل « لكل زمان دولة ورجال » ، ولذلك عندما سـئل الامام أبو العزائم رضى الله تعالى عنه عن سـيدى أبى الحسـن

---

(١) الآية (١٧) الكهف .
(٢) الآية (٧٦) يوسـف .

الشاذلى وهو الامام الأعلى لطريقته واليه ينتهى نسب الطريقة الروحانى قال : « لو بعثت فى عصر أبى الحسن الشاذلى كنت تلميذا له ، ولو بعث أبو الحسن الشاذلى فى عصرى كان تلميذا لى » وهذا لأن النفوس لا تتأثر الا بالمجالسة والمجانسة ، والانسان الذى يطلب الكمالات الدينية، لابد أن يجالس ويجانس من رأى فيهم هذه الكمالات فى عصره وزمانه ، وقد كان هذا دأب الصالحين فى كل زمان ومكان ، وهذا سيدى عبد الوهاب الشعرانى رضى الله تعالى عنه بعد أن انتقل شيخه الكبير سيدى على الخواص الى الرفيق الأعلى ، ولاحظ لصدته انه لم يتكمل فى طريق القوم بعد ، انتقل الى صحبة سيدى محمد الشناوى رضى الله عنه ، فتكمل على يديه .

والأمثلة فى هذا الباب كثيرة وكثيرة .

شبهات فى أئمة الطريق

الشبهة الأولى — الولى المجذوب :

فبعض اهل الطريق يسلم لاهل الجذب الذين أفناهم الحب عن سوى المحبوب ، وبلغت بهم : الرياضة والتزكية مبلغا جعلهم روحانيين ، حتى صاروا بحيث يعملون أعمالا لا تتقبلها العقول ، كترك الأكل زمنا وكبغض الدنيا وما فيها ، وكتحمل الحر والبرد ، وكالفرار الى الصحارى وغير ذلك ، فسلموا لهم معتقدين أنهم مرشدون ، وتركوا أهل العلم بالله والمعرفة ، وهؤلاء المنجذبون بكليتهم الى الجناب العلى ، ليسوا أئمة للمتقين ولا هداة للمسلمين ، ولكنهم منحوا الحب والوجد والمعرفة لأنفسهم خاصة ، وهم أبدال الأنبياء وليسوا أبدالا للرسل ، وقد قال فى شأنهم سيدى محى الدين بن العربى رضى الله تعالى عنه :

لا تقتدى بمن زالت شريعته
ولو جاء بالانبا عن الله

ولذا نبه الامام أبو العزائم الى هذه الحقيقة فى اكثر من موضع خوفا على المريد من الانحراف أو الخروج عن جادة الطريق باتباعهم واقتدائهم بأهل الجذب وهم ليسوا بأئمة للمتقين ، فيقول رضى الله عنه « وان كثيرا من السالكين يميلون الى الذين اختطفتهم العناية فيقلدونهم فيضلون ، وليس المجذوب اماما للمتقين وانما هو رجل اختطفته العناية من الأزل ، ومن اقتدى بالمجذوب فى سيره لم ينتفع بحال من الأحوال » (١) ثم يوجه رضى الله عنه الى كيفية معاملة هؤلاء المجاذيب فيقول « وانى ليسرنى أن المسلم يعامل هؤلاء معاملة الأطفال الرضع ، فيرحمهم ويشفق عليهم اكراما لله ورسوله ، ولا يقتدى بهم ، فان اقتداءه بهم يصير به هالكا ، لأن لهم مواجيد ومشاهد ملكوتية ومكاشفات عن حضرة العزة والجبروت ، بها سكروا واليها جذبوا وفيها فنوا وعن سواها غابوا ، فمن اقتدى بهم وقلدهم — مع ما هو فيه من طمس البصيرة وفساد السريرة والحجاب عن مشاهد التدس — فقد هلك وأهلك غيره » (٢) هذا وقد قوم رضى الله تعالى عنه هذا السلوك المعوج ، وهو متابعة أهل الجذب بدون مراعاة احكام الشريعة ، بادىء ذى بدء فى دعوته رضى الله تعالى عنه ، فعندما سافر الى السودان ، ترك اخاه محمود فى بلدة المطاهرة بمحافظة المنيا نائبا عنه وكان ذا احوال عالية ، حتى انه بلغ به الحال أن كان الامام رضى الله عنه يملى قصائده فى بلاد السودان ، وينتلها هو فى نفس اللحظة الى من حوله ، ونظرا لشدة مجاهداته بلغ به الحال الى أن مكن فى مقام التصريف ، فكان يعطى الانسان قدح الماء ويسأله عما يريد أن يتناوله من المشروبات ، فيخبره فيقول له اشرب فيجد لذة الشراب الذى يطلبه وطعمه فى هذا الماء !!

الا أن هذه المجاهدات الكثيرة اثرت على قواه العقلية ، فجعلته أمام الناس يفعل أشياء تتنافى مع روح الشريعة ، كترك الصلاة أمام الناس ، والمجاهرة بالفطر فى رمضان .

---

(١) الشفاء من مرض التفرقة ص (٢٥) .

(٢) مذكرة المرشدين ص (٦٤) .

ولما كان بعض ضعاف النفوس قد افتتنوا به لما رأوه فيه من كرامات ، ودعاهم هذا الى متابعته والاقتـــداء به حتى فيما يخالف الشريعة ، كترك الصلاة ، حاول الامام ابو العزائم أن ينبه هؤلاء تاره بالرفق واللين ، ومرة بالغلظة والشـــدة ، حتى اســـتخدم معهم كل الوســـائل الحكيمة الواجب استخدامها فى هذا المقام ، ولمـــا وجـــد انهـــم مصرين على غيهم ، وهم فى ظاهر الأمر وامام الناس ينتســـبون الى دعوته ، تبرأ منهم على صـــفحات الصحف الرسمية ، وأعلن فى كل البلاد أنه برىء من هؤلاء ومن أعمالهم ، حتى اضطره ذلك الأمر الى تسجيل دعوته كطريقة صـــوفية فى مشـــيخة الطرق الصوفية ، وذلك قبل انتقاله الى الرفيق الأعلى بعامين فقط ، مع انه رضى الله تعالى عنه كان يتضرر عندما يذكر له هذا الأمر فيما سبق ، ويصر على تسميتها بجماعة آل العزائم أو الدعوة العزمية .

وهكذا يتبين لنـــا دور الامام أبو العزائم فى اماطة اللثـــام عن حقيقة المجذوبين ، وتحذير السالكين من متابعتهم ، لأنهم ليسوا أئمة مرشدين ، بل انه رضى الله عنه يوضح أن المجذوب الحقيقى الصادق فى حاله مع الله لابد أن يرده الله الى بشريته فى أوقات الصلاة حتى يؤديها ، ولا يخرج عن الشريعة طرفة عين مع كمال جذبه ، أما من يتخطى حواجز الشريعة ، فهو فى نظره انســـانا عنده خلل فى قواه العقلية ، فهو بالأحرى معتوه ولا يمت الى الجذب الحقيقى بصـــلة ، فالجذب هو تعلق القلوب بشـــدة بالحبيب المحبوب ، ولما كان المقصد هو رضاء المحبوب ، فكان أول شىء يفعله المجذوب أن ينفذ ما طلبه منه علام الغيوب ، فى كلامه المكتوب ، ومن لم يفعل ذلك فهو مغلوب أو معيوب ، لا يجب على العقلاء اتبـــاعه أو تقليده ولو أخبـــرهم بصريح الغيوب .

الشبهة الثانية — ابنـــاء الصالحين :

وينعى رضى الله تعالى عنه على من يتمســـكون فى امامة الطريق بابن الشيخ ولو كان ليس مؤهلا لهذا المقـــام ؛ حيث انهم اختلط عندهم أمـــر الوراثة الالهيـــة بالوراثة الشرعية ، فجعلوا الابن الصـــلب ، وهو الذى

تورثه الشريعة ما خلفه الأب من مقتضيات الدنيا ، هو الذى يرث الأحوال الوهبيه والعلوم اللدنية ، ونسوا أن هذه وراثة الكتاب التى يصطفى الله عز وجل لها من يشاء من الأحباب ، وقد وضح ذلك سبحانه فى قوله « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير » (١) فيقول رضى الله عنه « هذا وبعض أهل الطريق — اذا مات المرشد أو مات الشيخ المأذون بالطريق — يسلمون لأحد أولاده أو أقاربه ، وهذا أمر حسن لو ان من سلموا له يكون على شىء من العلم والعمل والحال ، واجتهد فى تحصيل ما به كمال نفسه ونفع غيره ، وحافظ على الاقتداء بالمرشد محافظة حقيقية فى القول والعمل والحال ، أما اذا سلموا لابن المرشد أو لأحد أقاربه وكان صبيا لم يبلغ الحلم ، أو كبيرا على غير استقامة ، بعيدا عن معرفة الطريق وأهله ، فانهم بذلك يكونون عرضوا من اقتدوا به للهلاك وأهلكوا أنفسهم ، لأنهم بذلك يجعلوه يغتر بنفسه ويتكبر على العلم ويحتقر العلماء ، ولا يزيده الاقبال عليه الا غرورا وبعدا عن الله ، وكأنهم بذلك اساءوا الى مرشدهم فانه جملهم بالعلم والعمل والحال ، وهم لم يحسنوا اليه فى أولاده واهله ، وكان الواجب عليهم أن يجتهدوا فى تربية ابن الأستاذ أو من يكونوا من أهله تربية حقيقية ، علما وتهذيبا وعملا حتى يكون لسان صدق لوالده ، وارثا لعلومه وأحواله ، وانى لأعجب من رجل لا يرضى أن يجعل الحصرم من العنب زبيبا ، ويرضى أن يجعل الطفل الصغير المؤهل للتربية والتهذيب والتعليم مرشدا عظيما ، ويظن أنه يحسن صنعا ..... الى أن قال رضى الله تعالى عنه : ان الله سبحانه وتعالى حكم فى كتابه العزيز فى ميراث الأرض خاصا لمخصوصين ، وحكم فى ميراث السماء أنه فضله يؤتيه لمن يشاء ، فحكم سبحانه وتعالى فى خير الدنيا بما هو واضح ، وحكم فى ميراث الأنبياء والمرسلين والفضل العظيم بأنه لمن يشاء : (ذلك فضل الله يؤتيه لمن يشاء) (٢) ، (٣) .

---

(١) الآية (٣٢) فاطر .
(٢) الآية (٢١) الحديد .
(٣) مذكرة الراشدين ص (٦٤) .

وقد تأثر فى ذلك رضى الله عنه بأحوال الصوفية العظام : كالشيخ منصور البـاز البطائحى رضى الله عنه عندما أعطى الخلافة من بعده لولد أخته سيدى أحمد الرفاعى رضى الله عنه ولم يعطها لولده ، حتى ثارت زوجته والبت عليه كبار الاخوان ليطلبوا منه أن يولى ولده ونتيجة لالحاحهم ، أمرهم باحضار الاثنين ، وطلب من كل منهما أن يحضر كما من حشائش الأرض ، فذهب ابنه وعاد بسرعة بكم هائل ينوء بثقله ليثبت مهارته وجدارته ، وأبطأ سيدى احمد الرفاعى ، حتى أرسل الشيخ فى استدعائه ، فجاء وليس معه شىء ، فسأله الشيخ أمام الجميع لم لم تحضر ما أمرتك به ؟ فقال رضى الله عنه : كلما هممت بقطع نبتة سمعتها تذكر الله عز وجل ، فأستحى من الله سبحانه وتعالى أن أقطعها ، فأقام بذلك عليهم الحجة ، فسلموا له ، وهكذا الشيخ أبو الحسن الشاذلى مع كثرة ولده ، يسلم الراية من بعده لسيدى أبى العباس المرسى وهو مع صلاح أبنائه ينتقى لخلافته سيدى يا قوت العرش ، ولذلك واقتداء بهدى السلف الصالح ، ترك الامام رضى الله عنه الأمر مشاعا من بعده ، وقد سئل رضى الله تعالى عنه : ماذا تقول لله عز وجل اذا قال لك : لم تركت أمر الطريق ولم تعين من يقوم به من بعدك ؟ فقال رضى الله تعالى عنه : اقول له فعلت كما فعل رسول الله ﷺ مع وجود خيار الأصحاب رضى الله عنهم ، فأحيا بذلك نهج السلف فى أنه يخلف المرشد خيار ابنائه الروحانيين حالا وعملا وعلما ومعرفة ، لو لم يتوفر ذلك فى ابناءه الصلب ، أما اذا توافرت تلك الخصوصيات فى الابن الصلب فهو خير الخيرين لانه جمع النسبين .

الشبهة الثالثة — النسب الشريف :

ويرى رضى الله عنه تمسك بعض مشايخ الطرق بحقهم فى قيادة المريدين بانتسابهم الى الدوحة النبوية الطاهرة مع انهم ليسوا على نهج سابقيهم ، ليس بشىء اذ أن مسئولية امامة الطريق تقتضى أن يكون من يقوم بها أكمل الناس تشبها بالسلف الصالح فى هديهم وسلوكهم وسمتهم وعلمهم ، ويرد عليهم فى استنادهم فى هذا الأمر على الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ والذى يقول فيه « أبقيت فيكم ثقلين لن تضلوا بعدهما :

كتاب الله وأهل بيتى » فيبين حقيقة ما يتصده سيدنا رسول الله ﷺ من ذكره لأهل البيت فى هذا الحديث فيقول : « والمراد بأهل البيت حملة العلم بالله سبحانه وتعالى الذين كاشفهم الله تعالى بظاهر القرآن وباطنه ، وحده ومطلعه ، ممن جملهم الله بحقيقة النسب المحمدى الروحانى بدليل قوله ﷺ : « سلمان منا أهل البيت » (١) وتبنيه ﷺ زيدا رضى الله عنه ، وقوله ﷺ « أدخل الاسلام بلالا فى نسبى » (٢) .

ويبين رضى الله تعالى عنه حقيقة النسب الذى ينتسب اليه المتقون ويتفاضل به الصالحون فيقول عند حديثه عن الفرقة الناجيه « فالفرقة الناجية هم أهل القرآن ، وهم المعنيون بقوله ﷺ : (أهل القرآن أهل الله) (٣) وهم أهل الله الصالحون الذين اتصل نسبهم بربهم باتصالهم بحبل الله المتين الذى هو القرآن المجيد ، ومن ذاق حلاوة القرآن وصل الى الله بأقوى سبب وصلا لا ينقطع بعده ، فان القرآن صفة من صفات الله ، ومن اتصل بصفة من صفات الله تعالى ، اتصل بالله تعالى ، لأنه بتلاوته لكلام الله ملاحظا أنوار المتكلم ، عاملا بالقرآن ، يتصف بالكلام والله متصف بالكلام ، وأكمل ما يتقرب به الى الله سبحانه وتعالى التخلق بأخلاقه ، فان الله سبحانه وتعالى يحب صفاته ويحب مقتضياتها ظاهرة فى عبده ، وأحب عبد لله من جمله الله بما يحب من صفاته سبحانه ، وجعله مظهرا لاشراق أنوار مقتضياته » (٤) وهكذا يحث الامام رضى الله تعالى أبناء المشايخ وغيرهم على المسارعة الى الاتصال بالنسب الروحانى والسر النورانى لأنه هو الذى عليه المعول فى طريق القوم ، فعندما يتصف المريد بصفات شيخه الروحانية من حب ووجد وصدق وورع وزهد وانبال وغيرها ،

---

(١) رواه الطبرانى والحاكم عن عمرو بن عوف .

(٢) الفرقة الناجية ص (٢١) .

(٣) رواه النسائى وابن ماجه وأحمد والدارمى والحاكم عن أنس .

(٤) الفرقة الناجية ص (٢٢) .

تفاض عليه الجمالات الوهبية والكمالات المحمدية والأنوار العرفانية نظرا لثبوت نسبه الروحانى ، واتصاله بأصله النورانى ، وهذا هو النسب الذى يقول فيه ﷺ « نحن معاشر الأنبياء لا نورث درهما ولا دينار ، وانما نورث علما ونورا » ولما كان العلماء ورثة الأنبياء ، فالوراثة الحقيقية فى هذه المعانى والكمالات الروحانية لا تكون لمجرد الأنساب الطينية ، وانما لاتصال الأرواح النورانية والتشابه فى الكمالات المحمدية ، والانتظام فى جملة اهل المعية ، وفى ذلك يقول رضى الله عنه :

هذا هو الشرف الأعلى لمن سبقت
له العناية من احسان بارينا

الشبهة الرابعة — ادعياء الحال :

ويشن رضى الله عنه حربا لاهوادة فيها على الأدعياء الذين يوهمون الناس انهم وصلوا الى مقامات المعرفة ، ويأمرونهم باتباعهم ويؤثرون عليهم تأثيرا بليغا حتى يتصرفون فيهم كما يحلوا لهم ، وذلك لسلب أموالهم، فيوضح ذلك ضاربا مثلا حدث له مع أحدهم فيقول : ومنهم من يأمر تلاميذه بترك العلم والتعلم وترك الوظائف والرواتب ، بل وترك الأعمال الشرعية موهما أن ذلك يحجب عن الأنوار ، ونعم فانه يحجب عن الأنوار الابليسية، وقد رأيت رجلا فى آخر صعيد مصر ازدحم عليه الطلاب ، لا شغل له الا شرب التبغ وسألت احد اتباعه : لم لا تصلى على النبى ﷺ ؟ فقال : ان صليت عليه ذهب نورى !! وانصرف الى شيخه ، فأعطاه عصا طويلة وقال أمضى بتلك العصا واسلب حاله ، فجاءنى وانا جالس مع بعض أهل العلم فى اسوان ، ووقف أمامى بالعصا وتمتم بكلمات ، فاسترسلت فى مذاكرتى حتى انتهيت منها ثم نظرت اليه ، ففهمت خبث نفسه فقلت له : « جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقا » (١) فسقطت العصا من

---

(١) الآية (٨١) الاسراء .

يده ، وجلس على الأرض ، ودنا منى ، فأسمعته بعض آى القرآن الكريم وشرحت له معناها ، فتاب الى الله وأقبل عليه سبحانه ، وأخبرنى أن شيخ شــيخه بمصر ، وأنهم يتركون الأعمــال الشرعية ليزيد حالهم ، فتحققت قوله سبحانه وتعالى « قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا » (١) وقوله ﷺ « ان الله ليملى للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته » (٢)) (٣) .

وهكذا يكشــف رضى الله تعــالى عنه احــوال هؤلاء الذين يشربون المسكرات بحجة هداية العاصــين ، وهؤلاء الذين يجمعون بين النســاء والرجال فى مكان واحد ، وهؤلاء الذين يطلبون من مريديهم التسليم للشيخ على أى حال كان ، فيقول « بعض من لا بصيرة لهم فى الدين ومن لم يسبق لهم تحصــيل العلم يقتدون ببعض أدعيــاء الطريق فيدخلون فى قلوبهم أن التسليم للشيخ — مهما كان وعلى أى حال كان — خير ولا يصل الســالك الى الله الا بالتسليم للشــيخ ، ثم يعملون أمام المريدين صريح الحرام ، أو يقولون صريح الكفر ، ويأمرون بترك الفرض والسنة ، وينهون عن الأعمال الشرعية ، فيسلم لهم أهل الجهالة تسليم الأعمى ، لاعتقادهم أنهم أهــل الحقيقة وأنهم ارتقوا عن الشريعة ، ويضربون مثلا يدل على كمال جهالتهم فيقولون : « ان كان شيخك حمار امسك ذيله » مبالغة فى التسليم الأعمى، وكم من فئة من الناس استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله » (٤) .

ويبين رضى الله تعالى عنه بيانا شــافيا ، لا لبث بعده لكل مريد يريد وجه الله فى اتباعه لأهل الطريق فيقول : « وكيف يســلم الســالك طالب النجاه من هول يوم القيامة بصحبة من يهلكه بمخالفة ســنة رســول الله

---

(١) الآية (٧٥) مريم .

(٢) رواه الشيخان والترمذى وابن ماجه عن ابى موسى .

(٣) الشفاء من مرض التفرقة ص ٢٦ — ٣٧ .

(٤) دستور السالكين ص ٦٠ ، ٦١ .

ﷺ ؟ وهذا ليس بتسليم وانما جهل بالحق وحظ جلى لا خفى ، وللتسليم مقدار مخصـــوص ، فان خالف المرشـــد ما كان عليه رسول الله ﷺ ، وقف عن الاقتداء به حتى يستبين له الحق فيه ، أو يســـأله عن مأخذه من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، قال الله تعالى (بل الانسان على نفسه بصيرة)(١) والعاقل لا يتلد الا من بعثه الله بالحق بشـــيرا ونذيرا ، مبينا لنا محاب الله ومراضيه ، والمرشد يبين لنا ما خفى من بيان رسول الله ﷺ وما كان عليه الأئمة الهداة من الصحابة والتابعين » (٢) .

ويضرب رضى الله عنه مثلا للأئمة الصـــادقين بأبى يزيد البســـطامى رضى الله عنه عندما ســـأل تلاميذه قائلا : من أنا ؟ قالوا : أنت أبو يزيد . قال : أنا محمد رسول الله يعنى لا تنظروا الى بعين العصمة ، ولكن انظروا الى بعين البصيرة ، فان كنت على ما كان عليه رسول الله ﷺ فاصحبونى ، وان خالفت رســـول الله فقومونى ، ويختم كلامه قائلا : (وهذا أســـاس الطريق ، فان الحق فوق الخلق ، فاقبل الحق ولو من الغـــريب البعيـــد البغيض الدنىء ، ولا تقبل الباطل ولو من الولى العـــالم الورع الزاهد ، وأهل السلوك ، يعرفون الرجال بالحق ، ولا يعرفون الحق بالرجال) (١) .

المرحلة الخامسة : آداب اهل الطريق :

وللأدب عند الصوفية شأن كبير فى سيرهم وسلوكهم الى الله عز وجل ولذا وضـــح الامام أبو العزائم اهميته فقال : « الـــزم الأدب والا فانتظر العطب » ولكون الأدب لا يختص بمرحلة واحدة فقط من مراحل الطريق ، بل يلازم السالك ويلزم للواصل ، وبه يتجمل المتمكن ، أوصى رضى الله عنه

---

(١) الآية (١٤) القيامة .
(٢) دستور السالكين (٦٣) .
(١) دستور الســـالكين ص (٦٠) .

السـالك فى هذه المنـازل فقال « حافظ على الأدب ولو رقيت الى أعلى الرتب » ، ولمـا كان الأدب يختلف من منزلة الى أخرى فسنوضح جملة من الآداب الواجب التحلى بها للسالك فى خاصة نفسه ومع اخوانه ومع مرشده.

١ — أدب السـالك فى نفسـه :

يحمل الامام رضى الله تعالى عنه الأدب الواجب على السالك التحلى به فى خاصة نفسه فيقول : « مقام العبد التتصير » أى أن السالك يجب أن ينتبه دائما الى نواحى التصـور فى أعماله وأحواله وأفعـاله ، ليتجنبها أو ليصححها ، أما الأعمال الصالحة والفاضلة ، فيجب عليه أن ينسـاها أو يتناساها حتى يسلم من مرض العجب أو الرياء أو الكبر ، ومن هنا حـدد نظر السالك الصحيح فقال : « السالك ينظر الى سيئات نفسه وحسـنات الآخرين ، ويضـع خلف ظهره حسنات نفسـه وسيئات الآخرين ، وهذا ما أشار اليه رسول الله ﷺ لسيدة عائشة عندما سألته : « يا رسول الله متى يكون الرجل محسنا ؟ فقال ﷺ : اذا رأى نفسـه مسـيئا ، فقالت رضى الله عنها : ومتى يكون الرجل مسـيئا ؟ فقال ﷺ : اذا رأى نفسـه محسـنا » ولا يسـتطيع السالك ان يتأدب بهذه الآداب العالية الا اذا لاحظ بعين فكـرته أو بعين بصـيرته حقيقته الأولى ، وهى أنه مخلوق من تراب أو من طين أو من ماء مهين ، ورأى ما زاد على ذلك من صفات وكمالات، انما هى فيض هبـات وأسرار تنزلات من الحق عز وجل عليه ، وهذا هو الأصل الأول لمن أراد الوصـول الى الله عز وجل ، وفيه يقول رضى الله تعالى عنه « من رأى نفسه فوق التراب ضل » .

وهو ما عبر عنه سيدى ابن عطاء الله السكندرى فى حكمه حيث يقول « ادفن نفسك فى أرض الخمول ، تشرق عليك أنوار الوصول » . وفى هذا المقام يوجه السالك لنفسه الخطاب الذى أشـار اليه الامام أبو العزائم فى قوله :

يا أيها الماء المهين من الذى سواك
ومن الذى فى ظلمة الأحشاء قد والاك

يا نطفــة بقرارها قــد صــورت
من ذا الــذى بحنــانه انشــاك
يا صــورة من حســنة قد جملت
مــن ذا الــذى بجمــاله حــلاك
ومن الذى بالســت أسمعك النــدا
ومــن الــذى بوصــــاله ناداك
ومن الذى تعصى ويغفــر دائمــا
ومن الــذى تنسى ولا ينســـــاك
ومن الذى يدنـــو اليــك بفضــله
واذا ســألت جنــابه أعطــــاك
ومن الذى عند الشــدائد تقصــدا
ومن الــذى ان تســألن لبــاك
ومن الذى شــق العيون فابصرت
ومــن الــذى بظهــوره اعــلاك
ومن الــذى غــذاك من نعمــائه
ومــن الكروب جميعهــا انجــاك
ومن الذى منــح الجميل بفضــله
ومــن الــذى بتلطف احيــــاك
ومن المجيب اذا ســألت جنــابه
واذا طـــلبت وداده أعطــــاك
ومن الذى كشــف الحجاب توددا
حتــى رأت أنــواره عينــــاك
ومن الــذى مــلأ الفــؤاد بحبــه
وبسره عنــد الصــــفا نــاداك
ومن الــذى أولاك نــور جمــاله
وبــذكره وشــــهوده صــافاك

ولا يزال العبد يكرر على مسامع نفسه هذه العبارات حتى تكون طوع أمره ورهن اشارته ، فيسير بها الى الله عز وجل سيرا حثيثا ، وهنا يبين رضى الله تعالى عنه الأخلاق والكمالات التى يجب أن يتجمل بها السالك فيقول : « يجب على السالك فى طريقنا أن يكون كالأرض فى التواضع وكالشمس فى المنفعة وكالبحر فى الكرم وكالليل فى الستر »

هذا مع ملاحظة أن السالك فى تجمله بهذه الجمالات لابد أن يتخلى عن الفطر المهملات والأخلاق السيئات ، والتى يشير اليها رضى الله عنه فى قوله :

واياكم واخلاق ابليس انها
لقد ابعدته وهو طاووس رامق

دعو الكبر والحسد القبيحين سادتى
دعوا طمعا فيما يزول وسابقوا

وغضوا عن المكروه أعين عفة
وجودوا ببشر فالسماحة رونق

واياكم وعدوكم خبث طبعكم
وطمعا وحب الجاه فهو يفرق

وتجمع هذه الآداب النصيحة التى يوجهها رضى الله عنه لكل سالك فى طريقه فيقول : « أخى تباعد عن أخلاق ابليس وهى الحسد والكبر والطمع وحب الشهرة والسمعة واذية الخلق والغيبة والنميمة والكذب والزور واشاعة الفاحشة فى اخوانك المؤمنين ، وأحب لجميع اخوانك ماتحبه لنفسك ، ودع الفساد ، وتباعد عن أخلاق البهائم من الحرص والبخل والانتقام والحيل والمكر والخداع والتملك والزنا وشرب الخمر والتهاون بحقوق الناس ، وتخلق بأخلاق الملائكة لتأدية المأمورات ، والتباعد عن المنهيات ، واحفظ الرأس وما وعى : من العينين والأذنين واللسان والأنف، والجسم وما حوى : من اليدين والقلب والبطن والفرج والرجلين ، واحكم يا أخى أنك من اكابر الأولياء لله تعالى المحفوظين بعين عنايته لأن الله لا يوفق

لهذه الا صفوته من أوليائه وهو الموفق الهادى سبحانه وأدم الشكر على النعمة تعط المزيد » (١) . أما ادب السالك فى عباداته المختلفة وفى معاملاته وفى جلوسه ومشيه وكلامه ونومه وغيرها ، فهذا يحتاج الى شرح طويل وقد نفرده بكتاب خاص اذا يسر الله ذلك بمنه وفضله وكرمه .

٢ — ادب السالك مع اخوانه :

والسالكون عند الامام ابى العزائم يحققون فى زمنهم وعصرهم مجتمع المدينة الفاضلة ، والذى ظهر لاول مرة فى المدينة المنورة عندما كان ساكنوها هم الذين قال الله فيهم « محمد رسول الله والذين معه » (١) وهم يعيدون تلك الأحوال على قدر زمانهم ، والمبدأ الذى يضعونه نصب أعينهم هو وصف الله عز وجل لأصحاب سيدنا رسول الله فى قوله « رحماء بينهم .. الخ » (١) ولا يكون ذلك الا اذا حدثت الأخوة الايمانية بمعناها الحقيقى والتى جمع أوصافها رضى الله تعالى عنه عندما وصف الاخوان فقال :

« والاخوان هم هياكل متعددة سرت فيهم روح واحدة ، كالجسد الواحد تعددت اعضاؤه ولكنه واحد ، فاذا تألم عضو منه شعر بالألم كل الجسد ، فكذلك الاخوان يتألمون جميعا لألم احدهم ، غنيهم فقير لأنه يؤثر الفقر على نفسه ، وفقيرهم غنى لكمال ثقته بربه ، صفت قلوبهم فتجملت ظواهرهم ، فاذا رأى الأخ الأخ كأنه أشرقت عليه أنوار ، فانبسط وانشرح وصافح وفرح فيزداد نورا على نوره وحالا على حاله وعلما على علمه ، يبذل كل أخ لأخيه مايجد من وجد أو وجود ، فيغذى الأخ اخاه بعلمه ، والآخر يغذيه بخبزه ، فلا يقابل أخ اخا الا وفتحت ابواب السماء بالبركات ، وهطلت الأرزاق والفتوحات ، نزع الله ما فى صدورهم من غل ، وما فى قلوبهم من طمع ، لأنه سبحانه هو المحبوب لهم فى أنفسهم ، وما تقولون فى اثنين تقابلا على

---

(١) شراب الأرواح ص ٥٠ .
(٢) الآية (٢٩) الفتح .

شوق فى الله ، ومحبة فى الله ، وبـــذل فى ذات الله ! هذا يبـــذل لأخيه ما به سعادته الأبدية من علم وحال وخلق حسن ، والآخر يبذل له نفيس طعامه وشرابه وماله ، وما تقولون فيمن تحقق فيهم قوله ﷺ فى الحديث القدسى عن الله تعالى « المتحابون فى والمتباذلون فى ، والمتزارون فى على منابر من نور، يغبطهم الملائكة والأنبياء لقربهم من الله » (١) وليس هذا الوصف العـــلى موجودا الا فى الصديقين وابدال الرسل عليهم الصلاة والسلام ، فكل أخ يعامل اخوانه بهذا فهو من الصديقين ومن أبدال الرسل عليهم الصـــلاة والسلام » (٢) ويجمل رضى الله تعالى عنه الآداب التى يتأدب بهـــا الأخ مع اخوانه فى هذه الحكمة الفذة الجامعة حيث يوضح ان الأخ اما اكبر منك واما أصغر منك واما مساو لك ، فأما من هو أكبر منك فتعتقد فى نفســـك انه خير منك لأنه سبقك بطاعة الله عز وجل ، وأما من هو أصغر منك فتعتقد فى نفسك انه خير منك لأنك سبقته بمعصية الله عز وجل ، وأما المســـــاو فشىء من اثنين : ان كان اعلم منك فتعتقد انه خير منك ، لأنه يعلم ما لاتعلم، وللمنزلة الكريمة التى أعدها الله للعلماء ، وأما ان كان أقل منك علما فتعتقد فى نفسك أنه خير منك لأنك تحاسب على ما تعلمته ، فحســـابه أخـــف من حســـابك ، وهكذا قس فى كل الأمور فى الغنى والفقر ، والصحة والمرض ، والعبادات الشاقة فى النوافل وتركها .

فاذا تأدب السالك بهذه الآداب ، فانه كلما جلس مع اخوانه كان كما قال رضى الله عنه « جلس محصلا لا موصلا ، ومكتسبا لا منفقا ، وطالبـــا لا مطلوبا ، ومجاهدا لأعدائه فيه لا مغرورا مخدوعا ، ومريضـــا يســـتشفى لا طبيبا يعالج » (١)

وهنا ينصح رضى الله عنه السالك ان يعتقد الاحسان فى غيره والنقص فى نفسه ، وان يغض عيون البحث عن عيوب اخوانه ، ويصم آذان التنقيب

---

(١) رواه السيوطى فى الجامع الصغير عن عبادة بن الصامت .
(١) دستور آداب السلوك ص (٤٩)

عن نقائص بعضهم ، وفى ذلك يقول : « فان المريد ليس رسولا معصوما ، ولا ملكا نورانيا مجردا عن لوازم البشرية ، وعلى كل اخ أن يشتغل بتطهير نفسه وتزكيتها من عيوبها ، وأن ينظر لنفسه بالانتقاد أو البحث عن دسائسها ومساويها ، وينظر لكمالات اخوانه ليتكمل بها ومحاسنهم ليتجمل بها » (١) ، فاذا اكرم الله عز وجل الأخ بخصوصية يقول له « فاذا شهد وجوده ، وظهرت له خصوصيته ، وجب عليه أن يلزم الاعتاب ويتجمل بالآداب ، فان مراد السالك القبول والغيبة عن الخلق بالحضور مع الله تعالى ، فمن غيبه علمه وحاله وبيانه عن الحضور مع الحق ، فعاند أو جادل أو اصطفى لنفسه اخوانا ، أو ظن انه كمل فقام ليكمل غيره ، خلع حلل السلوك ، وحرم السير الى ملك الملوك ، وهذا هو المرض الابليسى ، ومن لم يتدارك نفسه فى هذا التيه بتعاطى الادوية المرة من يد المرشد أو النصوح المخلص من اخوانه ، رد عن الجناب الى الاعتاب أو الى رعى الدواب ، نسأل الله السلامة » (٢)

— أما بالنسبة لتفاضل الاخوان فيما بينهم ، فيضع رضى الله عنه قاعدة عظيمة تجعلهم جميعا يتناسون هذا الفضل فيقول للسابق منهم « ليس الطريق لمن سبق ، ان الطريق لمن صدق » .

— ويقول للاحق منهم « من سبقك فى صحبة المرشد ولو بيوم فله فضل السبق عليك » .

— ويقول لمن اعطى لسان البيان « البيان خصوصية ، لا تقتضى الافضلية ، ورب صامت خير من ناطق »

---

(١) شراب الارواح ص (٥٠)

(٢) دستور آداب السلوك

— ويقول لغير العلماء « ساعة من عالم متكىء على اريكته خير من عبادة ستين سنة » .

— ويقول لأهل المجاهدات « جذبة من جذبات الحق توازى عمل الثقلين » .

— ثم يقول لاهل الجذب الجذبة « تمناها كبار الأولياء ، ولكن الله ارتضى لكل أوليائه الا يصلوا اليه الا بطريق المجاهدة » .

— وهكذا يخرج كل سالك من الحال الذى وقف عنده ، والمقام الذى استكن فيه ، حتى يرى الجميع أن الفضل لله وللجميع ، وأن البركة والفتح لهم بسر الاجتماع ، وبدوام الاتباع ، ويحذر من يرى نفسه لخصوصية ظهرت له فى عين نفسه على اخوانه فيقول : « كفى بالمرء اثما أن يرى الخير فى نفسه والشر فى اخوانه » .

— وينبه من ظن أنه وصل الى حال استغنى به عن الاخوان بقوله « كمل الاخوان لو ظن أنه استغنى عن اخوانه فقد ضل » وهكذا يحفظ لمجتمع الاخوان صحتهم الروحانية بهذه الآداب الرحمانية ، ومن خرج منهم عن ذلك جعل له تهذيبا مناسبا اذا قام به ، ترجع له صحته الروحانية ، حتى يكون الجميع حقيقة المثل الذى ضربه ﷺ لمجتمع المؤمنين فى قوله « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ا اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » (١) .

فيكونون كما قال رضى الله عنه :

أنتم أنا وأنا انتم ولا عجب
ان كنتم حيث كنت انا

---

(١) رواه البخارى ومسلم .

روح هنـــا هى بعض ارواح هنـــاك

وارواح هناك هى الروح المقيم هنا

ويلمع رضى الله تعالى عنه الى بعض تلك الآداب فيقول :

وســـترا لعـــورات الأحبـــة كلهـــم

وعفـــوا عن الزلات فالعفـــو ارفق

تـــوادو بـــروح الله بالله وابـــذلوا

لاخوانكـــم بشر اللقـــا وتعـــانقوا

لصحبتكم بالرفق والحســـن فابذلوا

لأحبـــابكم عنـــد اللزوم وخالقـــوا

وكفوا عن التنفير واسعوا لجمعكم

على الله فالدنيـــا متـــاع مفـــارق

اما آدابهم فى جلوسهم مع بعضهم وفى زياراتهم وتوادهم وفى ســـياحتهم واسفارهم وفى تعاونهم وبرهم وغيرها ، فهذا سنبسطه فى كتاب الآداب اذا يسر الله ذلك بجوده ولطفه . ونتيجة هذه التربية السلوكية العالية فقد خرج طلابه ومريديه على ما كان سائدا فى صوفية عصره من التعصـــب لمشـــايخهم وتفضيل طريقهم على غيره ، بل كان بعضهم ينهى مريديه عن زيارة غيره من الصالحين ، وعن مطالعة كتب غيره ، واذا خالف امـــره وفعل ذلك ، عنفه وزجره وربما طـــرده ، فيقول رضى الله عنه « ان دعـــاة الجهـــاله لطمعهم يوقعون العامه فى بغض العلماء والاتقياء والدعاة الى الخير ، فتحصل الفرقة ، ويقوم كل فريق لمنـــاواة الآخر ، فتتفرق الجماعة ويســـارع كل فريق الى المتسلطين او الأمراء فيستعينون بهم على اهل الحق ، حتى يضعف القائمون بالحق ويختفون وينتشر الباطل » (١) .

---

(١) معارج المقربين ص (١٦١) .

ويحض اخوانه رضى الله عنه على معاشرة جميع العلمــاء ومخالطة كل الصالحين، وقراءة كل أصناف العلوم وجميع أنواع الكتب لأن الاسلام ينهى عن العصبية فيقول : « ينبغى لاخواننا أيدهم الله تعالى — الا يعادوا علما من العلوم والا يهجروا كتابا من الكتب ، والا يتعصبوا لمذهب من المذاهب ، لأن طريقتنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها » (٢) .

بل انه رضى الله تعــالى عنه ، لا يفرق بين الصــوفية وغيرهم فى هذا الأمر ، حتى وصفه كبار المستشرقين عندما راوه فى بلاد السودان ودرســوا مبادىء دعوته ، بأنه رضى الله تعالى عنه أقرب الى الدعوة الوهابية منه الى الصوفية ، فهو يرى أن المسلم لا يتعصب الا للاسلام فقط فى مواجهة ما عداه، أما مع اخوانه المسلمين ، فهى الأخوة التى أوجبها الله ، وحققها سيدنا رسول الله ﷺ .

٣ — الأدب مــع المرشــد :

وقد اســتنبط رضى الله تعــالى عنه الآداب الواجبة على الســالكين للأئمة والمرشدين من كتاب الله عز وجل ، ضاربا بذلك الطقوس والحركات التى انتشرت فى صــوفية العصر ، والتى جعلت الناس ينكرون على اهــل الطريق نتيجة خروجهم عن حــد الاعتدال فى هذه الآداب ، فمثلا بعضــهم يقف ولايستطيع أن يجلس مادام فى حضرة شيخه ، وبعضهم يضع ذقنه على صدره ولا يرفعها الا باذن من شيخه ، وبعضــهم يخرج من حضرة شــيخه بظهره حتى لا يستدبر الشــيخ ، وغيرها من الأفعال التى تتنافى وســماحة الاســلام ، فأرجع رضى الله عنه الآداب المرعية فى صــحبة العــارفين الى الآداب التى بينها الله عز وجل فى كتــابه فيقول رضى الله عنه : « وقد ادب الله أولياءه بهجرة الكليم عليه الصلاة والسلام للعبد العالم ، وبين لنا ادب الكليم عليه الصــلاة والسلام معه مع مــا لاقاه منه من الجفوة والاحتقار فى

---

(٢) معارج المقربين ص (١١٥) .

مخاطبته بقوله « انك لن تستطيع معى صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا » (١) وبين لنا سبحانه وتعالى سوء أدب موسى السامرى وبلعام ابن باعوراء الذى اخبر الله عنه بقوله « واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين » (٢) ، وكان من خاصة أصحاب الكليم عليه السلام ، فبلغ فى محبته مبلغا ظن فيه مساواته له وتفوقه عليه (٣) .

وقد اجمل رضى الله تعالى عنه الأدب الواجب مع المرشد فى عبارة واحدة حيث يقول « تقيمه مقام الوالد الرؤوف الرحيم ، وتقوم له بما يقوم به الولد البار الكريم » (٤) .

وقد طبق ذلك رضى الله تعالى عنه فى تربيته لمريديه ، فقد حكى لى الشيخ عرفات الجمال رحمه الله تعالى ، انه كان جالسا متربعا واضعا رأسه على صدره ، جامعا يديه على فخذيه فى حضرته رضى الله تعالى عنه ، فما كان من الامام أبى العزائم الا أن قال له : يا عرفات ارفع رأسك وأرح نفسك فى جلستك ، فأنا بالنسبة لك اما أب او أخ أكبر ، والأب لا يرتاح مع تعب ابنه ، والأخ الأكبر لا يستريح مع تعب أخيه ، يا بنى : لا تظن أن هذا هو الأدب المطلوب مع الشيخ ، وانما الأدب المطلوب مع الشيخ أن تحفظ له باطنك فى حضرته وتحفظ ظاهرك عن الوقوع فى المعصية فى غيبته ، وبعد ان بين رضى الله تعالى عنه أن أدب السالك مع شيخه هو أدب الابن البار الذى وضحه كتاب الله ، وبينه سيدنا رسول الله ﷺ فى معاملة الابن البار لوالده الرؤوف الرحيم ، ينبه بلطف الى أمور يجب أن يعيها السالك حتى لا يحرم من الامدادات الالهية التى ترد اليه عن طريق شيخه أبرزها ما يلى الـ

---

(١) الآيتان (٦٧ ، ٦٨) الكهف .
(٢) الآية (١٧٥) الأعراف .
(٣) دستور السالكين ص (٤٥) .
(٤) دستور السالكين ص (٤٤) .

١ — أن يكون تطهر ظاهرا وباطنا مما يخالف الشرع من كل الكبائر خلقا أو عملا .

٢ — أن يتخلق بأخلاق الرسالة من الصبر والرضا والتوكل .

٣ — أن يجعل ذات المرشد هى المقصودة له لا لكرامة يبتغيها او مكانة يرجوها أو دنيا يصيبها او علم يناله او فقه يفهمه ، لأن أهل خصوصيته هم خاصة رسول الله ﷺ .

٤ — يلزمه أن يكتم احوال الرجل التى اباحها له فى سر الهى او دينى او دنيوى أو أخروى — مادام تسمعه منه منفردا — لئلا يقدح ذلك فى حفظه لأمانته .

٥ — أن يكون مألوفا لجميع المخلوقات من الحيونات والناس بما يناسب كل طبقة .

٦ — أن يكون بعيدا عن الشبهات ظاهرا وباطنا ولا يعتمد على حفظه بحاله ، ولا يتلد الرجل فى احواله عند مقتضيات الجمع فانه فرد .

٧ — مهما اكرمه الله تعالى بخصوصية ، لا يخطر على قلبه انه اشبه المرشد او ساواه او استغنى عنه ، فان ذلك دليل القطيعة عن الله تعالى ، وان كان الرجال لا يحظرون على فضل الله تعالى ، ولكن الطريق لا يسلم فيه الا اهل الادب وفيه سوء الادب عطب .

— وهكذا يبين الامام رضى الله تعالى عنه ، أن السعادة كل السعادة فى طريق الله تعالى فى الأدب مع المرشد فيقول « الوقوف عند المرشد — أمان ونجاة — وان انزلك عن مقامك وحالك — لانه يريد لك الوسط لتتمتع بشهود ربك فى كل شىء بوجود كل شىء ، وهو السنة فى التربية ، وانظر الى ذات

السيد ﷺ برده ابن عمر الى الوسط ، فكن كالميت مع المرشـــد تحيا ابدا ، فنظر المرشد ببصره أعلى فى مراتب التمكين من كشـــفك ببصيرتك فاحذر أن تقف عند حالك أو كشـــفك ، وكن — مهما ترقيت — حلة من حلل جماله ، وغصنا نضرا من أغصان شجرته ، اتصاله حياتك وانفصاله هلاكك » (١) .

ثم يبين رضى الله تعالى عنه قبســـا من الآداب العـــالية فى صـــحبة الواصلين للمرشد فيقول « المرشد سر غامض مرتبته ، وجهر جلى مكانته ، ظاهره ذل العبودية وخشوع المشاهدة ، وخوف الاطلاق واستكانة المعرفة ، كن اشفق عليه من شفقتك على نفسك ، وارهب له من خوفك من النار ، ومهما ظهر لك من ذله واحتياجه اليك واستعانته بك ، فاجعل ذلك منزلة الاختبار ، وبداية الامتحـــان ، وابذل النفس والنفيس قبل الاشـــارة والروح عندها ، وانظر الى حوادث الصديق مع الســـيد ﷺ وعلى ذلك فانهج ، اذا أخبرك بخصوصية أو رفعك بمزية ، فلا تجعلها شاغلا لك عن العكوف على ذاته ، واحتقر ملك الأرض فى جانب خدمة أعتابه ، فانه لو انس بك ما أبعدك عنه الا اذا اقامك مقام ذاته فى شأن من شئون واجباته ، كما فعل موسى بهارون عليهما الصلاة والســـلام ، ورســـول الله ﷺ لعلى بن أبى طالب فى غزوة تبوك » (١) .

وهكذا يرد الامام أبى العزائم رضى الله تعالى عنه الآداب فى هذا الباب الى آداب الأصحاب رضى الله تعالى عنهم ، فالسالك يتأدب فى نفسه بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ فى خاصة أنفسهم ، ويتجمل مع اخوانه بما كان يتجمل به أصحاب رسول الله ﷺ مع بعضهم ويســـلك مع المرشـــد ما كانوا يسلكونه مع ســـيدنا رســـول الله ﷺ مع حفظ المكانة المحمدية ، لأن ذاته

---

(١) شراب الارواح ص (١٥٧ — ١٥٨) .

(١) شراب الارواح (١٥٨) .

ﷺ ليست كسائر الذوات ، وهيئته ﷺ ليست كبقية الهيئات ، وانما المشابهة من باب قوله ﷺ « الشيخ فى قومه كالنبى فى امته » (١) .

وصدق رضى الله عنه اذ يقول :

وى عجيب فى آخر الأزمان
عادت لنا أحوال افراد حسان

تتمة :

وهكذا ما ترك الامام رضى الله عنه شيئا يهم أهل الطريق فى سيرهم وسلوكهم وحالهم مع ربهم ، الا وقد بين لهم ماخذه من كتاب الله عز وجل ، ووضح لهم السنة العملية فى فعله ، والمطابقة لعمل سيدنا رسول الله ﷺ ، فجدد الله به أحوال الصوفية وردها الى حقيقتها التى كانت عليها فى عصر رسول الله ﷺ واصحابه الكرام .

وأما المقامات التى ينزل فيها اهل الطريق ، والمشاهدات التى يواجهون بها والأحوال التى يتجملون بها ، فهذا أمر يحتاج الى بسط كبير ويحتاج أيضا الى أن ينزل الانسان فى هذه الأحوال ويصل الى تلك المقامات ليتعرف عليها ذوقا ، اذ الكلام النظرى فى هذا الأمر لا يفيد ما لم يصحبه التطبيق العملى ، ولذا كثيرا ما يعترض نفرا من أهل العلم على السادة الصوفية وذلك لأنهم قرأوا أذواقهم ومشاهداتهم ولم ينزلوا بأنفسهم فيها ، ويعايشونها ، فأنكرتها عقولهم ولم تتذوقها قلوبهم ، لكن علوم الصوفية الحقة واسرارها لا ينبغى أخذها الا من باب « ذق تعرف » ولذا آثرنا الا نتحدث عن المقامات والأحوال التى يمر بها السالكون وينتهى اليها الواصلون — وان كان اشار اليها رضى الله عنه فى كتاب شراب الأرواح ، وقسم علوم اليقين من كتاب أصول

---

(١) رواه ابن حبان والديلمى عن أبى رافع .

الوصول — اكتفاء بما نبيحه منها للمريدين فى الجلسات الخاصة بعد صفاء نفوسهم وتهذيب أحوالهم ، فالأمر كما قال الامام رضى الله عنه « نحن قوم نكتم اسرارنا عن الطالب حتى لا يكون له شهوة الا فى الحق » ويقول :

ان كان ما قلت نورا فالسر اعلى واغلى

يعطى لفرد مراد عن كل غير تسلى

باع النفوس ومالا حتى به صرت أولى

فمن اراد الأسرار ، فليتقرب من الأخيار ، ويواصل جهاد النفس آناء الليل واطراف النهار ، حتى يصفو قلبه من الاغيار ، ويجمل بخالص الأنوار ، وهنالك يكون بيتا مؤهلا لتنزل الأسرار ، وكنزا للهدى والأنوار ، وصلى الله على سر الأسرار ونور الأخيار وآله وصحبه وكل من انتظم فى عقد معيته الى يوم القرار . والحقنا بفضلك بمعيتهم يا عزيز يا غفار .

الفصل الحادى عشر

جهــوده العلميــة

اولا — النثر :

١ — التفسـير

٢ — العقيـدة

٣ — الاحكام وحكمتها

٤ — احياء الروح الاسلامية

٥ — الدعـوة الصـوفية

٦ — السـيرة النبوية

٧ — الاوراد والاستغاثات والصلوات

ثانيا — النظـم الصـوفى :

- تعريفه وكيفية تلقيه
- اغراضـه
- ديوان شروق الاسلام

جهــوده العلميــة

وقد اثرى الامام ابو العزائم رضى الله تعالى عنه المكتبة العربية بما يزيد على الستين كتابا فى مختلف أنواع المعرفة ، بالاضـــافة الى مقـــالاته التى لا حصر لهـــا ، والتى نشرت فى مجلاته (الســـعادة الأبدية والفتح والمدينة المنورة) الى جانب ما نشر فى الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية والشهرية التى كانت تصدر فى عصره مثل (المؤيد والأهرام ، والبلاغ وغيرها) .

وترك ايضا كما هائلا من المواجيد الصوفية والقصائد الدينية ، ولـــذا نرى ان نقسم الحديث فى هذا الباب الى شطرين :

اولا : النشـــر .

ثانيا : النظم الصوفى .

أولا : النشـــــر

ويوجد بالمؤلفات التى تركها رضى الله تعالى عنه ، وهى تحتوى العلوم والآراء التجديدية التى أوردها رضى الله عنـــه وشرحهـــا فى هذه الكتب ، ونستطيع ان نقسم هذه الكتب الى التصنيفات الآتية :

١ ــ التفســـــير :

وقد كان رضى الله تعالى عنه يلقى دروسا فى تفسير القرآن كل ليلة بعد صلاة العشاء ، ويسجلها تلاميذه من حوله ، وقد وصل فى تفسيره الى الجزء السابع عشر من القرآن الكريم ، غير أن الموجود فعلا حتى الجـــزء الثالث عشر ، والباقى فقد مع ما فقد من كتبه رضى الله عنه المخطوطة ، وقد سمى هذا التفسير « أسرار القرآن » ونهج فيه رضى الله تعالى عنه نهجا فـــذا ، حيث انه كشف عن جواهر المعانى القرآنية المنبثة فى الكلمات الالهية والمرادة من خطاب الله عز وجل لعباده المؤمنين مبتعدا عن العلوم الفرعية ــ والتى حرص المفسرون ان يحشوا بها تفاسيرهم ، حتى يظهروا تضـــلعهم فى هذه العلوم ، فمن كان نحويا اجتهد فى ملأ تفسيره بالقواعد النحوية والاعراب ،

ومن كان بلاغيا كان كل همه اظهار ما فى الآيات من دلالة الألفاظ وبلاغتها ، ومن كان ذا فلسفة خاصة ، دسها وأسهب فى شرحها عند تفسيره للآيات القرآنية ، وكل هذا يخرج القارىء عن المعنى المراد — حتى لا ينصرف ذهن السالك عن معانى كلام الله ، ولا يلجأ الى أى من هذه الفنون الا اذا كان المعنى يحتاج اليها لزيادة ايضاح ، فيكون الاعراب مثلا لابد من توضيحه لتعلقه بالمعنى الذى تبرزه العبارات ، لأن اهم ما يحرص عليه رضى الله عنه فى تفسيره ، أن يربط المؤمن بربه عند تلاوته لكلامه حتى ينمو بداخله الحس الروحانى الذى يصور له أنه يناجى ربه عز وجل بكلامه، وهو سبحانه وتعالى يكشف له أو يلهمه بمراده عز وجل فى كلامه ، ولذا يقول رضى الله عنه كاشفا الأصل الذى بنى عليه تفسيره « ليس الشأن أن تفهم القرآن ولكن الشأن أن تكاشف بمراد الله عز وجل فى القرآن ، لأن الفهم يختلف من شخص الى شخص على حسب قدرات كل الذهنية والعقلية ، ولكن مراد الله عز وجل الذى من اجله أنزل كتابه واحد وان كان لا يصل الى معرفته الا من استنار قلبه بنور ربه عز وجل ، وهذا ما جعله يحكم على كل من فسر القرآن برايه بدون بصيرة بانه اخطأ القصد ، لأن مراده قد يتعارض مع مراد الله عز وجل فيقول « لو جمع رجل كل علوم الأولين والآخرين ثم قال فى القرآن برأيه بغير بصيرة من ربه فقد اخطأ ولو أصاب » ، وهذا هو النهج الذى وضعه الله عز وجل لحبيبه ﷺ وورثته فى قوله سبحانه وتعالى « قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى » (١) هذا وان كان رضى الله تعالى عنه قد تعرض لتفسير كثير من الآيات القرآنية غير ما سبق وقد نشرت فى مجلاته أو فى كتبه غير أنه لم يكمل سورة من غير الأجزاء السبع عشرة الا سورة القدر ، فقد فسرها فى رسالة مستقلة سماها « تفسير سورة القدر » .

٢ — العقيدة :

وهى الكتب التى يشرح فيها العقيدة للمسلمين ، ويرد فيها على سموم المستشرقين وهى :

---

(١) الآية (١٠٨) يوسف .

١ — عقيدة النجـــاة .

٢ — وسائل اظهار الحق .

٣ — تفصيل النشأة الثانية .

٣ — الأحكـــام وحكمتهـــا :

وهى الكتب التى فصـــل فيها الأحكـــام الشرعيـــة وبين حكمـــة هذه الأحكام وهى :

١ — اصول الوصول الى معية الرسول .

٢ — هداية السالك الى علم المناسك .

٣ — صيام اهل المدينة المنورة .

٤ — الفتاوى العزمية .

٤ — احياء الروح الاســـلامية :

وقد عنى ببث هذه الروح فى كتبه التى تضمنت رأيه فى كيفية اعـــادة المجـــد الاســـلامى .

— وذلك فى كتاب « الاسلام دين الله — الاسلام نسب — الاسلام وطن

— وتحدث عن واجب المسلمين فى تحقيق تلك المثل ، حيث فسر .

دورهم فى الجهاد من أجل تحقيق تلك الغاية فى كتابه « الجهاد » .

— وكشف عن أساليب المستعمرين فى الكيد للمسلمين فى كتابه « محكمة الصلح الكبرى » .

— ووزع المهام على الأفراد والجماعات فى مرحلة الجهـــاد فى كتـــابه « النور المبين فى علوم اليقين ونيل السعادتين » .

— وعالج تفرق المسلمين فى كتاب (الشفاء من مرض التفرقة) .

٥ — الدعوة الصـــوفية :

وهى الكتب التى تتضـــمن آداب الطريق ومشـــارب الرجال ومنـــازل الواصلين ومشاهدات المقربين ، والمطبوع منها هو :

١ — شراب الأرواح من فضل الفتاح .

٢ — مذكرة المرشدين والمسترشدين .

٣ — آداب السلوك الى ملك الملوك .

٤ — دستور السالكين طريق رب العالمين .

٥ — معارج المقربين .

٦ — الفرقة الناجية .

٧ — من جوامع الكلم .

٨ — الطهور المدار على قلوب الأبرار .

٩ — الجزء الثانى من كتاب أصول الوصول لمعية الرسول .

أما المخطوط منها فهو :

١ — الصوفية والتصوف .

٢ — المضنون والمكنون .

٣ — موارد أهل الصفا .

٤ — مصطلحات الرجال .

٥ — الألف مرحلة فى طريق الله عز وجل .

٦ — دستور آداب آل العزائم .

٦ — السيرة النبوية :

— وقد طبع منها كتاب « بشائر الأخيار فى مولد المختار » .

— ولا يزال مخطوطا كتاب « محمد رسول الله ﷺ من البدء الى الختام » وطبع أيضا (السراج الوهاج فى الاسراء والمعراج) .

٧ — الأوراد والاستغاثات والصلوات :

وهى :

١ — ما يزيد على الخمسمائة فتح فى الصلوات على رسول الله ﷺ ،

طبع منها خمسون فتحا باسم « الفتوحات الربانية والمنح النبوية فى الصلاة على خير البرية » ولا يزال الباقى مخطوطا .

٢ — ما يقرب من خمسمائة حزب ، طبع منها ما يتعلق بشهر رمضان باسم « أدعية الغفران فى شهر القرآن » وطبع بعض منها فى الأوراد اليومية فى كتاب « نيل الخيرات بملازمة الصلوات » ولا يزال الباقى مخطوطا .

٣ — الاستغاثات والأدعية بحسب المناسبات ، وقد طبع منها ما يناسب ليلة النصف من شعبان فى كتاب « مشارق أنوار البيان فى ليلة النصف من شعبان » وطبع جزء منها فى كتاب « الأدعية والاستغاثات الكبرى » غير أنه نفذ من السوق منذ زمن بعيد ، والباقى وهو الجزء الأكبر لا يزال مخطوطا الى الآن .

هذا وقد فقد كم كبير من المخطوطات النادرة ، وكانت معبأة باحكام فى صناديق خاصة بها وذلك عند نقل أثاث المنزل بعد وفاة الامام أبى العزائم رضى الله عنه لاعادة بنائه بعد تقسيمه على الورثة ، ويقوم بطبع هذه الكتب الآن جهتين :

١ — ابنه السيد مختار ماضى أبو العزائم ويتولى طبعها ونشرها عنه مكتبة دار الشعب .

٢ — حفيده السيد عز الدين احمد ماضى ويتولى طبعها ونشرها فى دار المدينة المنورة للطبع والنشر ، التى يمتلكها هو واخوته ، وهم أبناء السيد أحمد ماضى ابن الامام رضى الله عنه .

ثانيا : النظم الصوفى

كيفية تلقيه : —

وهو الذى يقول فيه ﷺ « ان من الشعر لحكمة » (١) وقد بلغ فيه الامام أبو العزائم رضى الله عنه الغاية فى جزالة الألفاظ ورصانة الأسلوب

---

(١) رواه البخارى عن أبى بن كعب والترمذى والطرانى عن ابن عباس .

وبلاغة العبارة مع المعـــانى المبتكرة التى لم يسبقه اليها احــد ، وقد كان رضى الله عنه يلقى هذه القصـــائد عندما تنتابه حالة الوله ، فيملى عليه ملك الالهام هذه المعانى الروحانية والأسرار الربانية ، فيصوغها نظما ، وقــد وصف رضى الله تعالى عنه هذه الحالة فى قوله معبرا عن المراحل التى يمر بها الواصل حتى يصل الى حالة الالهام « ثم بعد أن تبدو له تلك الآيات الملكية ، تعلوه حيرة منه له ، فيظهر له منه خفاء ما فيه ، فيغيب به عن شهود ما حوله وفوقه وتحته ، ويجول فى مدينة حسنه وجماله وكماله ، منزها لمــا يظهر له منه من غرائبها يراه فيه من الآيات التى هى عين ما شــهد قبل فى غيره ، ومن الأنوار التى سمت وعلت ، ثم يشهدها فى جميع ما شــهد ، حتى يغيب عنه شمس حقائق ما شهد من غيره ، ويعلوه من الدهشـــة ما يجعله فوق طور الطرب ، وتحت ناموس الشوق المقلق الموجب للهيام ، وعندها يفنى عن القيود الناســـوتية التى بها توصل لكشـــف الملك ، لظهور لمعات أنوار الملكوت بعين بصيرته عن مشكاة المثال الحقى فى كوكب التجلى الأسمائى ، فى صورة الزجاجة اللطيفة النورانيـــة ، ويفنى بعد هذا الفناء ، فى رتبـــة خفاء المرتبة الاحسانية ، فتمتلىء بغير استحضار ، بل بقوة ما يفاض عليه من لدى الأوصاف الحسنى من التنزيه الاثباتى والتشبيه السلبى ، ويبوح عند الهيام بلواعج الشوق حتى يكـــاد يترجم من غـــير ادراك عن الغيب المصون الظاهر له بالبصيرة » (١) .

وكان اولاده ومريديه يكتبون عنه هذه المعـــانى التى رفض رضى الله تعالى عنه أن يطلق عليها اسم « الشعر » وانما سماها « مواجيد » لأنهـــا نتيجة حالة الوجد التى يعانيها ويعايشها ، ويكشف اللسان عن شميم منها للمؤهل لها ، وأجاز اطلاق اسم قصائد عليها بشرط أن يعرف المتقول لتلك الكلمة انها ناتجة عن قصـــود علية ، وهمم ســـماوية ، وقلوب عرشـــية وأرواح نورانية فيقول :

---

(١) شراب الأرواح ص (١٧٦ — ١٧٧) .

ليس شعرا ما قلت حال ورودى
بـل هو الخمر يحتسى فى الوجود
راح قدس قصـائد من قصـود
قـد اديرت مـن حضرة المعبـود

ويقول أيضـا :

تـرنمت لا لهيـاكل ومبـانى
ولكن لفـرد واجـد روحـانى
اغان الى الغيب المصون مشـيرة
بهـا الروح سكرى والجميل عيان
أغنى لروحى معـربا عـن حقيقتى
فـلا يصـغى لى الا فتى روحانى
وفى صورى الأخفى ورسمى فى الخفا
ومشـهد روحى مشـهد ربـانى
اغـان فما للعقل فيهـا تناسـب
ولا مشـهد للنفس فيهـا ببرهان

وقد كان رضى الله تعالى عنه تأتيه هذه الحالة حتى أثناء نومه ، فيقوم ويملى ما الهمه الله عز وجل به ، ولمـا عرف خاصة الاخوان ذلك الأمـر ، كانوا يترقبونه مستترين ، فاذا هاجه الحنين وأمـلى ما ورد ، أسرعوا فى كتابته ، ولمـا ظن بعضهم انه رضى الله عنه لا يعرف أمرهم ، كاشفهم رضى الله عنه بحقيقة الأمر وأوضح لهم مكنون السر وقال :

انـا لو اغنـى فى الخفـا لتكلمت
احجـار هذا البيت عـن كلمـات
لـكن أشـير بفـرق فرق محـرق
يـدرى مبـاديه أولى الهمـات

بل والأعجب من ذلك أنه رضى الله تعالى عنه كان عندما ينتابه هذا الحال ولا يجد احدا كاتبا بجواره ، ينادى على من بجواره أيا كان ، ويأمره أن يكتب

فيمسك بالقلم ويكتب بأمر الله عز وجل ، مع عدم معرفته بالقراءة والكتابة قبل ذلك .

ولما كانت هذه الأحوال تنتهى ، كان يسترجع مع احبابه ما كتبوه ، فيبقى على ما يناسب العقول والأفئدة ، ويأمرهم بحرق ما تبقى ويقول لهم « من اظهر مالا يطاق أوقع غيره فى النفاق » .

ويقول ايضا :

كيف الاباحة بالأسرار فى ملا .
وهى الحقيقة تصريحا وتبيينا
روحى قبيل بيانى قد أجود بها
سمحا بها وارى الأغيار تكوينا
اخشى على الدر أن يلقى بمزبلة
فيذذرى وأخون الحق والدينا

ولما كانت هذه الالهامات من الكثرة حتى أنها تجاوزت المائتى الف قصيدة ، كان ذلك يدعو الى حيرة وعجب كثير من الحاضرين ، حتى أن رجلا منهم وكان يسكن فى مدينة السويس ، بات ذات ليلة يفكر فى هذا الأمر الغريب والشأن العجيب ، وكيف ان هذا الرجل يلقى القصائد المتتالية بغير تفكير سبق ، ولا اعداد ذهن ولا تصور عقل ، ومع ذلك تسمعها كأنها المعنية بقول رسول الله ﷺ « ان من البيان لسحرا » (١) لشدة وقعها وغريب تأثيرها فى نفوس السامعين ، والأعجب من هذا ، أنها تأتى على اكمل ما يكون من حيث وزن الشعر وقوافيه ، حتى أن المرء لا يستطيع أن يستبدل لفظه منها بغيرها ، لشدة ترابط كلماتها ، فرأى هذا الرجل فى تلك الليلة سيدنا رسول الله ﷺ جالس على كرسى وأمامه ستارة ، وأمام الستارة يجلس الامام أبو العزائم على المنصة ، وكلما حرك سيدنا رسول الله ﷺ فاه بكلمة ردد الامام أبو العزائم رضى الله عنه نفس الكلمة ، فكأنه

---

(١) رواه البخارى عن أبى بن كعب والترمذى والطبرانى عن ابن عباس

يبلغ عنه ، فقام من نومه مسرورا ، وانتظر الى الصباح بفارغ الصبر ، ثم أسرع الى القاهرة ليبشر الشيخ بما رأى ، وعندما دخل المنزل ، وجد الامام يلقى درسا على اخوانه ، وحينما وقع نظره عليه ، خرج الامام عن درسه وقال فورا على البديهة :

لـــولا رئـــولا ولـــولا
عهـــد وثيـــق لمـــولى

لكشـــفت عنـــى ستـــارى
وبحت بالســـــر قـــولا

لـــكن وجهـــا جميـــلا
لعـــين قـــلبى تجـــلى

اغيـــب عنـــى وامـــلى
لمـــن بســـــرى تحـــلى

لســـت المغنـــى بقـــولى
الا اذا الفـــرد امـــلى

اغراضـــــــه :

وقد تناول رضى الله عنه فى هذه المواجيد كل المواضيع الدينية والخلقية بالاضافة الى تعبيره عن جميع أحوال الصوفية سواء فى جهادهم لأنفسهم او فى وصولهم لمحبوبهم او فى مواجهاتهم أو مؤانساتهم ، حتى أنه لم يترك شاردة ولا واردة من احوال الصوفية والصالحين الا ووصفها ووضحها وبينها فى هذه المواجيد الالهية ، ونستعرض هنا رذاذا من عبير تلك القصائد :

ففى الصلاة مثلا يقول :

اقيم صلاتى ان تجردت عن نفسى
فاننى بها عنى بمشـــهده القدسى

لديهـــا يواجهنى بوجـــه مقـــدس
اكون انا عرش التنـــزل والكرسى

على يصلى فى صلاتى لاننى
تشبهت بالمختار بالجسم والنفس

وها هو فى الذكر يقول :

اذا ما ذكرت اسم الجلالة تجلى لى
حقائق انوار من المشهد العال
فاشهد حال الذكر وجها مقدسا
تعالى عن التشبيه والأمثال
لدى الذكر انوار الجميل تلوح لى
مواجهة فى الذكر والذكر آمال

ومما يشوق به القلوب الى حضرة الله قوله :

من اليه حنين اهل الصفاء
وهو نور يلوح للأصفياء
من تجلى فاظهر الكون نورا
شوق العالمين بالآلاء
من يابى الداعى بحال اضطرار
من يغيث المضطر بالنعماء
من هو الظاهر المجيب تعالى
يعطى فضلا سوابغ الاعطاء
من يرانا ولا نراه فنعصى
يغفر الذنب بعد طول الجفاء
كم عصينا وكم سألنا فلبى
ابدل الذنب منه بالرضاء

ويعلى الهمم للاقبال على سيد العرب والعجم فيقول :

سر الوصول الى الجناب العالى
حب النبى محمد والآل
من لحظة فى الحب تشهد وجهه
وتفوز منه بسره فى الحال

تعطى العلوم وتشـــهدن فتترجمن
بلســـان اهـــل القرب والأبـــدال
تعطى الجمـــال فـــلا يراك مصـــدق
الا ويشــــــهد نـــوره المتـــــلالى
من أين هذا العـــلم والنـــور الذى
أعطيتـــه من لحظـــة فى الحـــال
مـــن حب قـــلبى للحبيب محمـــد
نلت المنـــى بـــل نلت كل أمـــالى

ويعرج على رمز آدم فيكشفه حيث يقول :

اذا ســـبقت حســـناك جملت التربا
يصير لك المصـــباح نور ولا شوبا
له تســـجد الأملاك طـــوعا وقربة
يعلمهـــم أســـمائه يشـــهد الغيب
وما آدم لولا ضـــيا نفخـــه بهـــا
لقد ســـخر الأكوان يجذبها جـــذبا
اذا ســـبقت حسناك ترفع ســـافلا
وتجعل ترب الأرض للعـــالم القطب

وتارة يفتح الباب للمذنبين حتى لا يتطنوا من رحمة رب العالمين فيقول لهـــم :

يفـــرح التـــواب بالتـــوبة مـــن
عبده يعطى الرضا يوم الحســـاب
يفتـــح البـــاب بتـــوبتـــه عـــلى
من أتى متحققـــا ســـوء العقـــاب
قـــد يحب الله عبـــدا تائبـــا
راغبـــا رضـــوانه ينس العـــذاب
من وريد العبـــد اقـــرب فابتهـــل
تائبا يا عبـــد واضرع فى الرحـــاب

وبعد التوبة يرغبهم فى الجهاد فيقول :

يـــراقب أحكامى ويحفظ شرعتـــى
فتى ســـالك يرجو وصـــالا لوجهتى
يعـــامل خلقى بالذى قد شرعتـــه
وبالفضـــل يستجدى جميل مودتى
ويعبدنى بالصـــدق لا يرجو نعمـــة
من الخلق بل يرجو قبـــولى ونعمتى
وهذا ســـبيل الســـالكين وحالهـــم
مراقبـــة الأحـــكام رغبـــة جنتـــى

ويصف رضى الله عنه من يعانى من الوجـــد والغرام ويتجـــه الى الله بخالص الحب والهيام فيقول :

أهل المحبـــة لمـــا عاينـــوا هامـــوا
والغافلون عن المحبوب قد لامـــوا
ذكروا الحبيب فأدناهـــم وقربهـــم
وبعـــد قربهـــم كشـــف واكـــرام
غابـــوا بذكرهم طابـــوا بشربهـــم
ومقعد الصدق نزل فيه قد قامـــوا
لم تلههم جنـــة الفردوس اذ لهـــم
شـــوق الى ربهـــم وله واحـــرام
قد نولوا من شراب الـــود خالصـــه
رفعت لهم بين أهل القرب أعـــلام

ومن وصفه للعارفين قوله :

العـــارفون لهـــم مقـــام راقـــى
لـــم يدركـــا بالعقـــل والأحـــداق
شـــهدوا جمـــال الله بالعـــين التى
وهبـــت لهـــم من منعـــم خـــلاق

أهـل الشـهود هم الكرام أئمـة
قـد جمـلوا بالحـب والأخـلاق
اسرارهم وهبت لهـم مـن ربهـم
والمصطفى الهادى لروحى سـاقى
الشرع مشربهـم ووجـه حبيبهـم
فى حيثمـا كالشـمس فى الاشراق

وعندما سمع بعض أهل العلم أحد تلاميذه جالسا بالأزهر الشريف يردد احدى هذه القصائد لم يتذوق معانيها ، بل زاد على ذلك ، وذهب مغاضبـا يريد أن يعاتب الشيخ على مثل هذا الكلام ، نظر اليه رضى الله عنه فوجده شديد الاهتمام جدا بهيئته وملبسه ، حتى أن حذائه كان شديد اللمعان من شدة عنايته به ، فقال له رضى الله عنه « لو نظفت قلبك كما نظفت حذاءك لفهمت مثـل هذا الكلام » .

فأعلم أن المواجيد لا يتذوقها الا أهل الوجد ، فيتغنون بها ترويحـا عن أنفسهم فى سيرهم وسلوكهم الى ربهم ، ويوجه الخطاب لمن يلومه على هذه الأحوال فيقول :

الا لا تلومـا ماضـيا ان ماضـيا
لـه مهجـة ذابت بحـر المـكاوية
رأى الحسـن صرفا فى مطالع أفقه
لروحى الى ربـع الحقيقـة داعيا
فهـامت له عشـقا ولمـا تهيمت
أباح الضـنا عنى بما قد علانيـا
شـهدت جمـالا لو تبدى لأكمـه
تهيـم فى معنـاه وارتـد رائيـا
ولو للجبـال الشـم أبدى جـلاله
لدكت لوقـع الخـوف منها العواليا
عـلام تلومانى ولم تـريا الـذى
بصورة أسـماء الجمـال بدا لى

● **ديــوان شروق لاســلام :**

والأمر يطول لو استعرضنا كل الأغراض التى تحدث عنها رضى الله عنه فى مواجيــده ، لكن أغرب ما فيها هو ديوانه المطبــوع تحت أسم « شروق الاسلام » والذى قد وضح فيه تبسا من الغيوب التى لم تكن قد ظهرت بعد ، وظهرت بعده وأبرزها تنبؤه بالحرب العالمية الثانية ، مع انه قد مات قبــل اندلاعها ومما قاله فيها :

نجــم غــرب يمحى وكوكب شرق
يقتضى عــودة بخــير المــواهب
نــار حــرب تشــب منها بألما (١)
تمحــق . الظــالمين من كل كاذب
عمت الغــرب فى شــمال واصــلت
فى لظــاها الظلام من كل غاصــب
فيــه المــانيا وروس ونمســـا
تســعر النار بالجرىء المحــارب
تصــطلى دولــة البواخــر حــربا
يمحى عنها فى الشرق كل المناصب
نــار حــرب تشــب منهم عليهــم
سرها الظلم والقــوى المطــالب

بل انه رضى الله تعالى عنه تنبأ بما يحدث فى روسيا وفى اليابان الآن من علو لشأن الاسلام فيقول :

يظهــر الاســلام فى روســيا وفى
ارض يابان يعــلو بهــا القــرآن
ينشر الاســلام فى روســـيا وفى
أمــة اليــابان بالآى الحســـان

---

(١) المــانيا

ثم يبشر رضى الله تعالى عنه بما سيحدث لأهل أوربا نتيجة ظلمهم فمن ذلك قوله :

يا أوربا جهلت ثم جهلت
أنت فى سور رتبة الانعام

قد رأيتم غناكم فطغيتم
سوف ترءوا بصعقة الانتقام

قد جمعتم جيوشكم لتزولوا
ابشروا بالدمار ذل الحمام

قوم روسيا قد يصبحون عزينا
فرقة تسلب النفوس فى الأحلام

يقذفون بنار بركان مقت
يصبحون الآكام بعد النظام

وفى هذا تكون البشرى لأهل الاسلام حيث يقول لهم :

لديها يضىء الشرق بالشمس اشرقت
تكون لياليه كنور نهار

يجدد منهاج الهدى من ائمة
لقد جهلوا قبل انتشار النار

ويقول أيضا :

تشرق الشمس فى مرابع شرق
تترائى بكل ارض حرام

يمحق الله كل تيجان ظلم
وبلاد الاسلام ارض السلام

هذا ولم يطبع من قصائده رضى الله تعالى عنه سوى ديوان ضياء القلوب والمواجيد التى أملاها فى عام ١٣٤٢ هجرية ، حيث طبعت على

حساب شهور العام ، وان كانت نفدت طبعاتها منذ أمد طويل ، ويشعر المرء بغصة شديدة لحجب هذه الدرر الغالية عن الظهور حتى يومنا هذا ، وأن كنا قد جمعنا منها كما لا بأس به وننوى بمشيئة الله أن نصححه ونشرح ما استغلق من معانى كلماته ، ونطبعه ونوزعه بتكلفته على المسلمين تيسيرا لهم عملا بقول رسول الله ﷺ « خير هدية يهديها المؤمن لأخيه كلمة حكمة تزيده هدى أو تمنعه عن ردى » (١) وعلى الله قصد السبيل .

---

(١) رواه السيوطى فى الجامع الصغير عن ابن عمرو والطبرانى عن ابن عباس .

الفصل الثاني عشر

وصـــية ووداع

- وصيته لاخـــوانه
- وصيته لأولاده واهل بيته
- زوجاته واولاده
- خاتمـــــــه

وصـــيته لاخــوانه

وقد ظل رضى الله عنه يجاهد فى كل نفس من انفاسه فى ذات الله تعالى، حتى لمـــا أقعده المرض فى آخر أيامه وشلت رجلاه ، لم يصرفه ذلك عن مهام الدعوة الى الله عز وجل ، فكان رضى الله عنه فى قوة عزيمته ومضاء همتـــه وصدق ارادته كأنه أمة من الدعاة الى الله عز وجل ، لشدة تأثيره فى النفوس والقلوب ، ولمـــا أحس بدنو الأجل ، جمع أحبابه ومريديه ، ووصاهم بوصايا بالغة تجمعها هذه القصيدة التى جمعت كل شىء يهم المريد والواصل والمتمكن فى حالهم مع الله عز وجل ، وسنذكرها برمتها لأهميتها البالغة وهى :

أيا رفقة بالحـــق للحـــق صـــدقوا
ويـــا خــــلة بالله لله وفقـــــــوا

أيا ســـادة ذاقوا رحيقا مقدســـا
على منهج الصديق ساروا ورافقوا

واخـــوان صـــدق بالعزيمة بادروا
برشـــف المدام الحق حتى تحققـــوا

ويا عصبة المختار يا نجدة الهـــدى
ومن بكموا فى منهج الحـــق رافقوا

ويـــا أوليـــاء الله يـــا أهـــل وده
ومن لهـــم المختـــار قد يتشـــوق

ومن خصصوا من سيد الرسل بالصفا
ومن هـــم بحـــار للهـــدى تتـــدفق

أيا نخبة الرحمن اهل اختصاصـــه
ومن وجدهـــم خـــلق به لا تخـــلق

ومن خصـــصوا منه بفضل ورحمة
ومن هم شموس للأخلاء ترمق (١)

---

(١) ترمق يشار اليها

ومن شـــاهدوا الآيات فى كل مظهر
باعين تســليم بها النــور مشرق
أيا رفقتــى يا خــلتى يا أحبتــى
على العروة الوثقى فسيروا ورافقوا
اليكم اشــاراتى فذوقوا ســلافها
تحــاببتموا فى الله بالله صــادقوا
الا فاجتمــاعا بالقــلوب والفـــه
وعونا على عمــل المكارم تلحقــوا
واياكــم واخــلاق ابليس انهــا
لقــد ابعدته وهو طــاووس رامق
دعو الكبر والحسد القبيحين سادتى
دعــو طمعا فيما يزول وســابقوا
وســتر العــورات الأحبة كلهــم
وعفــوا عن الزلات فالعفو ارفق
وغضــوا عن المكروه أعــين عفــة
وجــودوا ببشر فالســماحة رونق
واياكــم وعــدوكم خبث طبعكــم
وطمعــا وحب الجاه فهو يفــرق
تــوادوا بــروح الله فى الله وابذلوا
لاخوانكــم بشر اللقــا وتعــانقوا
لصــحبتكم بالرفق والحسن فابذلوا
لأحبابكــم عنــد اللزوم وخالقــوا
وكفــوا عن التنفير واسعوا لجمعكم
على الله فالدنيــا متــاع مفــارق
الا مــن يــكن فى قلبــه بعض ذرة
من الكبر والأحقــاد ما هو ذائــق
الا طهر الأخــلاق والنفس زكهــا
والا فســهم البعــد يرمى فيفتق

الا يا اخى بالـــذل ترقى وترفعـــن
وبالذهـــد تعطى مالـــه تتشـــوق
ويا صاحبى بالجد والعزم جاهدن
لتشـــهد أسرارا بها الحق مشرق
ويا ايها الصديق يا مظهر الهـــدى
بحالك ماض العـــزم يمحى المنافق
ويا ايها الباب الذى نـــوره جـــلى
لزين الخفـــا وبه أضاء المشـــارق
ويا ايها الفانى الذى حبـــه محـــا
معاليمه فى الحـــق والقلب يخفـــق
ويا أيهـــا المحبـــوب مطلوبنـــا لنا
ومن هو فـــان عن ســـوانا محقق
ويا ايهـــا الراجى لوصـــل ونظرة
فظاهره يشـــتاق والروح أشـــوق
ويـــا بـــاذلا ما فى يديـــك تتـــريا
لنيل الرضـــا ولطيبهم تستنشـــق
ويـــا بـــاذلا للنفس بيعـــا بهمـــة
وبشر منهـــم بالقبـــول وصـــدقوا
تخـــلق باخلاق الالـــه وحافظـــن
على منهج المختار فى العقد تنســـق
وكن ماض العزم الذى لا يشـــوبه
شـــوائب تـــدليس وبالحق ينطـــق
ودع عنك ميـــلا للحضيض وزينـــة
بها اشتغل اللاهون عنه وبما ارتقوا
وقـــم داعيـــا لله بالحكمـــة التى
بهـــا قـــد حبـــاك الله وهو الموفق
ولا تســـع فى التفريق اجمع به له
عليه أولى التســـليم اذ انت واثق

فما ضيكموا الراجى بفضـل محمد
اخوة طـه هـل مـراد يوافق ؟
فقد صح(واشوقاه)(١) منه لهم به
فلبـوا بعـزم فالملبى موفـق
وهـا انا واشوقاه منى لـه بـه
ولولا اشتياقى كادت الروح تزهق
اذا كان منه الاشـتياق لنـا بـه
فاولى بنـا للوجد فيـه نسـابق
فقد خصـنا المختار بالشوق خلتى
فشـوقا له شـوقا له لا يفـارق
فهيا بصـدق فى العزائم وانهضـو
لنيـل اخـوته بـه فهـى أوفق
فهذا زمان الصدق فى نصرة الهدى
وأيام اهـل العزم أين المصـدق ؟
الا سارعوا احيـو لسـنة احمـد
ففتنة هذا العصر كالنـار تحـرق
الا اطفئـوها باليقـين تجـردوا
عن الحظ والأهـواء فالحظ مفـرق
وجدوا وجودوا بالنفوس تحفظـا
على السـنة الغـراء فالله خالق
الا أيهـا الاخوان ان خشـوعكم
واخبـاتكم لله مـن هـو رازق

---

(١) يشـير الى الحديث الذى رواه الامام مالك فى الموطأ والذى يقول فيه « واشوقاه لاخوانى الذين لما يأتوا بعد فقال : سـيدنا عمـر الســنا اخوانك ؟ قال انتم اصـحابى اخوانى قـوم يأتون آخـر الزمان امنوا بى ولم يرونى .

الا بعتمـــوا لله مـــالا وانفســـــا
بمدلول «ان الله» (١) والذكر ينطق
ألا حققـــوا واســـتبشروا يا أحبتى
ببيعة رضــــوان من الله تســـبقوا
وعلما بأن الدين حســـن عقيـــدة
وأنوار أخلاق بهـــا الكشف يشرق
عبـــادة رب العرش سيروا برحمة
تكونوا بهـــا ابنـــاء طـــه تحققوا
بأنفســـنا أولـــى بمحكم آيـــه (٢)
فدتك نفـــوس طيبـــات وأينق (٣)
فـــدا سنة المختـــار مالا وانفســـا
لنحفظها من كـــل غر (٤) ينـــافق
الا عـــزة منكم على كـــل كافـــر
ســـعى منكرا للحق يرجو يفـــرق
وكونـــوا اذلاء علـــى كـــل مؤمن
ليجمـــــع بالتوفيق هـــذا المفـــرق
الا خلصوا الأرواح من سجن نأيها
وجدوا لتزكية النفوس وســـابقوا
الا جاهـــدوا تلك النفوس بهمـــة
تفوزوا برضـــوان من النار تعتقوا
الا اســـعدونى باجتمـــاع والفـــة
على منهج المختـــار فالنـــور مشرق

---

(١) يشـــير الى قول الله تعالى ؟ « ان الله اشـــترى من المؤمنين انفســـهم وأموالهم بأن لهم الجنة » .
(٢) يشير الى قول الله عز وجل : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم » .
(٣) الأنيق ؟ الجمال السريعة .
(٤) غـــر مخادع .

ولا تيأســوا من رحمة الله اخوتى
ومــن نصره فالله بالعبــد يــرفق
على سنة المختار ســيروا بهمــة
عسى الله يحيينـــا بــه ويــوفق
عســاه بحول منه يمنحنا الهــدى
ويحـــى بنـــا أسرارها ويحقق
ويمحو بنا الالحاد والبغى والجفـا
لتشرق شمس الدين والشرق يشرق
الا فابغضوا من أكـد الله بغضـه
احبـوا بحب الله والحظ فارقـوا
الا فاحفظوا الأركان اركان ديننـا
صلاة صـياما ثم حج تصـدقوا
اديموا لذكـر الله فالذكـر نـوره
لأهـل الهدى والغى لاشك فارقوا
توادوا بروح الله فيـه تزاوروا
تحـابوا بحب الله فيـه توفقـوا
الا عظموا لشــعائر الله تعظمـوا
بها وتسودوا فى القيامة تسـبقوا
وانى عبد خاضع ارتجى الرضـا
وأرجو بفضل الله فى العقد انســق
بعقــد المعيــة آخـر الفتح بينت
أوصــاف أهليها بهـا اتحقق (١)
ظلوم لنفسى بـل جهول وغـافل
ولكننـــى فى الله بالعفــو واثـق

---

(١) يشير الى قول الله عز وجل (محمد رسول الله والذين معه .. الخ) .

الهى بفضـــل منـــك عفـــوا وتوبة
بها تمحو أو زارى وفضـــلا أوفق
الهـــى الهـــى مذنـــــــب ومقصر
غريب فقـــير فى الضـــلالة غـــارق
تفضـــل على ماضى الهـــى بنظرة
بأعين احســان بها الفضل يغدق(١)
توسلت بالمختـــار طـــه وحـــزبه
وانصــــاره من للهداية ســــــابقوا
بآيات فرقـــان ووصـــف حنـــانة
أفض منك بحـــر الجود لى يتدفق
وجـــد لى واخوانى وأهلى جميعهم
بمحض العطايا والهبـــات تســـابق
الهـــى على طـــه الحبيب محمـــد
أفض غيث احسان به القلب يشرق
وآل واصـــحاب كـــرام ائمـــــة
ومن تابعو المختار بالحـــال صدقوا

وصـــيته لأولاده وأهـــل بيتـــه

ثم دعا أولاده وآل بيته جميعا ووصاهم بوصية جامعة تعتبر مثلا فريدا فى وصايا الصالحين لذويهم ، ونظرا لما تمتلأ به من عظات وعبر ، فسنذكرها بأكملها وان كانت قد طبعت فى مؤخرة كتاب الاسلام نسب، ولكن ليس كل احد قد تيسر له الاطلاع على الكتاب ، وهذا ما دعانا الى تسجيلها هنا وهى :

« أى اخوتى وأبنـــائى وارحامى ، انى يسرنى سروركم ، ويحـــزننى

(١) يغدق ، يعم جميع الأركان والنواحى .

حزنكم . اجد فى نفس هذا الوجد بمجرد العلم بداعى كل نوع قبل شــهود مسببه ، فكيف بشهود ذلك ؟ ما ذلك الا لأن الروح السارية فى تلك الأجسام المختلفة متصلة وان تباعدت الأجسام ، والاتصال الروحانى لا يستلزم اتصال الأشباح مثال ذلك ما يراه الانســان فى نومه لأخيه ، فيحصــل ما يراه من الخيرات وغيرها ، وارتسام الصور فى المرآة من غير اتصــال جسم المرآة بجسم المصور ، فكأنى أنا وأنتم . وان تعددت الأجســام كنفس واحدة . يتألم أحدنا بألم الآخر ويفرح بفرحه . فأنا يا اخوانى يسرنى ويفــرحنى أن تكونوا مجملين بالعافية فائزين بنيل الخــير الحقيقى الذى به يدوم لى بكم الفرح والهناء فى الدنيا والآخرة .

وطريق هذا الخير الحقيقى محصور فيما أمر الله تعالى به ورســوله ﷺ . وقد قررت لكم ذلك فى كتاب « النور المبين » عند قولى : (بالاسلام نيل السعادتين) . فكونوا على ثقة يا أخوتى وأولادى وعشيرتى أن كــل لذة ينالها المرء بمعصــية الله هى عذاب اليم فى الدنيا والآخرة ، وكل حظ يناله الانسان بمعصية الله هو شقاء فى الدنيا والآخرة ، وليســت لذة تفنى وتوجب العذاب الأليم بلذة يتلذذ بها انســان عاقل ، وكيف يكون ذلك من انسان يعتقد أنه مسئولٌ أمام الله عن كل صــغيرة وكبيرة ؟ ثقوا يا اخوتى بمعونة الله ما دمتم محافظين على سنن رسول الله ﷺ ، وبوسعة أرزاقكم ، وبالعـــزة من الله لكــم وبالغنى عن شرار الخلق ، وبالتمكين فى الأرض بالحق ، ما دمتم تعملون بكتــاب الله ، وتجاهدون أنفســكم فى ذات الله . بل أبشروا برضــوان الله الأكبر ، وبالنعيم الأبدى فى الفردوس الأعلى ، لأنكم يا اخوتى باتباعكم للسنة وعملكم بالكتاب تكونون أشــبه بأصــحاب رسول الله ﷺ .

قال الله تعالى : « لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (١) .

---

(١) الآية (٢١) من سورة الاحزاب .

ومتى اشبهتم اصحاب رسول الله ﷺ كنتم مع اهل معية رســـول الله ﷺ ، ونحن فى القرن الرابع عشر من هجرته عليه الصلاة والسلام ، بــل ويجملكم الله تعالى بالصفات التى اشتاق اليها رســـول الله ﷺ ، بقوله فى الحديث الطويل برواية الامام مالك بن أنس رضى الله عنه «واشوقاه لاخوانى» يا أولادى : احفظوا الله يحفظكم ، احفظوا الله تجدوه أمامكم ، كونوا مــع الله تروا الله معكم .

يــا ابنائى : يقول الله تعالى : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء) (١) فابغضــوا المعاصى يا ابنائى لأن الله حرمها وتوعد عليهــا بالنار ، ولأن المعاصى فى ذاتها تنفر منها النفوس الكريمة ، ولأنها تهدم مجدا أســسه ائمة الهدى من آبائنــا العلماء العاملين ، ولأنها تذهب وجاهة الانسان ومنزلته العالية بين الناس، وتجعله محتقرا ذليلا ، ولأنها تســبب العداوة بين الناس والخصومات ، ولأنها تسبب الأمراض فى الأبدان ، وتوجب الخزى والنــدم فى الدنيــا ، والعقوبة يوم القيامة ، فاتركوا يا أولادى المعصية ، فان لذة تؤدى الى كل تلك البلايا جديرة أن تغروا منها ، ولو كان فى تركها آلام عاجلة .

يا أبنائى : صــلة الأرحام تطيل الأعمــار ، وترضى الرحمن ، وتكثر الأنصار وتجعل الرجل سيدا عظيما فى عشيرته ، وهى من صفات رسول الله ﷺ ، وصلة الرحم صلة للرحيم (١) ، هذا فضلا عما يشعر به المــرء المسلم من الشفقة والرحمة والعاطفة على أقاربه ، فلو لم تكن صلة الرحم شرعا وعقلا ، لكانت فطرة وسجية ، وقاطع الرحم ، كانه يقول : أنا لست

---

(١) من الآية (٢١) سورة الطور .

(٢) روى عن ابن عبــاس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال أن الله ليعمــر بالقوم الديار ويثمر لهم الأموال وما نظر اليهم منذ خلقهم بغضــا لهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال : بصلتهم ارحامهم . رواه الطبرانى.

انسانا ، ولكنى وحش ، لأن الانســـان ولو ابن زنـــا يعطف على ابناء امه واقاربها ويتعصب لها .

يا ابنائى : اكرموا جيرانكم يدم لكم الصـــفاء والهناء ، وتزد نعمكم . لان اكرام الجار يرضى الله تعالى . ويرضى رســـول الله ﷺ . ويجعل لك جارك خادما يطيعك ، يلبيك ان ناديته . ويسرك ان قابلته . فان انت لـــم تكرمه كان كالهم الملازم . والغريم المطـــالب . ولا غنى لك عنه . والعاقل لا يجعل له سبعا وحشا مفترســـا مطلقا من القيود قريبـــا من بابه . وان عجزت عن اكرامه وتآليفه . فتب الى الله واســـأله المعونه . وافرض ان جارك بعيـــد عنك . فلا تذكره الا بخـــير . وانس اســـاءته يهده الله او يريحك منه .

يا ابنائى : احترسوا من الناس بسوء الظن ، ولا تظهروا سوء الظن لعباد الله ، ولكن عليكم بمداراتهم ، فحسنوا نواياكم فى قلوبكم وصـــونوا اعراضكم فى بيوتكم ، واموالكم فى خزائنكم ، حتى اذا ظفرتم بواحد من اهل الأسرار فجربوه واختبروه ، ثم كاشفوه بقدر معلوم وانتم على حيطة منه . فاذا وجدتم رجلا أمينا يمكنه أن يحفظ مالكم ويعمل فيه لينتفع وتنتفعوا ، فأعطوه بقدر معلوم مع الحيطة منه .

أما الأعراض يـــا ابنـــائى ، فان الله تعالى حكم فيها فقال : (قـــل للمؤمنين) (١) و (قل للمؤمنات) «١» الآية . والعمل بكتاب الله به الفوز برضوان الله وبه السعادة فى الدنيا والآخرة ، والجاهل عدو نفسه . فكيف يكون صديقا لغيره ؟

أوصيكم يا ابنائى بأن يحب كل واحد منكم لأخيه مـــا يحبه لنفســـه . وخيركم من بدأ بأخيه فيما يحب . ثم بنفسه .

---

(١) أول الآيات ٣٠ ، ٣١ من سورة النور .

تعلموا يا ابنائى العلم تكن لكم الدنيـــا والآخرة ، فان كان آباؤكم من من ائمة الهدى حفظتم ذكرهم ، وابقيتم صـــورهم مرسومة على صـــفحات القلوب ، وان كانت اعيانهم فى القبور ، وحفظتم تراثهم ومجدهم ، وصرتم كالجوهرة النفيسة المستخرجة من كنوز انفس الجواهر ، ويعظمكم الناس لنسبكم ، ويجلونكم لعلمكم ، العلم يـ ابنائى حقيقة صعب المرتقى ، ولكنه كرسى من جلس عليه ساد فى الدنيا ، وكان فى مقعد صدق عند مليك مقتدر يوم القيامة .

قال الله تعالى : مثنيا على اصحاب رسول الله ﷺ وليست بينهم ارحام يتواصلون بها وانما هى اخوة الاسلام : (ويؤثرون على انفســـهم ولو كان بهم خصاصة) (١) .

فيجب عليكم يا ابنائى ان تتشـــبهوا بالكرام . قياما باخوة الاســـلام واخوة الأرحام .

يا ابنـــائى : اعطوا حب قلوبكم للأخ التقى الأمين الموالى ، واجعلوا مزيده بالدعاء الصالح ، والبشاشة فى وجهه ، والمســـارعة الى خـــيره ، واعطوا طلاقة الوجه وحلاوة اللفظ لمن تخشون شره ، او تخافون جهالته ، ليكفيكم الله شروره ، فســـعوا الناس كلهم باخـــلاقكم ، حتى يكونوا لكم السنة خير .

يـــا ابنائى : المؤمن عظيم معظم عند الناس ما لم يعمل معصية ، فان وقع فى معصية خفية اغضب الله عليه ، واعوذ بالله يا اولادى من غضـــب الله ومن اختفى من الناس ليعمل معصـــية كان من المنافقين ، لأن ذلك من اقبح صفات المنافقين .

قال الله تعالى : (يستخفون من الناس ولا يســـتخفون من الله وهو

---

(١) من الآية ٩ من سورة الحشر .

معهم) (١) ، ومن عمل معصية امام الناس ، اثار عليه لئام الناس ، فيذل بعد العز ، ويستوجب غضب الله وسخط الناس . فيا ابنائى : أعاذكم الله من المعصية ، اذا دعتكم النفس الخبيثة الى ما يغضب الله ، فضعوا قدر لذتكم فى كفة الميزان ، وغضب الله وسخط الناس والعذاب يوم القيامة فى الكفة الثانية ، ثم اختاروا لانفسكم .

انا على يقين من ان ابنى الذى آمن بيوم الحساب ، وصدق بالقرآن،واحب ان يشابه والده ، يغضب اذا خطرت المعصية على قلبه فضلا عن أن يهم بها ، اسأل الله ان يعيذنى وذريتى واهلى من الشيطان الرجيم ويجعلنى ممن قال سبحانه فيهم : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم) (١) وقال فيهم : (أنتم وأزواجكم تحبرون) «٢» اعتقدوا يا أبنائى أن ابناء الصالحين ، أو أولاد العلماء تكون الصغيرة منهم كبيرة ، والكبيرة منهم كفر ، لانهم محل نظر العامة ، فقد يقتدى بهم الجهلاء ، لاعتقادهم انهم ابناء الصالحين ، وينكر عليهم العلماء ، فيكونون بلاء على الجاهلين لاقتدائهم بهم فى معصية الله ، وبلاء على العلماء لاشتغالهم بالرد عليهم والانكار ، وذلك كله لانهم ابناء الصالحين ، ومن لم يشبه اباه فقد ظلم أمه ورماها بالزنا ، ووصم نفسه بأنه ابن زنا ، أعيذكم بالله يا ابنائى من الشيطان الرجيم ، واعيذ ذريتكم من الشيطان الرجيم .

احفظوا يا ابنائى ارحامكم ، وصلوهم وان قطعوكم ، واحسنوا اليهم وان اساءوا اليكم ، فان الصلة واجبة عليكم بحكم الله وبسنة رسول الله ﷺ ، لانها ارحامكم ، لا لانهم احسنوا اليكم ، فهم وان اساءوا لا تسقط حقوقهم عنكم (١) لانكم يا ابنائى لو انكم قطعتم أرحامكم بسبب اساءتهم

---

(٢) الآية ١٠٨ من سورة النساء .

(١) من الآية ٢١ من سورة الطور .

(٢) من الآية ٧٠ من سورة الزخرف .

(١) قال رسول الله (ص) — ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذى اذا قطعت رحمه وصلها — رواه البخارى .

اليكم تكونون قـد حكمتم بغير مـا أنزل الله (ومن لم يحكم بما انـزل الله فأولئك هم الظالمون) (٢) صلوا أرحامكم صـلة لله ورسوله ، فان الذى لا يصل من أرحامه الا من أحسن اليه ليس بواصل ، ولكنه مكافىء ، وانما الواصل لرحمه ، بل والتائم بما فرضه الله عليه من وصل ارحامه لله تعالى ولو قطعوه ، وأحسن اليهم وان أساءوا اليه ، غير ناظر الى عملهم ، فان نظر الى عملهم وحكم عليهم بما حكموا به عليه كان من الأخسرين أعمـالا يا ابنائى : ان النبى ﷺ رغبنا فى الاحسان الى من أساء الينا من الأباعد ، وفى صلة من قطعنا منهم ، وفى اكرام جارنا الغريب ولو أهاننا ، وجعـل ذلك من مقامات الاحسـان ، وجعل من فعل ذلك من أعبد الناس ، فكيف يكون الحال فى الجار القريب . يا أبنائى : كل من تشبه بقوم الحق بهم أو صار منهم أو معهم ، فاقرأوا يا أبنائى سير ائمة الهدى ، واذكروا طرائق المتقين ، وجاهدوا أنفسكم أن تتشبهوا بهم تمام التشبه .

يا أبنائى : اذا نزعت الرحمة من قلب مسلم لأقاربه ، هل تكون فى قلبه لأجنبى ؟ ان من نزع الله الرحمة من قلبه لشقى .

يا أبنائى : ان الرجل تكون له الزوجـة ، والزوجـة تبغض اقارب الرجل ، لأنهم يشاركونها فى نعمته ، وهم يبغضونها لأنها استقلت بنعمـة قريبهم ، وتصرفت فى ماله الا من حفظ الله ، والمرأة الصق بقلب الرجل فقد تخلو به ، وترميهم بالبهتان ، فيقوم الرجل بقطع أرحامه ، ويحارب أقاربه ، ويؤذى من أمره الله بالاحسان اليهم ، فتكون المراة فى مثـل هـذا أشر من الشيطان ، وأضر من النار ، واذا قدم الرجل لشـهوته البهيميـة ، المراة الأجنبية على ارحام له أمر الله بصلتهم فانه يكون كالبهيم ، بل اقل .

يا أبنائى : اتقوا الله فى جيرانكم ، غضوا أبصاركم عن عوراتهـم ، شاركوهم فيما انعم الله عليكم ، فانهم يبصرون ويسمعون ، واستديموا نعم

---

(٢) من الآية ٤٥ سورة المائدة .

الله عليكم بقليل تبذلونه لهم من نعمة الله عليكم يكون لكم مزيدا فى الدنيـا ورضوانا من الله فى الآخرة .

لا تجعل جارك يرى شيئا فى بيتك الا اشركته فيه ، واذا بلغ بك الحرص مبلغا جعلك تكره أن تشرك جارك فيما أنعم الله به عليك فأخف ذلك عنـه وعن ابنائه ، فان الجار كالقريب يطمع فى جاره ويرجـو منه ما لا يرجـوه من غيره ، حتى اذا شم جارك دخان قدرك فأعطه منه .

اعلموا يا ابنائى : ان نظـرة الى زوجة الجار أو بنته بشهوة عمدا لمن الكبائر التى توبق ، لأن له حقوق كحقوق الترابة ، وكشف ستر الله عن الجار من الموبقات ، فاتقوا الله فى جيرانكم ، فان لهم عليكم حقوقا ، التساهل فى حق منها موجب لغضب الله تعالى ، وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن نقـوم بحقوقهم ثم نتفضل عليهم .

ابنائى : اياكم أن يحب احدكم نفسه فيطمع فى قليل يفنى ، ويحـرم كثيرا يدوم ، فان احدكم اذا أحب نفسه ، فطمع فى الدنيا ونافس فيها اخوته، فقد فتح على نفسـه أبواب شر :

الأول : يبغض اقاربه الذين هم أولى الناس به ، ومتى كره اقـاربه قرب اهل الجهالة من شياطين الانس الذين يعينون على قطيعة الأرحـام واحبهم ، واستعملهم فى اسـاءة أقاربه ، فينفق ماله فى غضـب الله على شياطين الانس وفى اساءة اقاربه .

الثانى : يبغضه عقلاء الناس لأنهم بمعاداته لأقاربه يعتقدون فيـه الجهالة ، ومخالفة السنة ، ومعصية الله ، وييئسون منه لأنه يصير عندهم لا خير فيه .

الثالث : يفرق الجماعة ، فان كل واحد من اقاربه له شيعة يشايعونه، واحباب ينصرونه ، فاذا احب الرجل نفسـه ابتلى بعداوة تلك الشـيع

المختلفة ، فكثر همه ، وقلت راحته واشتغل عن الله واشتدت الخصومة عليه ، فبذل ما في يده من المال في خلاص نفسه واذية اقاربه ، فكان حبه لنفسه سببا في زوال النعمة ، وفقدان اللذة ، وحرمان الراحة .

فيا ابنائى : الاخ خير من مال كثير ، وايثار الاخ على المال سبب السعادة الكبرى والخير الحقيقى ، لانك اذا آثرت اخاك على نفسك بالمال أو بالرياسة او بالجاه صيرت اخاك لك كمملوك لك مطيع ، وصرت عزيزا عظيما ، كثير المال عظيم الجاه ، منشرح الصدر ، آمنا على نفسك .

يا ابنائى : الجاهل حقا من يبغض اخاه لاجل المال او الجاه ، واجهل منه من يسعى فى اذية اخيه لينال مالا او جاها ، ومن عمل ذلك اضاع الجاه والمال من نفسه ومن اخيه . وانت يا ولدى اذا كان لك اخ غنى او ذو جاه فانت الغنى ذو الجاه ، لأن مال اخيك مالك ، وجاه اخيك جاهك ، والواجب عليك أن تسارع فى زيادة ماله او تأييد جاهه ، لانك شريكه فى كل شىء ، الا اذا عاداك لشيطان الهوى والحظ .

اعوذ بالله من طمع يزيل الخير ، ومن حسد يوقع فى نار جهنم . وانى والله ليسرنى ان يكون جارى الغريب فى نعمة وسيادة ، فانى اكون فى نعمة وسيادة مادام جارى سيدا منعما عليه ، فكيف باخى او عمى او خالى او ابن اخى او احد اقاربى ؟

يا ابنائى : الله اعلم حيث يجعل نعمته ، كما انه اعلم حيث يجعل رسالته ، قال الله تعالى : (وان يردك بخير فلا راد لفضله . يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم) (١) .

فاذا انعم الله على واحد منكم بنعمة وسعة فى رزقه ، او سيادة فى قومه ، او حكمة او جمع لك تلك النعم ، فاعتقدوا ان ذلك فضل من الله

---

(١) الآية ١٠٧ سورة يونس

عليكم جميعا ، واجتهدوا جميعا أن تعظموا من أنعم الله عليه ، وأن تعضدوه، فان ذلك يكون تعظيما لله ومزيد فضل لكم جميعا .

وعلى من أنعم الله عليه أن يعتقد أنه انما أقامه الله مقام كل افراد العائلة ، ورزقهم جميعا فى ذاته ، فعليه أن يجعل نفسه كواحد من افراد العائلة يحب لصغيرهم ما يحبه لنفسه ، حتى يكون خادما لهم شكرا لله على نعمته عليه ، فيكون بذلك فى نعمة الله ، ويزيد من فضله العظيم ومزيد من حبه له سبحانه ، ومواجهاته الربانية ، وتكون النعمة عليه معراجا للقرب من حضرة القدس الأعلى ، ويكرم الله أولاده من بعده اكراما له ، قال الله تعالى : (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما وكان أبوهما صالحا فأراد ربك ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) (١) .

فانظر يا بنى كيف اكرم الله الأبناء اكراما لوالدهم ، فأرسل لهم رسولا من أولى العزم ، ونبيا أو وليا من كمل الأولياء ، يرفعان الجدار ، ليحفظ الكنز للولدين .

هذه نهاية الاكرام من الله للميت فى الأحياء ، فاحرص يا ولدى على أن تنال اكرام الله فى حياتك ، واكرام الله لأولادك بعد مماتك اكراما لك .

يا ولدى : ورث ابناءك أخلاقك المحمدية ، وعقيدتك الحقة ، ومعاملتك الجميلة ، وعبادتك لله الصحيحة ، التى تشكر بها ربك سبحانه . ورثهم الرحمة على الأرحام ، والرأفة بالايتام والاحسان الى الجيران . ورثهم حسن التوكل على الله ، والثقة بما فى يد الله ، وحسن الظن بالله ورثهم الاحسان الى من أساء اليهم ، والعفو عمن ظلمهم ، والصلة لمن قطعهم

يا ولدى : هذه وصيتى التى أسألك بحقوق أبوتى عليك أن تحافظ

---

(١) الآية ٨٢ سورة الكهف

عليها لتكون معى ان شاء الله تعالى يوم القيامة ، اذا تفضل الله تعـــالى علينا بمغفرته وعفوه فى دار النعيم .

يا بنى :

لا تغضب وان أغضبك غيرك ، فانك اذا غضبت جهلت من انت ، فاذا جهلت من أنت عملت أعمال الشياطين ، وفعلت افعال الخاسرين الهالكين واذا اغضبك غيرك ولم تغضب ، ودبرت بعقلك ورويتك ، جعلت النـــاس أنصارا لك على من اغضبك ، وكان الله تعالى معك ، لأنك تخلقت بخلق من اخلاقه ، لأنه سبحانه وتعالى حليم لا يعجـــل بالعقوبة على من عصـــاه ، وصبور وغفور وتواب وعفـــو ، ومن كان الله يا بنى معـــه فهل تعلم نفس ما يتفضل به عليه سبحانه من الخير الحقيقى ، وما يمنحـــه ســـبحانه من الفضل العظيم ؟

يا بنى :

مداراة الناس بالفكر والتدبير والضمير لا باليد واللســـان ، وما تـــرك من الحماقة شيئا من قال لعدوه : انى اكرهك ، أو أنت عدوى فانه يسلط على نفسه شيطانا كان فى حصون الحفظ منه ، لولا تلك الكلمة ، يقول الله تعالى : (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) (١) . ولا تحزن قلب زوجة لك ولا خادم ولا ولد ولا دابة الا فى مقام أدب على ذنب موجب ، وفى غـــير ذلك انصـــح نصيحة رحيم عطوف حكيم . والله تعالى يعيننى واياكم يا اقاربى واولادى ، على ما به ننال رضاه الأكبر ، من العقيدة والعبادة والعمل والحال والأخلاق، ويجعلنا من العاملين بالسنة والكتاب ، المجددين لمناهـــج رسول الله ﷺ ، وممن يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » وبعد هذه الوصايا احس الجميع

---

(١) الآية ٣٤ سورة فصلت

بقرب مفارقته رضى الله تعالى عنه لحياته الدنيا ،ففصت العيون بالدموع ، فنظر اليهم وقال لهم متمثلا قول الامام الغزالى رضى الله عنه :

قل لاخوان يرونى ميتا
ليس والله بالميت انا

انا عصفور وهذا قفصى
طرت منه الى دار الهنا

لا تظنوا الموت موتا انه
لحياة وهو غايات المنى

لا ترعكم هجمة الموت فما
هو الا نقلة من ها هنا

واخذ يسليهم بالعظات والملاحظات وكان آخر كلامه رضى الله عنه هذه القصيدة التى يقول فيها :

مولاى اسرع بى الى الوجه
انى فنيت عن الأولاد والأهل

وزج بى فى رياض القدس مشرقة
انوار وجهك بالغفران والوصل

انى فنيت عن الدنيا ولازمها
وعن بنى عن الأولاد والأهل

والدار دار غرور كلها الم
قد تبت فاغفر لى يا واسع الفضل

منى سلام على أهلى على ولدى
استودع الله من أبقيت بالفعل

مختار ريحانتى مهدية بنتى
ارجو له ولها من فضله الكلى

كذا من مرة مرضـــونى أرتجى لهـــم
خيرا عميما وحسنى واهب الطـــول

منـــى عليهـــم ســـلام الله اســـاله
أن يعطيهم خيرهم فى الفعل والقول

مولاى أنت ولى والوكيـــل فـــكن
عونا لهم يسرا يا ســـيدى سؤلى

كونوا مـــع الله فى أدواركـــم فعسى
أن تمنحوا فضله بالجـــول والطول

وشاءت ارادة الله تعالى أن يكون انتقاله رضى الله تعالى عنه الى جوار ربه فى ليلة الاسراء والمعراج ، وهى نفس الليلة التى ولد فيها ، وكان ذلك فى يوم السابع والعشرين من شهر رجب سنة ألف وثلاثمائة وست وخمسين من الهجرة النبوية الشريفة والموافق الثالث من اكتوبر سنة ألف وتسعمائة وسبع وثلاثين ميلادية ، عن عمر يناهز سبعين سنة ، قضاها كلها فى طاعة الله عز وجل ، وقد دفن رضى الله تعالى عنه ببيته بناء على الوصية الخاصة التى وصى بها فى ذلك ، وتحول هذا المكان ببركته الى مسجد كبير يشع منه النور والمعرفة والهدى الى جميع المسلمين . « من المؤمنين رجال صـــدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومابدلوا تبديلا» (١).

---

(١) الآية (٢٣) الأحزاب .

زوجـــاته وأولاده

وقد تزوج رضى الله عنه بالسيدة منتهى طلبة وانجب منهـا أولاده : السيد احمد ماضى أبو العزائم وقد توفى فى ٢٠ ربيع الأول ١٣٩٠ هجـرية الموافق ٢٦ مايو ١٩٧٠ ميلادية ودفن بالمقصورة بجوار والده .

والسيد محمد الحسن ماضى ابو العزائم وقد توفى عام ١٣٨٨ هجرية والسيد عبد الله ماضى ابو العزائم وقد توفى عام ١٣٧٩ هجرية والسـيدة فتحية ماضى أبو العزائم وقد توفيت عام ١٣٩٠ هجرية ولمـا توفيت السيدة منتهى زوجته الأولى تزوج بالسيدة لبيبة محمود سلامة العطيفى ، وكانت رحمها الله أحب أهل الامام اليه واقربهن من قلبه ، وقد توفيت أثناء ولادتها لابنها شفيع ، وبعد وفاتها تزوج بالسيدةعزيزة السماحى وأنجب منهـا ، السيد مختار ماضى ابو العزائم والسيدة مهدية ماضى ابو العزائم .

وقد رباهم جميعا على طاعة الله وحسـن عبادته ، وغرس فيهم حب الجهاد فى سبيله والعمل على اعلاء شأن دينه فوفوا جميعا بما عاهدوا الله عليه ، فرضى الله عنهم أجمعين واخلفهم فى أولادهـم بخير فى الغـابرين ، وسلام على آل ياسين والحمد لله رب العالمين .

خـــاتمـــــه

قد وفق الله وأعان على هذا العمل الذى لا يلائم جـــلالة قـــدر الامام ابى العزائم رضى الله تعالى عنه ، ولا يحيط بآثاره العلمية ، فضلا عن احواله الربانية ومشاهدة القدسية ، فهو كما قال رضى الله تعالى عنه :

انـــا طلســـم لا يـــدرنى الا انـــا
خـــاف واوصـــاف لذاتـــى باديـــة

ويصـــف حـــال قربه فيقول :

انا غارق فى بحـــر نـــور مطـــلق
لا بـــر يحصـــــرنى ولا مـــــلاح
من رام يعـــرفنى تجرد عن سوى
نص الشريعـــة ان اراد فـــلاح
النور محظور على اهل الهوى والحظ
بـــادر كـــى نعطيـــك الاقـــداح

وقد ادرك هذه الحقيقة الدكتور مصطفى محمود حينما قرا بعض آثاره العلمية وكتب عنه كتابه « السر الأعظم » وقال فيه عن الامام ابى العزائم « وهو فى نظرى كنز لم يكتشف بعد وقطب ينافس الفحول علما وسلوكا ، وشعره رموز عرفانية عالية يفهم منها كل واحد على قدر حظه ، وما قدمناه من علم الرجل ما هو الا نقطة فى بحر » .

وما كتبناه هنا على قـــدر ضعفنا وعجزنا لا على قـــدر مولانا الامام ابو العزائم رضى الله تعالى عنه ، ونلمح الى أن ما ذكرناه فى هذا الكتـــاب من حكايات غـــير المذكورة فى المراجع العلميـــة التى اثبتناها فانما تلقيناها ســـماعا ، اما من أهلها الذين حدثت معهم : كالشـــيخ عبد الحميد سرى (القاهرة) والشيخ عرفات الجمال والشيخ احمد الجمال والشـــيخ على عطية (برج البرلس — كفر الشيخ) والشيخ محمد ابو شريف والشـــيخ الجنيد (المنيـــا) .

— أو سمعناها ممن عاصروا الامام فى حياته وهم :

الشيخ قطب زيد (القن مركز سيدى سالم — محافظة كفر الشيخ) والشيخ محمد شحاتة والشيخ عبد القادر مسعود (كفر الشيخ) .

والشيخ محمد عامر (بنى سويف) .

والشيخ عبد السلام شتا (القاهرة) .

— أو ممن تربوا على مائدة الامام ابى العزائم منذ نعومة اظفارهم خاصة منهم :

السيد عز الدين ماضى ابو العزائم حفيد الامام .

والشيخ طاهر محمد مخاريطه لسان حال الامام وفضيلة العارف بالله تعالى الشيخ محمد على سلامة واليه يرجع الفضل فى معظم الحكايات التى اوردناها فى هذا الكتاب خاصة منها ما يتعلق بالسودان حيث انه قد زار الاخوان السودانيين وسمع من المعاصرين للامام منهم هذه الحكايت ونقلها الينا .

وفى الختام نقول كما قال العماد الأصفهانى « انى رأيت انه لا يكتب احدا كتابا فى يومه الا قال فى غده : لو غير هذا لكان احسن ، ولو زيد هذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان افضل ، ولو ترك هذا لكان اجمل ، وهذا من اعظم العبر وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر » .

ونقول ايضا كما قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه حينما راجع كتابه « الأم » سبعين مرة وفى كل مرة يكتشف فيه اخطاء جديدة فقال فى النهاية « ابى الله أن يجعل كتابا خاليا من الخطأ الا كتابه الكريم » فمن قرأ هذا الكتاب ووجد فيه عيبا او خطأ او خللا فليستغفر لكاتبه ويسأل الله عز وجل له العفو والغفران .

فان تجد عيبا فسد الخللا
فجل من ليس فيه عيب وخلا

وان وجد فيه توفيقا وفضـــلا فلينســـبه الى الله عز وجل وليردد قوله ســـبحانه « وما بكم من نعمة فمن الله » (١) . هذا وادعو الله عز وجل أن يوفق اخوانى الصالحين الذين قاموا بطباعة هذا الكتاب ونشره للمسلمين حسبة لوجه الله الكريم وأن يرزقهم الله عز وجل الســـكينة والرضا ويبلغهم مقامات الواصلين ومنـــازل العارفين ويجمعنا واياهم على ســـيد الأولين والآخرين فى معيته الدائمه فى الدنيا وتحت لواء شفاعته يوم الدين .

وقد كان الفضل فى كتابة صفحات هذا الكتاب للأخ الصادق الأستاذ / ســـعيد عبده وهيب رئيس قســـم الحاســـب الآلى بالتأمينات الاجتماعية بالسنطة ، فجزاه الله عنا خير الجزاء وبارك الله له فى زوجه وولده ، وهيأ له من أمره رشدا . وهذا أوان الفراغ من كتـــابة هذا الكتاب المبارك فى ليلة الجمعة الثالث عشر من شـــهر جمـــادى الآخـــرة ١٤١٢ هجرية الموافق ١٩ ديسمبر ١٩٩١ ميلادية .

« ذلك الفضل من الله والله شـــاكر عليم » والحمد لله اولا وآخـــرا ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(١) الآية (٥٣) النحل .

المراجـــــع

- القرآن الكريم .
- كتب الصحاح فى الأحاديث الشريفة .
- مؤلفات الامام أبى العزائم (المطبوعة) .
- مواجيد الامام أبى العزائم (مخطوطة) .
- الامام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين . الشيخ محمد على سلامة
- أيام الله .. .. الشـــيخ محمـــد على ســـلامة
- شرح الفتوحات فى الصلاة على خير البرية .. الشيخ محمد على سلامة
- الامام محمد ماضى أبو العزائم (حياته — جهاده — اثاره) للاستاذ / عبد المنعم شقرف — جمعية أولوا العزم الدينية بالقاهرة .
- أبو العزائم واثره فى التصوف الاسلامى — عبد المنعم شـــقرف (مكتبة الكليات الأزهرية) .
- احياء علوم الدين — للامام الغزالى — دار الشعب .
- معـــارج القدس فى مدارج معرفة النفس — الامام الغزالى — مكتبـــة الجندى .
- الفتوحات المكية — محى الدين بن عربى — طبعة دار صادر — بيروت .
- حلية الأولياء .. .. الأصفهانى .. طبعة السعادة ...
- السر الأعظم .. .. .. مصطفى محمود — طبعة دار المعارف .
- الفتوحات الالهية فى شرح المباحث الأصلية — لابن عجيبة — الحلبى .
- شرح الحكم العطائية .. .. لابن عجيبة — الحلبى .
- مكانة التصـــوف والصـــوفية فى الاســـلام — محمـــد عيد الشـــافعى (دار الناشر العربى) .
- الطرق الصوفية فى مصر — د. عامر النجار — دار المعارف .

- التصـــوف طريقا وتجربة ومذهبا — د. كمـــال جعفـــر — دار الكتب الجامعية .
- الطبقات الكبرى للامام الشعرانى — دار الفكر العربى .
- الأنوار القدســـية فى معرفة قواعـــد الصـــوفية — للامام الشـــعرانى (دار جوامع الكلم) .
- درة الأسرار — لابن الصباغ .. .. طبعة السعادة .
- المفاخر العلية فى المآثر الشاذلية — ابن عياد — الحلبى .
- سعادة الدارين فى الصلاة على سيد الكونيين — النبهانى .
- جامع كرامات الأولياء — النبهانى .. .. الحلبى .
- قوت القلوب — ابى طالب المكى — دار صادر — بيروت .
- الرســـالة القشـــيرية — تحقيق د. عبـــد الحليم محمود — دار الكتب الحديثـــة .
- الدعوة الى الاسلام — سير توماس أرنولد — النهضة المصرية .

● ● ●

* تم بحمد الله *

الملاحـــق

* ملحق رقم ١ : ورد ختـــم صـــلاة الصـــبح

* ملحق رقم ٢ : الصـــلوات الخاصـــة بالحضـــرة

(ملحق رقم ١)

ورد ختـــم صـــلاة الصـــبح للامـــام أبى العـــزائم

يستحب للمريد أن يحى آخر الليل بالاستغفار والتملق ومناجاة ربه ، حتى اذا وجب الفجر ، صلى الرغيبة وجلس فى مصلاه يذكر الله ، اما بكلامه سبحانه أو بما ينشرح له صدره ، واذا قال : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله من ثلاثة الى سبعين ، شرح الله صدره ويسر أمره . ثم يصلى الصبح فى جماعة ان استطاع . وبعد التســـليم يستغفر بســـيد الاستغفار ثلاث مرات وهو :

اللهم انت ربى لا الـــه الا أنت خلقتنى ، وأنا عبدك وأنا على عهـــدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى فاغفرلى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت .

اللهم أجرنا من النار (٧) برحمتك يا عزيز يا غفار .

اللهم انا نسألك الجنة (٣) بفضلك يا ذا الفضل العظيم .

اللهم انا نسألك الدرجات العلا (٣) باحسانك يا محسن يا الله ... بالمد الطويل ... يا الله . يا الله . يا الله ... بالمد التصير (٣) أنت ربى وانت حســـبى وانت وليى وانت وكيلى وانت على كـــل شىء قدير ، فنعم الرب ربى ونعم الحسب حسبى ونعم الولى ولى ونعم الوكيل وكيلى ترزق من تشاء وأنت القوى العزيز .

اللهم ارزقنا حبك الخالص لوجهك الكريم بلا شوب يشوبه .

اللهم ارزقنـــا قـــربا يمحق مـــا بيننا وبينك من البين حتى تقع العين على العين .

اللهم جمالا يعمنا واحسانا يشـــملنا وفضـــلا عظيما يدوم لنا يـــا رب العالمين بسر قولك سبحانك .

« الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم » .

فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون سبحان الله (٣٣) الحمد لله (٣٣) الله اكبر (٣٣) .

لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

لا اله الا الله محمد رسول الله ﷺ وقال ربكم ادعونى استجب لكم :

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك أنت الوهاب » (٣) .

اللهم انك عفو كريم تحب العفو فاعف عنا (٣) .

اللهم انا نسألك العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة يا رب العالمين (٣) .

اللهم يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك يا الله (٣) .

اللهم انا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من سخطك والنار (٣) .

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك يا الله (٣) .

لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير (١٠) .

اللهم انى أصبحت اشهدك واشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك أنت الله الذى لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وأن سيدنا ومولانا محمدا ﷺ عبدك ورسولك (٣) .

اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر (٣) .

اللهم انى اصـــبحت منك فى نعمة وعافية وستر ، فزدنى نعمة وعافية وسترا فى الدنيا والآخرة (٣) .

رضيت بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبسيدنا ومولانا محمد ﷺ نبيـــا ورســـولا (٣) .

اعوذ بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق (٣) .

بسم الله الذى لا يضر مع اســـمه شىء فى الأرض ولا فى الســـماء وهو السميع العليم (٣) .

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (٣) .

بسم الله الرحمن الرحيم (٤٥) .

اللهم صـــلى على سيدنا محمد وآله وسلم واعطنا الخير وادفع عنـــا الشر ونجنا واشفنا يا رب العالمين (٤٥) .

حســـبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصـــير ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (٤٥) .

يا حفيظ يا سلام يا واقى يا كافى يا شافى يا الله (٤٥) .

آمن الرســـول بما انزل اليه من ربـــه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنـــا لا تؤاخذنا ان نســـينا او اخطأنا (٣) ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا (٣) ربنا ولا تحملنا مـــا لا طاقة لنـــا به (٣) واعف عنا واغفر لنا وارحمنا (٣) انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين .

فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم (٣) .

ربنـــا اغفر لنـــا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين (٣) .

انى وجهت وجهى للذى فطــر الســموات والأرض حنيفا وما انا من المشركين (٣) .

على الله توكلنا (٣) .

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين (٣) .

ان ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين (٣) .

ربنــا لا تجعلنـــا فتنة للقوم الظــالمين ونجنـــا برحمتك من القـــوم الكافرين (٣) .

انى توكلت على الله ربى وربكم (٣) .

فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين (٣) .

رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين (٣) .

رب نجنى وأهلى مما يعملون (٣) .

رب نجنى من القوم الظالمين (٣) .

ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير (٣) .

ربنـــا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنـــا ربنـــا انك أنت العزيز الحكيم (٣) .

اللهم يـــا قوى يـــا عزيز يا منتقم يـــا قهـــار أهلك أعداءنا المنافقين والكفـــار (٣) .

يا ملك يا قدوس يا حى يا قيوم يا باســـط يا ودود يا واسع يا سريع يا الله (٣) .

ربنا اننا نخاف أن يفرط علينـــا أو أن يطغى (٣) قال لا تخافا اننى معكما اسمع وارى (٣) .

اللهم كما أمنتهما فآمنا وكما كنت معهما فكن معنا يا رب العالمين (٣)

وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد (٣) .

فوقه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب (٣) .

اللهم كما وقيته السيئات فقنا السيئات وكما أهلكت أعداءه فأهلك اعداءنا يا رب العالمين (٣) .

لإيلاف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف (٣).

لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (٣) .

اللهم كما أطعمتهم من جوع فأطعمنا وكما آمنتهم من خوف فآمنا يا رب العالمين (٣) .

لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين (٣) .

فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين (٣) .

اللهم كما استجبت له فاستجب لنا وكما نجيته من الغم فنجنا يا رب العالمين (٣) وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

اللهم انك أمرتنا بأن ندعو لمن اسديت لنا نعمة على يديه فنسألك أن تجازى أستاذنا أبا العزائم عنا خير الجزاء بمغفره ورضوان وخير فى الدنيا والآخرة وتمنحنا واخواننا اين كانوا وكيف كانوا العمل بالسنة والتوفيق والحفظ من معاصيك سبحانك ومن الشر والأشرار ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيخ الدجال واسبغ علينا نعمك ظاهرة وباطنة يا مجيب الدعاء .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ثم يغمض عينيه مراقبا ليقتبس انوار هذا الدعاء بروحه من عالم الملكوت الأعلى .

ثم يقرأ الصلوات ولو فى شغله منفردا أو مع الجماعة اذا اتسع له الوقت ، وان وجد مع الاخوان أخ ممنوح مأذون له فى البيان اسمعهم ما يرد عليه من الحق وانصرفوا لأعمالهم ، وقد تم الورد .

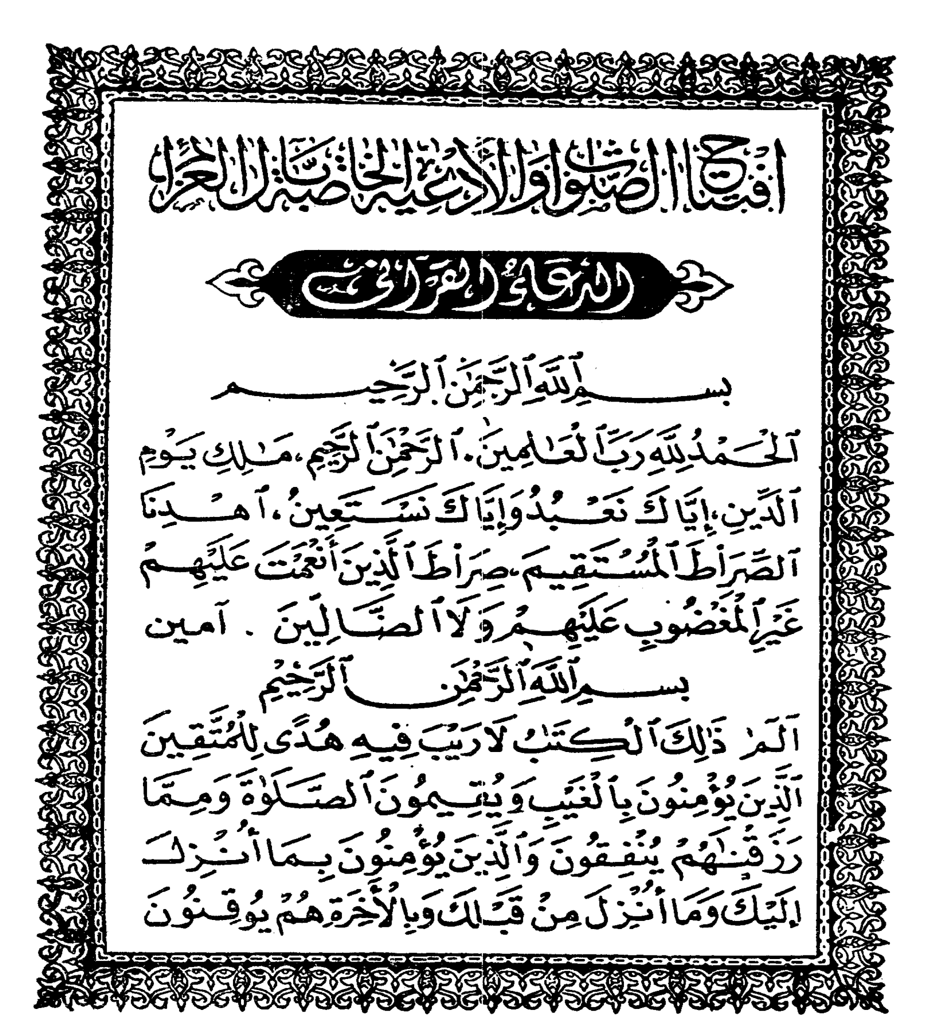
فاذا طلعت الشمس وحلت النافلة قام فصلى ركعتين أو ثمان ان تيسر .

(ملحق رقم ٢)

الصلوات الخاصة بالحضرة للامام أبى العزائم (١)



(١) هذه الصلوات شرحها الشيخ محمد على سلامة فى كتابه « شرح الفتوحات الربانية للامام أبى العزائم » .



افتتاح الصلوات والأدعية الخاصة بزيارات العراق

الدعاء القرآني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . ملك يوم الدين . إياك نعبد وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين . آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الم . ذلك الكتب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقنهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون

أُولَـٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٣) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا (٣) رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ

مِن قَبْلِنَا (٣) رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ (٣)
وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا (٣) أَنتَ مَوْلَانَا
فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ .

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن
لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٣) رَبَّنَا اغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٣)

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (٥)
فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ
وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ
قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ (٣) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ
وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ∴ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا
يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا (٣) رَبَّنَا فَاغْفِرْ
لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (٣)
رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ (٣)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ
الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ، هُوَ
الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ
ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ، وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ
سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ .

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ

ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم
فإن تولوا فقل: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم (٣)

رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واحلل عقدة
من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيرا من أهلي (٣)
رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين، واجعل لي
لسان صدق في الآخرين، واجعلني من ورثة جنة النعيم
واغفر لأبي (٣)
رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا
وللمؤمنين والمؤمنات (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد (٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الفلق، من شر ما خلق، ومن شر غاسق

إِذَا وَقَبَ ، وَمِن شَرِّ النَّفَّٰثَٰتِ فِي الْعُقَدِ ، وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ، مَلِكِ النَّاسِ ، إِلَٰهِ النَّاسِ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ، الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ، مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ...

الفتح الأول من الصلوات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ . لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

اللَّهُمَّ أَوْصِلْ صِلَةَ الصَّلَاةِ عَلَى قَبْضَةِ أَنْوَارِكَ الذَّاتِيَّةِ ، وَمَجْلَى أَسْرَارِكَ الْكَنْزِيَّةِ ، وَسِرِّ تَجَلِّي الْعَوَالِمِ

الصِّفَاتِيَّةِ، وَمَصْدَرِ حَقَائِقِ الْمَظَاهِرِ الْأَسْمَائِيَّةِ، الْجَامِعِ بَيْنَ أَوَّلِيَّةِ الْحَقِّيَّةِ فِي مَقَامِ الْأَحَدِيَّةِ، وَبَيْنَ الْآخِرِيَّةِ فِي مَقَامِ الْوَاحِدِيَّةِ، وَبَيْنَهُمَا فِي مَقَامِ الْوَحْدَانِيَّةِ.

اللَّهُمَّ أَسْبِغْ هَاطِلَ صَلَوَاتِكَ عَلَى عَيْنِ الْحَقِّ الْكَامِلِ فِي مَظْهَرِ الْخَلْقِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَفْرَفِ الْعَظَمَةِ السُّبُوحِيَّةِ وَحُجُبِ الْكَمَالَاتِ الْمُطَلْسَمَةِ الْقُدُسِيَّةِ الْمُنْبَعِثِ مِنْ شَمْسِ صِفَاتِهَا نُورُ الْعَوَالِمِ الْمَلَكِيَّةِ، وَمِنْ بَدْرِ صُوَرِ جَمَالِهَا آيَاتُ الْهِدَايَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى بَرْزَخِ الْهُوِيَّةِ وَرَمْزِ الْأُلُوهِيَّةِ الظَّاهِرِ بِهِ عَنْهُ فِي مَقَامِ كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَالْبَاطِنِ فِي مَقَامِ تَجَلِّي الْحَقَائِقِ الْأَسْمَائِيَّةِ فِي مَقَامِ وَهُوَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى أَلِفِ الْبِدَايَةِ الْمُشِيرَةِ إِلَى

وحدة الكثرة واستقامة القيومية المتنوعة في مظاهر الجمال المدهش والجلال المحير المتجلي عن حقائق القدس .

اللهم صل وسلم على من عجز الكل عن إدراك ظل صورته المحمدية، وأذقنا حلاوة الفناء في مبادي معاني أنواره الربانية حتى نثبت في دائرة أتباعه، وننتظم في عقد معيته، انتظاماً يشهدنا جماله في كل منقول، وكماله في كل معقول حتى لا نشهد إلا هو دالاً بك عليك قائماً لك بين يديك فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين .. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الفتح الثاني من الصلوات

اللهم أفض من مجالي ذاتك القدسية بحار الصلاة الكمالية، على عين الحقيقة المحمدية، المتجلية عن كمال الذات في جمالات واحديتك، وتسليمات المعاني الأكملية

عَلى مَظْهَرِ الحَقَائِقِ الإحْسَانِيَّةِ، وَمَصْدَرِ الصُّوَرِ الإلَهِيَّةِ وَزَيْتِ الزُّجَاجَةِ المِثَالِيَّةِ النُّورَانِيَّةِ، المُنَزَّهَةِ فِي حَيْطَتِهَا عَنِ الشَّرْقِيَّةِ وَالغَرْبِيَّةِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ مِنْكَ صَلاةً لاَ يَعْلَمُ قَدْرَهَا إِلاَّ أَنْتَ، عَلى نُورِ كَنْزِ العَمَاءِ الأَزَلِيِّ، وَلَوْنِ التَّجَلِّي الأَوَّلِيِّ، مَنْ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَهُ الحَقِّيَّ وَلاَ يُحِيطُ بِكُنْهِ مَقَامِهِ الخَلْقِيِّ إِلاَّ أَنْتَ وَسَلِّمْ بِكَ عَلى مَنْ بِهِ عُرِفَ الحَقُّ وَاهْتَدَى إِلَيْهِ الخَلْقُ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ بِاسْمِكَ الجَامِعِ الأَعْظَمِ، وَوَصْفِكَ الكَامِلِ الأَكْرَمِ، وَنُورِكَ السَّاطِعِ الأَفْخَمِ، عَلى جَوْهَرَةِ كَنْزِكَ اليَتِيمَةِ الَّتِي نُظِمَ لأَجْلِهَا عِقْدُ مَظَاهِرِكَ الجَمَالِيَّةِ، وَشَمْسِ التَّجَلِّيَاتِ الَّتِي اسْتَضَاءَ بِهَا بُدُورُ الأَمَانَاتِ الشَّرْعِيَّةِ، وَسَطَعَتْ عَنْهَا جَمِيعُ الأَنْوَارِ المُلْكِيَّةِ وَالمَلَكُوتِيَّةِ، وَسَلِّمْ عَلَيْهِ سَلاَمًا صَادِرًا عَنْ حَضَرَاتِ أَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ الكَمَالِيَّةِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلى رُوحِ هَيَاكِلِ العَوَالِمِ المُلْكِيَّةِ

وَأَصْلِ كُلِّ الْعَوَالِمِ الْعُلْوِيَّةِ ، الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْخَلْقِ ، وَالْحِصْنِ الْحَصِينِ لِكُلِّ مَوْجُودٍ وَالرَّحْمَةِ الْعُظْمَى لِجَمِيعِ الْعَالَمِ .

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَمَتِّعْنَا بِاتِّبَاعِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ وَاحْمِنَا بِحِمَايَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ ، وَاجْعَلْنَا مِنْ أَهْلِ شَفَاعَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ وَأَحْيِنَا بِمَحَبَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ وَأَوْصِلْنَا إِلَيْهِ عَلَى بُرَاقِ سُنَّتِهِ وَنَجَائِبِ مَحَبَّتِهِ ، وَابْعَثْنَا مَحْفُوفِينَ بِأَنْوَارِهِ مَلْحُوظِينَ بِعَيْنِ رَأْفَتِهِ وَحَنَانَتِهِ ، فَائِزِينَ بِجِوَارِهِ فِي مَقَامٍ يَغْبِطُنَا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ وَالْمُقَرَّبُونَ ، إِنَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ وَالْفَضْلِ مُجِيبُ الدُّعَاءِ ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَجْوَدِ الْأَجْوَدِينَ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْكِرَامِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ عَلَى الدَّوَامِ آمِينَ .

الفتح الثالث من الصلوات

اللهم صلِّ وسلِّم على العقل الأول الذي أضاء بنور أوليته عوالم الأرواح النورانية، والكون الذاتي الذي تزينت بمحاسن صفاته جميع الآثار الكونية، والمظهر الحقي الذي أفاض على العوالم كلها أسرار التجليات الرحمانية المتحقق في المظهرين الحقي والخلقي في الآخرية.

اللهم صلِّ وسلِّم على مصدر التجليات الواحدية ومفيض غيث التفضلات الجمالية.

اللهم صلِّ وسلِّم على الصورة الحقية التي انتسخت منها أم كتاب الحضرات الكمالية.

اللهم صلِّ وسلِّم على حيطة هوية الوحدانية، الذي أعجز الكل في فهم ما ظهر من صفاته الآدمية.

اللهم صلِّ وسلِّم على شمس الأنوار الساطعة عنك

دَلالَةً عَلَيْكَ، وَأُفُقِ الأَسْرارِ لِنُواصِلَ بِكَ إِلَيْكَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سِرِّكَ السَّارِي فِي هَيَاكِلِ الْمَوْجُودَاتِ وَرَسُولِكَ الْمُؤَيَّدِ مِنْكَ بِالآيَاتِ.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مَعَانِي أَسْمَائِكَ وَصِفَاتِكَ صَلاةً نَشْرَبُ مِنْ حَانِ مَعَانِيهَا شَرَابَ مَحَبَّتِهِ وَنَتَتَوَّجُ مِنْ تَحَقُّقِهَا بِتَاجِ مَعْرِفَتِهِ، حَتَّى نَتَحَلَّى بِاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، وَنَتَمَلَّى بِمُشَاهَدَةِ حَضْرَتِهِ.

وَسَلامًا عَلَيْهِ تَطْمَئِنُّ بِهِ قُلُوبُنَا وَتَنْشَرِحُ لَهُ صُدُورُنَا وَتُشْرِقُ بِهِ شُمُوسُ حَقِيقَتِنَا، وَتُجْلَى عَلَيْنَا مَعَانِي وَحْدَتِنَا لِلْفَنَاءِ بِهِ فِيهِ يَا أَللهُ.. يَا أَللهُ.. يَا أَللهُ.

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

الفتح الرابع من الصلوات

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مَدِينَةِ الْمَجَالِي الذَّاتِيَّةِ، وَحَوْضِ

التجليات الصفاتية، وكوثر الفيوضات الأسمائية، الذى سطعت من شمس حقيقته جميع الأنوار الملكية والملكوتية.

اللهم صل وسلم على الجامع لحقيقات العوالم العلوية والمفيض لجميع إمداداتها الروحانية.

اللهم صل وسلم على محيط الجمال والكمال، المنفرع من بحار معارفه أنهار الهدايات الربانية.

اللهم صل وسلم على بيت الله المعمور بالله ونور الله الدال على الله.

اللهم صل وسلم على المظهر الأكمل الذى أشرقت منه بدور الشرائع الأولية فأضاءت فى أفقه به حتى بزغت شمس ذاته المحمدية خاتمة لبدورها الأولية فانمحت تلك البدور من شدة تلك الأنوار القدسية.

اللهم صل وسلم على الأصل الذى تفرعت منه جميع الأصول.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ صَلَاةً تُدْخِلُنَا بِهَا مَدِينَةَ مَعْرِفَتِهِ
وَتَسْقِينَا بِهَا مِنْ رَحِيقِ حَوْضِهِ، وَتُطَهِّرُ بِهَا ظَاهِرَنَا
وَبَاطِنَنَا حَتَّى يُنَاوِلَنَا بِيَمِينِهِ الشَّرِيفَةِ رَاحَ الْإِحْسَانِ
مِنْ كَوْثَرِهِ، وَتَجْعَلُنَا بِهَا نُجُومًا فِي أُفُقِهِ وَكَوَاكِبَ فِي
مَنَازِلِهِ، حَتَّى نَكُونَ مُشْرِقِينَ بِأَنْوَارِ فَضْلِهِ مُضِيئِينَ
بِضِيَاءِ اتِّبَاعِهِ، ظَاهِرِينَ بِإِحْيَاءِ سُنَّتِهِ مُؤَيَّدِينَ
بِأَسْرَارِ مَعِيَّتِهِ، مَنْصُورِينَ بِنَصْرِهِ، نَاصِرِينَ الْحَقَّ
بِالْحَقِّ حَتَّى نَرْقَى إِلَى حَضْرَةِ جَمَالِهِ عَلَى بُرَاقِ أَفْضَالِهِ
وَنَنْتَظِمَ فِي عِقْدِ الْمَحْبُوبِينَ لِجَنَابِهِ الْمَطْلُوبِينَ لِرِحَابِهِ
بَعْدَ التَّحَقُّقِ بِرَفِيعِ جَلَالِهِ وَعَظِيمِ كَمَالِهِ، وَالْوُقُوفِ
بِالْأَدَبِ عِنْدَ الْعَجْزِ عَنْ إِدْرَاكِ حَقِيقَتِهِ الْمُحَمَّدِيَّةِ
وَأَسْرَارِهِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَأَفِضْ عَلَيْنَا يَا أَللَّهُ. يَا أَللَّهُ. يَا أَللَّهُ
غَيْثَ فَضْلِهِ الْمِدْرَارِ، وَهَاطِلَ جُودِهِ مِنَ النِّعَمِ
الظَّاهِرَةِ وَالْأَسْرَارِ، حَتَّى نَتَمَتَّعَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا بِعَطَايَاهُ

الإلهية، وأياديه الربانية، ومشايخنا وأهلنا وإخواننا وجميع المسلمين يا ألله. يا ألله. يا ألله

لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين

فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حزب الحصن الحصين

بسم الله الرحمن الرحيم

فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم.

يا جبار. يا قهار. يا منتقم. يا شديد البطش يا حي. يا قيوم. يا علي. يا عظيم.

ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى، قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى.

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا
وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ .
إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ
اللَّهُ أَكْبَرُ ⑤ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ⑤
يَا سَلَامُ . يَا حَافِظُ . يَا قَرِيبُ . يَا مُجِيبُ . يَا رَءُوفُ . يَا حَفِيظُ
احْفَظْنَا مِنْ أَهْلِ الشَّرِّ كُلِّهِمْ ، وَمِنْ شَرِّهِمْ وَأَرْبِطْ عَلَى
قُلُوبِهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأَسْمَاعِهِمْ وَاجْعَلْهُمْ خَاضِعِينَ لَنَا
يَا عَزِيزُ ③ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ .
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

أنشودة التوجه الروحاني

إِلَهِي بِجَلِيِّ الذَّاتِ سِرِّ الْحَقِيقَةِ	وَغَيْبِ التَّجَلِّي مِنْ كُنُوزِ الْهُوِيَّةِ
وَبِالنُّورِ نُورِ الْقُدْسِ فِي غَيْبِ طِلَسْمٍ	وَبِالسِّرِّ سِرِّ الْعِلْمِ مَعْنَى الْإِرَادَةِ

وَبِالْكِبْرِ إِجْمَالًا وَبِالْوَصْفِ عِنْدَمَا … تَجَلَّى بِأَسْمَاءِ الْكَمَالِ الْعَلِيَّةِ

وَبِالْفَضْلِ وَالْحُسْنَى وَعَفْوِكَ وَالرِّضَا … وَآيَاتِكَ الْعُلْيَا بِأَنْبَاءِ حِكْمَةِ

وَبِالْآيِ آيَاتِ الْكِتَابِ الَّتِي سَمَتْ … بِهَا ظَهَرَتْ أَنْوَارُ كُلِّ هِدَايَةِ

بِقُرْآنِ ذَاتٍ قُدِّسَتْ وَتَنَزَّهَتْ … وَفُرْقَانِ حَقِّ الْعَيْنِ بَحْرِ الْحَنَانَةِ

بِسِرٍّ بَدَا فِي ظَاهِرٍ بِنَزَاهَةٍ … وَغَيْبٍ خَفِي مِنْ حَضْرَةِ الْوَاحِدِيَّةِ

بِسُبُحَاتِ ذَاتٍ قُدِّسَتْ وَتَعَظَّمَتْ … وَوَصْفِ كَمَالٍ فِي كُنُوزٍ خَفِيَّةِ

وَنُورٍ سَرَى لَاحَتْ بِهِ الشَّمْسُ جَهْرَةً … وَسِرٍّ خَفِيٍّ عَنْ كُلِّ عَيْنٍ عَمِيَّةِ

إِلَهِي إِلَهِي بِالتَّجَلِّي وَسِرِّهِ … وَزِينَتِكَ الْعُلْيَا وَسِرِّ النَّزَاهَةِ

إِلَهِي إِلَهِي بِالْحَنَانَةِ وَالصَّفَا … وَبِالْآيَةِ الْكُبْرَى وَشَمْسِ الْحَقِيقَةِ

تَوَجَّهْتُ يَا ذَا الْفَضْلِ وَالْجُودِ وَالْعَطَا … وَفَضْلُكَ مَأْمُولِي فَجُدْ لِي بِنَظْرَةِ

رَفَعْتُ أَكُفِّي يَا إِلَهِي وَإِنَّنِي … عُبَيْدٌ ذَلِيلٌ جِئْتُ أَرْجُوكَ نُصْرَتِي

إِلَهِي فَفَرِّجْنِي بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ … وَزِدْنِي يَقِينًا وَامْحُ عَنِّي غَوَايَتِي

إِلَهِي فَصَافِنِي وَصَفِّ سَرِيرَتِي … مِنَ الْغَيْرِ وَامْنَحْنِي كَمَالَ الْوِرَاثَةِ

إِلَهِي أَفِضْ لِي بَحْرَ حُسْنِكَ وَاهْدِنِي … إِلَيْكَ وَقَرِّبْنِي بِمَحْضِ الْحَنَانَةِ

إِلَهِي وَأَيِّدْنِي بِشَرْعِكَ ظَاهِرًا   لِأَشْهَدَ نُورَ الْوَجْهِ فِي كُلِّ وِجْهَةِ

إِلَهِي بِكَ اشْغَلْنِي عَنِ الْغَيْرِ أَفْنِنِي   إِلَهِي وَحَصِّنِّي بِحِصْنِ الشَّرِيعَةِ

إِلَهِي وَأَسْعِدْنِي بِحُبِّكَ وَالرِّضَا   إِلَهِي وَأَشْهِدْنِي جَمَالَ الْحَظِيرَةِ

وَفِي بَحْرِ حُسْنِكَ يَا إِلَهِي فَزُجَّ بِي   لِأَشْهَدَ هَذَا الْوَجْهَ فِي كُلِّ حَضْرَةِ

وَلَا تَشْغَلَنْ قَلْبِي بِغَيْرِكَ سَيِّدِي   وَلِي فَأَفِضْ بَحْرَ الْعُلُومِ الْحَقِيقَةِ

إِلَهِي وَنَوِّرْ ظَاهِرِي بَلْ وَبَاطِنِي   إِلَهِي وَجَمِّلْنِي بِحُلَلِ الْمَحَبَّةِ

إِلَهِي وَأَغْنِ الْعَبْدَ بِالْفَضْلِ وَالرِّضَا   إِلَهِي وَمَتِّعْ نَاظِرِي بِالشَّهَادَةِ

إِلَهِي وَنَاوِلْنِي شَرَابًا مُقَدَّسًا   بِهِ أَكُ مَلْحُوظًا بِعَيْنِ الْعِنَايَةِ

وَعَيْنِيَ فَاحْفَظْ بَلْ وَكُلَّ جَوَارِحِي   وَقَلْبِي فَطَهِّرْهُ بِنُورِ النُّبُوَّةِ

إِلَهِي مِنَ الْأَمْرَاضِ وَالْفَقْرِ فَاحْمِنِي   وَمِنْ شَرِّ أَهْلِ الشَّرِّ فَاحْفَظْ طَرِيقَتِي

إِلَهِي عَلَى نُورِ الْحَظِيرَةِ دُلَّنِي   وَمِنْ بَابِكَ الْمَأْمُونِ فَاجْعَلْ هِدَايَتِي

إِلَهِي وَجَرِّدْنِي مِنَ الْحَظِّ وَالْهَوَى   إِلَهِي وَوَفِّقْنِي لِإِخْلَاصِ تَوْبَتِي

إِلَهِي أَزِلْ ظُلْمِي وَجَهْلِي وَغَفْلَتِي   وَيَسِّرْ بِفَضْلِكَ وَالْمَحَاسِنِ أَوْبَتِي

إِلَهِي أَذِقْنِي لَذَّةَ الْأُنْسِ وَالصَّفَا   إِلَهِي وَنَعِّمْنِي بِحَقِّ الْمَعِيَّةِ

إِلَهِي تَوَلَّنِي وَبِالْفَضْلِ وَالْمِنَنْ ... إِلَهِي وَجَمِّلْ بِالْحَنَانَةِ حَالَتِي

وَسِرْبِي عَلَى نَهْجِ الشَّرِيعَةِ سَالِكًا ... مَسَالِكَ أَهْلِ الْقُرْبِ بَلْ وَالصَّدَاقَةِ

وَبِالشَّرْعِ فَاحْفَظْنِي مِنَ الْمَيْلِ وَاسْقِنِي ... شَرَابًا طَهُورًا مِنْ بِحَارِ الْوِرَاثَةِ

إِلَهِي وَعَلِّمْنِي عُلُومًا تَقَدَّسَتْ ... بِفَضْلِكَ تُولِيهَا لِأَهْلِ الْمَحَبَّةِ

إِلَهِي لِيَ افْتَحْ كَنْزَ فَضْلٍ وَرَحْمَةٍ ... لِأَدْخُلَ فِي رَوْضِ الصَّفَا وَالْبِشَارَةِ

إِلَهِي وَعَامِلْنِي بِإِحْسَانِ مُحْسِنٍ ... إِلَهِي بِكَ ارْفَعْنِي لِأَعْلَى مَكَانَةِ

بِقَبْضَةِ نُورِ الذَّاتِ بَابُ وُصُولِنَا ... وَغَيْبُ التَّجَلِّي مِنْ كُنُوزِ الْحَظِيرَةِ

وَشَمْسٌ أَضَاءَتْ بِالْجَمَالِ وَأَشْرَقَتْ ... وَعَيْنٌ كَمَالَاتِ الْمَجَالِي الْعَلِيَّةِ

إِلَهِي بِهِ قَدْ جِئْتُ أَرْجُوكَ ضَارِعًا ... بِهِ رَبِّ مَتِّعْنِي بِرِضْوَانِ جَنَّةِ

وَجُدْ لِي وَإِخْوَانِي وَأَهْلِي بِنَظْرَةٍ ... وَأَدْخِلْنَا يَا أَللَّهُ دَارَ الْكَرَامَةِ

وَوَسِّعْ لَنَا أَرْزَاقَنَا وَاهْدِنَا إِلَى ... حَظِيرَتِكَ الْعُلْيَا وَنُورِ الْجَلَالَةِ

إِلَهِي عَلَى الْمُخْتَارِ صَلِّ مُسَلِّمًا ③ عَلَيْهِ وَآلٍ بَلْ وَكُلِّ الصَّحَابَةِ

آمِينْ

اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا بِأَنْ نَدْعُوَ لِمَنْ أَسْدَيْتَ لَنَا نِعْمَةً

عَلَى يَدَيْهِ فَنَسْأَلُكَ أَنْ تُجَازِيَ أُسْتَاذَنَا أَبَا الْعَزَائِمِ عَنَّا خَيْرَ الْجَزَاءِ بِمَغْفِرَةٍ وَرِضْوَانٍ وَخَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ ، وَتَمْنَحَنَا وَإِخْوَانَنَا أَيْنَ كَانُوا وَكَيْفَ كَانُوا الْعَمَلَ بِالسُّنَّةِ وَالتَّوْفِيقَ وَالْحِفْظَ مِنْ مَعَاصِيكَ سُبْحَانَكَ وَمِنَ الشَّرِّ وَالْأَشْرَارِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ ، وَأَسْبِغْ عَلَيْنَا نِعَمَكَ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً يَا مُجِيبَ الدُّعَاءِ . وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ . وَرَضِيَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ أَجْمَعِينَ . سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

الْفَاتِحَة

فهرس

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة	٥
الفصل الأول : نسبه واسرته	
نسبه	٩
اسرته وكنيته	١٠
جده الأعلى أبو العزائم ماضى بن سلطان	١١
الفصل الثانى : مولده ونشاته ــ دراسته	
مولده	٢١
نشأته	٢٢
ميوله الصوفية	٢٣
دراسته فى القاهرة	٢٥
فى الأزهر الشريف	٢٥
فى دار العلوم	٢٦
الفصل الثالث : الدعوة الى الله	
فى المنيا	٢٩
بدء دعوته	٢٩
قصة الشيخ الصبيحى	٣١
الفصل الرابع : جهاده فى السودان	
فى سواكن	٣٥
التبشير بالاسلام	٣٦
فى وادى حلفا	٣٧
العودة الى سواكن	٣٨

الموضوع	رقم الصفحة
الفصل الخامس : الجهاد المقدس	
تمهيد	٤١
جهاده الانجليز فى السودان	٤٢
أثره فى أهل السودان	٤٤
جهاده للانجليز فى مصر	٤٦
جهاده الاسلامى	٤٩
أمراض المجتمع الاسلامى وعلاجها	٥٢
وسائل تحقيق المجد الاسلامى	٥٤
الفصل السادس : الشيخ المربى	
تمهيد	٥٩
التأديب بآداب الشريعة	٥٩
الزهد والورع	٦٣
البصيرة النافذة	٦٧
الرحمة بالخلق	٧٣
الفصل السابع : الجهاد الاكبر	
تمهيد	٧٩
أولا : العلم	٨٠
ثانيا : العمل بالعلم	٨١
تصحيح الوجهة	٨٣
ثالثا : تزكية النفس	٨٦
الفصل الثامن : الرياضة الروحية	
تمهيد	٩٥
أولا : القرآن الكريم	٩٦
ثانيا : الفكر	٩٨
نتائج الفكر	١٠٣
ثالثا : الذكر	١٠٦
ذكر الأسماء والصفات	١٠٦
مراتب الذكر	١١٣

الموضـــوع	رقم الصفحة
انواع الذكـــــر :	١١٦
١ ـــ الأحـــزاب	١١٦
٢ ـــ الفتوحات الربانية فى الصلاة على خير البرية	١١٧
الفصل التاسع : ادب الدعـــوة الى الله	
تجـــدد الدعـــوة الى الله	١٢٣
تهذيب الدعـــاة الى الله	١٢٤
احوال الدعـــاة الروحانيـــة	١٢٩
آداب وأوصاف الدعـــاة الى الله	١٣٠
انواع الدعـــاة الى الله	١٣٣
الفصل العاشر : جهوده فى اصـــلاح المجتمع الصـــوفى	
الحـــاجة الى الطـــريق	١٣٧
حالة أهل الطـــريق فى عصره	١٣٩
جهوده لاصـــلاح اهل الطريق :	١٤١
المرحلة الأولى : بيان احوال الســـلف الصـالح	١٤١
المرحلة الثانية : بيان أوصاف اهل الطريق واهدافهم	١٤٥
المرحلة الثالثة : دعوة الى توحيـــد أهل الطـــريق	١٤٧
المرحلة الرابعة : المرشـــد الـــدال على الله	١٥٠
شـــبهات فى ائمـــة الطـــريق :	
الشـــبهة الأولى : الولى المجـــذوب	١٥٤
الشـــبهة الثانية : ابنـــاء الصـــالحين	١٥٦
الشـــبهة الثالثة : النســـب الشريف	١٥٨
الشـــبهة الرابعة : ادعيـــاء الحـــال	١٦٠
المرحلة الخامسة : آداب اهل الطـــريق :	١٦٢
١ ـــ أدب الســـالك فى نفســـه	١٦٣
٢ ـــ ادب الســـالك مع اخـــوانه	١٦٦
٣ ـــ الأدب مـــع المرشـــد	١٧١
تتمـــــة	١٧٥

الموضـــوع **رقم الصفحة**

الفصل الحادى عشر : جهـــوده العلميـــة

الموضوع	رقم الصفحة
اولا : النشـــر :	١٧٩
١ — التفســـــير	١٧٩
٢ — العقيـــدة	١٨٠
٣ — الأحكام وحكمتها	١٨١
٤ — احياء الروح الاسلامية	١٨١
٥ — الدعـــوة الصـــوفية	١٨١
٦ — الســـيرة النبـــوية	١٨٢
٧ — الأوراد والاســـتغاثات	١٨٢
ثانيا : النظـــم الصوفى :	
تعريفـــه وكيفيـــة تلقيـــه	١٨٣
اغراضـــــــه	١٨٧
ديوان شروق الاســـلام	١٩٢
الفصل الثانى عشر : وصـــية ووداع	
وصـــية لاخـــوانه	١٩٧
وصـــيته لأولاده واهل بيتـــه	٢٠٣
زوجـــاته وأولاده	٢١٦
خاتمـــــة	٢١٧
المراجـــــع	٢٢١
الملاحـــــق	
ملحق رقم ١ : ورد ختم صلاة الصبح للامام أبى العزائم	٢٢٥
ملحق رقم ٢ : الصلوات الخاصة بالحضرة للامام أبى العزائم	٢٣١

رقـــم الايداع — ٣٥٨٧ / ٩٢

الترقيم الدولى — I. S. B. N.

977 — 00 — 3167 — 4

الصفحه	السطر	الخطأ	التصويب
٤٢	١٦	ابن عطاء السكندرى	ابن عطاء الله السكندرى
٧٥	١٤	عجابا	إعجابا
٩٠	٧	بالوالى	بالولى
٩٦	٢٢	وحوضهم المورد	وحوضهم المورود
١٠٦	١١	والفلنه منهجة	والفقه منهجة
١٠٨	الاول	الا	الله
١١٠	٤	متخلفا	متخلقا
١١١	٢٣	ويرها	وبرها
١١٢	٦	أولو	أولى
١٢٥	٢١	لايفخار	لابفخار
١٢٦	٣	صدوره	صدوده
١٣٢	١٠	لسيدنا	بسيدنا
١٤٢	٢	عنهم	عنه
١٤٦	١٣	علاقتهم	علامتهم
١٤٧	١١	منازالتهم	منازلاتهم
١٤٧	١٥	عزانهم	عزائمهم
١٥٢	١٥	أخذتهم	أخذتم
١٥٥	١١	وففيها	وفيها
١٥٧	الاول	مقتضيات	مقتنيات
١٦٠	١٥	مومها	موهما
١٦٩	٦	لكل	لكمل
١٨٧	الاخير	عرس	عرش
١٨٩	١٨	يقطنوا	يقنطوا
٢١٣	قبل الاخير	العامين	العاملين
٢١٦	٦	ففتحية	فتحية